The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Osoul Aldeen
Department of Interpretation and Quran Science



الجامعـــــة الإسلاميـــــــة بغـــــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــــــة أصـــــــول الـــدين
قسم التفسير وعلوم القـــــــــــرآن

الأخبارُ الغيبيةُ القرآنيةُ
ودلالتُها على صِدْقِ الوحيِ والنُّبوةِ
"دِراسةٌ موضوعيةٌ"

The unseen quranic information and their Connotation of prophecy and revelation "Objective study"

إعدادُ الباحثِ

أسامةُ عبد الرؤوف رضوان

الرقم الجامعي (12015/2415)

إشرافُ الأستاذِ الدكتورِ

عبدُ السلامِ حمدان اللوح

قُدِّمَ هَذا البحثُ استكمالاً لمتطلباتِ الحصولِ على درجةِ الماجستيرِ

في التفسيرِ وعلومِ القرآنِ بكليةِ أصولِ الدينِ في الجامعةِ الإسلاميةِ بغزةَ

ذو القعدة/ 1439 هـــ - يوليو/ 2018 م

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الأخبارُ الغيبيةُ القرآنيةُ ودلالتُها على صِدق الوحيِ والنبوةِ

"دراسةٌ موضوعيةٌ"

The unseen quranic information and their Connotation of prophecy and revelation "Objective study"

أُقرُّ بأنّ ما اشتملتْ عليهِ هذهِ الرسالةُ إنّما هو نِتَاجُ جهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارةُ إليهِ حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالةُ ككلٍ أو أي جزءٍ منها لم يُقدّم من قبلُ لنيلِ درجةٍ أو لقبٍ علميٍ، أو بحثيٍ لدى أي مؤسسةٍ تعليميةٍ أو بحثيةٍ أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	أسامة عبد الرؤوف رضوان	**اسم الطالب:**
Signature:	أسامة رضوان	**التوقيع:**
Date:	2018/7/29 م	**التاريخ:**

نتيجةُ الحكمِ على أطروحة الماجستير





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمـادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref
التاريخ 2018/08/26م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **أسامة عبدالرؤوف ابراهيم رضوان** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الأخبار الغيبية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة -"دراسة موضوعية"

The Unseen Quranic Information and their Connotation of "Prophecy and Revelation "Objective Study

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاثنين 1 ذو الحجة 1439**هـ الموافق **2018/08/13**م الساعة **العاشرة** صباحاً، في قاعة مبنى **القدس** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. عبدالسلام حمدان اللوح	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. رياض محمود قاسم	**مناقشاً داخلياً**	....
د. عبد الله علي الملاحي	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: +970 (8) 264 4400 هاتف Fax: +970 (8) 264 4800 فاكس ص.ب 108 الرمال غزة فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

ع	اللغة	31066 86	الرقم العام للنسخة

التاريخ: 26/ 8/ 2018

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

الطالب/ أسامة عبد المرؤوف إبراهيم رضوان

رقم جامعي: 120152415 قسم: التفسير وعلوم القرآن كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب ....

إدارة المكتبة المركزية ....

206

المُلَخَّصُ باللغةِ العربيةِ

فِي هَذا الوقتِ الذي تشتدُّ فيهِ الهجمةُ من أعداءِ اللهِ تعالى على دينِ الإسلامِ، لتشويهِ حقائقهِ عندَ الكافرين؛ لصدهم عن الدخولِ فيهِ، ولتشكيكِ المسلمينَ في مصدرِ عزتهم في الدنيا، وفلاحهم في الآخرة؛ كانت الحاجةُ لمثلِ هذا البحث، أما فكرتُه فتدور حول الأخبارِ الغيبيةِ التي وردت في القرآنِ الكريمِ، ودَلالتها على أنَّ القرآنَ الكريمَ كلامُ اللهِ تعالى حقًا، وأنَّ محمدًا ﷺ رسولُ اللهِ تعالى صِدقًا.

وقد حاولَ الباحثُ جاهدًا أنْ يجمعَ الآياتِ القرآنيةِ التي تحدثتْ عنِ الأخبارِ الغيبيةِ، سواء كانت قبلَ البَعثةِ (غيب الماضي)، أو أثناءَ البَعثةِ (غيب الحاضر)، أو بعدَ البَعثةِ (غيب المستقبل)، واستنباط دَلالتها على صدق الوحي والنبوة، ليكونَ ذلك سببًا في إقناع الكافرِ بربانيةِ القرآنِ الكريمِ، وصدق نبوةِ محمدٍ ﷺ، وتثبيتِ المسلمِ على دينهِ الحق.

وقد جاءَ هذا البحثُ في قِسمين: قسم نظريّ، وقسم تطبيقيّ، أما القسمُ النظريُّ؛ فاشتملَ على تمهيدٍ وفصلٍ، ناقشَ فيه الباحثُ القائلينَ بمصطلحِ الإعجازِ الغيبي وغيره من الوجوه، وذلك من خلال تعريفِ الإعجازِ، وبيانِ شروطِ تحققهِ، وبيانِ الأمرِ الذي وقعَ به التحدي وأعجز الثقلين، وبيانِ الفرقِ بينَ الوجهِ المعجزِ وأدلةِ صدقِ الوحيِ والنبوةِ، ثم بيانِ أدلةِ القائلينَ بالإعجازِ الغيبي وغيره من الوجوهِ والردِّ عليها، وكذلكَ بيان أقوالِ العلماءِ القُدامى والمعاصرين الذين قالوا: إنَّ الإعجازَ البيانيَّ هو الإعجازُ الوحيدُ، وما سواه أدلة على صدقِ الوحيِ والنبوةِ.

أما القسمُ التطبيقيُّ؛ فاشتملَ على تمهيدٍ وفصلين، ففي التمهيدِ تحدثَ الباحثُ عن أنواعِ الغيبِ ودلالتهِ على صدقِ الوحيِ والنبوةِ، وردَّ على شبهةِ زَعْم الكافرين تعلّم النبيِّ ﷺ الأخبارَ الغيبيةَ من أحبارِ أهلِ الكتابِ.

وفي الفصلِ الأولِ دلَّل الباحثُ على صدقِ الوحيِ والنبوةِ، وذلكَ منْ خلالِ ذِكرِ نماذجَ منَ الأخبارِ الغيبيةِ قَبل البَعثةِ وبَعدها، وفي الفصلِ الثاني دلَّل الباحثُ عَلى صِدقِ الوحيِ والنبوةِ مِنْ خِلالِ ذِكرِ نماذجَ مِنْ الأخبارِ الغيبيةِ أثناءَ البَعثةِ.

ثم قدَّمَ الباحثُ أهمَّ ما توصَّلَ إليهِ مِنْ نتائجَ، وقدَّمَ توصياتٍ يأمُلُ أنْ ينتفعَ بها المسلمون.

ومَا كانَ مِنْ توفيقٍ للباحثِ فمنَ اللهِ تعالى، صاحبِ الفضلِ والمِنَّةِ، وما كان من تقصيرٍ فمنْ نفسهِ والشيطانِ، واللهُ الموفقُ وهو الهادي إلى سواءِ السبيلِ.

(Abstract)

At the time of sever attacks of the disbelievers on Islam to distort its facts and to prevent people from converting to Islam, and to make Muslims have doubt in the source of their religion, there is a need for such study that revolves around the metaphysical information in the Holy Quran, and its evidence that the Quran is truly the speech Allah, and that Muhammad, the Messenger of Allah, is all true.

The researcher collects the Quranic verses that reveal metaphysical information, whether before the prophetic mission (metaphysical information of the past), during the mission (metaphysical information of the present), or after the mission (metaphysical information of the future).This is in addition to deduce its significance to the truth of Revelation and Prophecy. This is so as to persuaded is believers in the Holy Quran revelation, and sincerity of Muhammad's prophecy, and strengthening Muslims' belief.

This study is divided into two sections: a theoretical section and an applied section. The theoretical section consists of a preface and a chapter, in which the researcher discussed the term "miraculous metaphysics" through defining the miracles and clarifying the conditions for achieving them. This is in addition to showing the opinions of ancient and contemporary scholars of who said: The eloquence of the Quran is the only miracle, and other evidences are for proving the truth of revelation and prophecy.

The practical chapter consists of an introductory chapter and two chapters. The introductory chapter discusses the types of the metaphysics and its evidence on truthfulness of the revelation and the prophecy. This is in addition to its role in responded to the suspicion of the disbelievers who said that the prophet learnt these metaphysics from the Jewish rabbis.

In the first chapter, the researcher demonstrated the truth of revelation and prophecy through mentioning examples of the metaphysical information before and after the mission. In the second chapter, the researcher demonstrated the truth of revelation and prophecy through mentioning examples of the metaphysical information during the mission.

Then the researcher then presented the most important findings, and made recommendations that he hopes to benefit Muslims.

Allah is the Guider to right path

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣]

إهداء

- إلى مَنْ علَّمَنِي كتابَ اللهِ تَعالى وشَرِيعَتِهِ

مَشَايخِي وَأَسَاتِذَتِي الكِرام

- إلى من سَهِرت الليالي، وَبَذَلَتْ مِنْ أَجْلِنَا النَّفيسَ والغَالِي

أُمِّي الحبيبة حفظها اللهُ تَعَالى

- إلى من قَضَى حياته كادًّا جادًّا وذلَّل لَنَا كُلَّ الصعابِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ نَحيا حياةً كريمةً

أَبِي الغَالي حفظهُ اللهُ تَعَالى

- إِلى مَنْ علَّمَتْني كِتَابَ اللهِ تَعَالى

أُخْتِي وَشَيْخَتِي الحبيبة هيفاء " أم عمر" حفظها الله تعالى

- إِلى مَنْ تَحمَّلت انشغَالي، وَوَفَّرَتْ لِي سُبُلَ الراحةِ لإتمامِ هَذَا البحث

زَوْجِي الغالية حفظها الله تعالى

- إِلى أَبنائِي الأحباب الذينَ صَبَروا علَى بُعدِي عَنهم

- إِلَى إِخْوانِي وَأَخَواتِي

- إِلَى كُلِّ مَنْ أَحَبَّ لِي الخير

أُهْدِي هَذَا البحثَ المتواضعَ

شكرٌ وتقديرُ

الحمدُ للهِ أولاً وآخرًا، وأشكرُه تعالى على نِعمهِ العظيمةِ التي لا أُحصيها، ولا أَقوى عَلى أداءِ شُكرها، فله الفضلُ والمنَّةُ وحدهُ أنْ قدَّر لي إتمامَ هذا البحثِ على هذا الوجهِ الحسنِ، فَمَا كانَ فيهِ مِنْ حقٍ، وصوابٍ؛ فمِنْ عندهِ تعالى، وبإعانتهِ، وتوفيقهِ، فَلا أحصي ثناءً عليهِ، هو كَمَا أثنى عَلى نَفْسِه.

وانطلاقًا مِنْ قولِ نَبينا، ومُعلمنا ﷺ: **(لا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ)**[1]، فَإنني أتقدمُ بالشكرِ الجزيلِ إلى مَن رَعى بِذرَةَ هذا البحث، وَسَقَاهَا بتوجيهاتهِ وإرشاداتهِ وملاحظاتِه، حتى استوى البحثُ على سُوقِه، – إذ إنه صاحبُ الفكرة، المتميزُ بهذه النظرات الجديدة في الإعجاز على مستوى فلسطين، فيما نعلم– إلى مُشرفِي الفاضل:

الأستاذُ الدكتورُ/ عبدُ السلامِ حمدان اللوح حَفِظَهُ اللهُ تَعَالى

كما وأشكر الأستاذين الكريمين الَّذَينِ تفضَّلا بقَبُول مناقشة هذا البحث، وهما:

- **الأستاذ الدكتور/ رياض محمود قاسم حَفِظَهُ اللهُ تَعَالى**
- **الدكتور/ عبد الله علي الملاحي حَفِظَهُ اللهُ تَعَالى**

كَمَا وَأتَوجهُ بالشُّكْرِ والعرفانِ، إلى الجامعةِ الإسلاميةِ الغراء بكل عامليها، وأخصُّ أساتذتي الأحبةَ الكرامَ في كُليةِ أُصولِ الدينِ، وأشكرُ كلَّ مَنْ سَاعَدَني وَشَجَّعَنِي وَأَفَادَنِي وَلَوْ بِمَعْلُومة.

فَجَزَاهُمُ اللهُ عَني خَيرَ الجزاءَ؛ آمين.

---

(1) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الأدب/ باب في شكر المعروف، (255/4) رقم الحديث (4811)، قال الألباني: صحيح.

فهرسُ المحتوياتِ

أولاً: القِسمُ النظريُّ للدراسةِ

الفصلُ الأولُ

نماذجُ من غيبِ الماضي والمستقبلِ

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وتحدى به الإنس والجان؛ فلن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، أحمده تعالى على جميع نعمه، وجزيل فضله وكرمه، والصلاة والسلام على من أرسله ربه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وجعل إخباره ﷺ بالغيبيات عن ربه من الدلائل الباهرات، والآيات الواضحات، على إرساله من رب الأرض والسماوات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد اقتضت حكمته عزَّ وجلَّ أن تكونَ معجزةُ الأنبياءِ والمرسلين من جنس ما برع به أقوامُهم، ونبغ به حُذّاقهم، ليكون التحدي أبلغَ في إفحامهم، وإظهارِ عجزهم وقصورِ أفهامهم، فلما كان العربُ قد برعوا في علومِ اللغةِ والفصاحةِ والبيانِ، كانت معجزة نبينا ﷺ كتابًا معجزًا لهم؛ ولسائر الثقلين من الإنسِ والجانِ.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠ – ٥١].

فالقرآنُ الكريمُ هو المعجزة الكبرى الباقية إلى يوم القيامة، وهو المعجزة العامة التي جاءت لتتحدى الثقلين، وقد اتفقَ العلماءُ على الإعجازِ البياني، فلم يخالف أحد منهم أنه أبرز وجوه إعجاز القرآن، ولكنّ آخرين جعلوا كلّ دليلٍ على صدق الوحي والنبوة وجهًا من وجوه إعجاز القرآن، فقالوا بالإعجاز بالإخبار عن المغيبات، والإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز الموسيقي، والإعجاز العددي، وغير ذلك من الوجوه.

والباحثُ يعذِرُهم لحُسْنِ قَصدهم، ويعلم أنهم ما قالوا ذلك إلا انتصارًا لكتاب الله تعالى، وإظهارًا لإعجازه على مر العصور؛ وتعاقب الدهور؛ ليردُّوا على المشككين بربانية القرآن الكريم، أو من باب التقليد والتبعية وغلبة الظن، أو اعتمادًا على ظاهر النصوص؛ دون تحري معانيها لُغويًا، أو نتيجةَ الخلطِ بين الوجوه المعجزة وغيرها من أدلة صدق الوحي والنبوة.

والباحثُ يعتقدُ أنَّ تكثير الوجوه لا يخدم القرآن الكريم؛ لأنه يؤدي إلى خلط كبير بين وجه الإعجاز الأساس – الإعجاز البياني – وأدلة صدق الوحي والنبوة، ولا يصح الخلط بين

المتشابهات في ظاهرها المختلفات في حقيقتها وتسمية ذلك كله باسم واحد مشترك بين جميعها، ولا خروج من هذا الخلط إلا بتسمية الأشياء بأسمائها، وأفضلُ تسمية نستنبطها من القرآن الكريم، من قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، فنسميها أدلةً أو آياتٍ أو براهينَ على صدق الوحي والنبوة.

والباحثُ بهذا يحقق غايةَ الإعجازِ وثمرتَه، فغايةُ الإعجازِ وثمرتُه إثباتُ صدقِ الوحي والنبوة، وتسمية الوجوه أدلة؛ يثبت صدق الوحي والنبوة بطريق أسهلَ وأَبْيَنَ، خاصة مع الذين لا يتكلمون العربية، ولا يستطيعون الوقوف على الإعجاز البياني للوصول إلى أن القرآن من عند الله تعالى، وأن محمدًا ﷺ رسول الله.

وليس هذا بدعًا من القول، فقد سبق إليه علماءُ كثيرون من القُدامى والمعاصرين، منهم على سبيل الذكر لا الحصر، السخاوي والطالبي رحمهما الله تعالى من القدامى، ومحمود شاكر وعدنان زرزور رحمهما الله تعالى من المعاصرين.

ولمّا كان الإخبارُ بالغيبِ في القرآن الكريم من أدلة صدق الوحي والنبوة، اجتهد الباحث في جمع هذه الأدلة من القرآن الكريم وتقسيمها، وتبيين وجه الدلالة منها، وجَعَلَ عنوان الرسالة:

"الأخبارُ الغيبيةُ القرآنيةُ ودلالتُها على صِدْقِ الوحيِ والنبوةِ – دراسة موضوعية".

أولاً: أهميةُ الموضوعِ:

1- حاجةُ المسلمين اليوم إلى مطالعةِ أدلةٍ من القرآن تزيدُ في يقينِهم، وتُسْكِنُ نُفوسَهم، وتطمئن إليها قلوبُهم، وتصرف عنهم وساوس الشيطان، ويتبين لهم أن القرآن من عند الله تعالى، وأن محمدًا ﷺ رسول الله، فلا يلتفتون عند ذلك إلى شبهات المغرضين، ولا تُرّهات المعاندين.

2- عناية العلماء والمفسرين قديمًا وحديثًا في أدلة صدق الوحي والنبوة.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

1- الامتثالُ لأمر الله سبحانه وتعالى القائل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]

2- السعيُ إلى رضا الله عز وجل وذلك من خلال إظهار أدلة قرآنية على صدق كتاب الله عز وجل، وصدق رسول الله ﷺ.

3- الانتظامُ في سلك الحماة المدافعين عن كتاب الله تعالى من المتربصين والمشككين.

4- مبالغةُ بعض العلماء بتكثير وجوه إعجاز القرآن؛ مما يُضعف الإعجاز الأساس والرئيس لكتاب الله تعالى.

5- افتقارُ المكتبة الإسلامية إلى بحث علمي يتناول هذا الموضوع في إطار دراسة تفسيرية مُحكّمة.

ثالثا: أهداف الدراسة:

1- إثبات أن القرآن من عند الله تعالى، وأن محمدًا ﷺ رسول الله، من خلال الأخبار الغيبية القرآنية.

2- إثراء المكتبة الإسلامية بأخبار غيبية تدل على صدق الوحي والنبوة في إطار دراسة موضوعية محكّمة.

3- إبراز آراء العلماء والمفسرين في أدلة صدق الوحي والنبوة.

4- دفع مفهوم الخلط بين وجوه الإعجاز، وأدلة صدق الوحي والنبوة.

5- دراسة نماذج من الأخبار الغيبية من وحي القرآن الكريم، تُعد من وسائل الدعوة قديمًا وحديثًا.

رابعًا: منهج الدراسة وعمل الباحث فيها:

سيتّبع الباحثُ في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الموضوعي وفق منهج البحث في التفسير الموضوعي، وضمن الخطوات الآتية.

1- تَتَبُّعُ الآيات التي اشتملت على أخبار غيبية في القرآن الكريم.

2- ضبطُ الآيات القرآنية برسم المصحف العثماني، ووضعها بين قوسين مُزهّرين، مع ذِكر اسم السورة ورقم الآية بين قوسين مربعين بجوار الآية تجنبًا لإثقال الحواشي.

3- تفسيرُ هذه الآيات، ودراستها دراسة موضوعية، وذلك بذِكر الآية، ثم ذِكرِ أقوال المفسرين فيها، ثم بيان رأيي في تفسير هذه الآيات ما أمكن.

4- تخريجُ الأحاديثِ النبويةِ وذلك بعزوها إلى مصادرها، وذِكر من أخرجها من الأئمة، ثم

ذِكر الكتاب والباب الذي ورد فيه الحديث، ثم الجزء والصفحة، مبيناً حكمَ العلماءِ عليها إن لم تكن في الصحيحين.

5- الترجمةُ لبعض الأعلام المغمورين وترك الترجمة لغير المغمورين.

6- بيانُ معاني المفرداتِ الغريبةِ.

7- التوثيقُ في الحاشيةِ بذكرِ اسمِ الكتابِ ثم المؤلف، وأذكرُ الجزءَ إن كان الكتابُ ذا أجزاء، ثم رقم الصفحة.

8- إعدادُ مجموعةٍ من الفهارسِ العلميةِ، تسهيلاً للوصولَ إلى المعلومة التي يريدها القارئ، فأضعُ فهرسًا للآيات القرآنية، وأرتبُ السورَ حسب ورودها في القرآن، وإن كان في السورة أكثرُ من آيةٍ رتبتها حسب ورودها في السورة؛ وأجعلُ فهرسًا للأحاديث، وأرتبهُ على حسب حروف المعجم، وكذلك فهرسًا للأعلام المُترجَم لهم، ثم أُعِدُّ قائمةً بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في الرسالة، وأخيرًا فهرسًا للموضوعات يُوضعُ في أول الرسالة.

خامسًا: الدراساتُ السابقةُ:

بعد البحث في موضوع " **الأخبار الغيبية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة – دراسة موضوعية** "، لم يجد الباحثُ أيّ رسالةٍ علميةٍ مُحكَّمةٍ تحملُ عنوانَ هذه الدراسة، وقد قام الباحثُ بمراسلةِ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فأفادوا بعدم توافر معلومات لديهم عن هذا الموضوع.

سادسًا: خطةُ الدراسةِ:

اشتملت الدراسة على مقدمة وقسمين:

القسمُ الأولُ يمثلُ الجانبَ النظريَّ: ويتكونُ من تمهيدٍ، وفصل.

القسمُ الثاني يمثلُ الجانبَ التطبيقيَّ: ويتكونُ من تمهيدٍ، وفصلين.

بالإضافة إلى الخاتمة، والفهارس العلمية.

وبيانُ ذلكَ فيما يلي:

المقدمة:

وتشتمل على ستة عناصر:

أولاً: أهمية الموضوع.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع.

ثالثًا: أهدافُ الدراسة.

رابعًا: منهجُ الدراسة وعمل الباحث فيها.

خامسًا: الدراسات السابقة.

سادسًا: خطةُ الدراسة.

أولاً: القِسمُ النظريُّ للدراسةِ

وفيه: تمهيدٌ وفصلٌ

التمهيد: تعريفاتٌ بينَ يديِ الدراسةِ

وفيه:

أولاً: تعريفُ الأخبارِ الغيبيةِ لغةً واصطلاحًا

ثانيًا: تعريفُ الأدلةِ لغةً واصطلاحًا

ثالثًا: تعريفُ الوحيِ والنُّبوةِ لغةً واصطلاحًا

فصلٌ

الأخبارُ الغيبيةُ بين مصطلحِ الإعجازِ وأدلةِ صدقِ الوحيِ والنبوةِ

وفيه مبحثان:

المبحثُ الأولُ: مناقشةُ القائلين بمصطلحِ الإعجازِ الغيبيِّ وغيرهِ من الوجوهِ والردُّ عليهم

وفيه ستةُ مطالب:

المطلبُ الأولُ: تعريفُ إعجاز القرآن لغةً واصطلاحًا

المطلبُ الثاني: شروطُ تحققِ الإعجازِ

المطلبُ الثالثُ: هل التحدي مرحليٌّ متدرجٌ؟

المطلبُ الرابعُ: ما هو الأمرُ الذي وقع به التحدي وأعجز الثقلين؟

المطلبُ الخامسُ: الفرقُ بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة

المطلبُ السادسُ: أدلةُ القائلين بالإعجاز الغيبي وغيره من الوجوه ومناقشتهم

المبحث الثاني: القائلون بالإعجاز البياني فقط من العلماء القدامى والمعاصرين

وفيه مطلبان:

المطلبُ الأولُ: القائلون بالإعجاز البياني فقط من العلماء القدامى

المطلبُ الثاني: القائلون بالإعجاز البياني فقط من العلماء المعاصرين

ثانيًا: القسمُ التطبيقيُّ للدراسةِ

وفيه: تمهيدٌ وفصلان

التمهيد: أنواع الغيب ودلالته على صدق الوحي والنبوة

وفيه:

أولاً: لا يعلم الغيب إلا الله تعالى

ثانيًا: أنواع الغيب

ثالثًا: وجه دلالة الغيب على ربانية القرآن ونبوة محمد ﷺ

رابعًا: زَعْمُ الكافرين تعلّم النبيِّ ﷺ الأخبار الغيبية من أحبار أهل الكتاب

الفصلُ الأولُ

نماذجُ من غيبِ الماضي والمستقبل

(الأخبارُ الغيبيةُ قبل البَعثة وبعدها ودلالتُها على صِدقِ الوحي والنبوة)

وفيه مبحثان:

المبحثُ الأولُ: نماذجُ من غيبِ الماضي (الأخبارُ الغيبيةُ قبل البَعثة)

المبحثُ الثاني: أخبارٌ غيبيةٌ خاصةٌ

وفيه أربعةُ مطالب:

المطلبُ الأولُ: الإخبارُ عن مصير أبي لهب وزوجته في الآخرة وموتهم على الكفر

المطلبُ الثاني: الإخبارُ عن مصير الوليد بن المغيرة في الآخرة وموته على الكفر

المطلبُ الثالثُ: الإخبارُ عن مصير أبي جهل في الآخرة وموته على الكفر

المطلبُ الرابعُ: الإخبارُ عن مصير العاص بن وائل في الآخرة وموته على الكفر

الخاتمةُ

وفيها أهمُّ النتائجِ والتوصياتِ.

واللهَ تعالى أسأل، وبأسمائه وصفاته أتوسل، أن يجعل هذا العمل القليل نافعًا، مباركًا، خالصًا لوجهه الكريم، وألا يحرمني يوم القيامة أَجْرَ **(عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ)**[1]، وصلى الله على نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الوصية/ باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (1255/3)، رقم الحديث (1631).

أولاً: القِسمُ النظريُّ للدراسةِ

وفيه: تمهيدٌ وفصلٌ

۞ التمهيدُ:

تعريفاتٌ بينَ يديِ الدراسةِ

۞ فصلٌ:

الأخبارُ الغيبيةُ بينَ مصطلحِ الإعجازِ وأدلةِ صدقِ الوحيِ والنُّبوةِ

التمهيدُ
تعريفاتٌ بينَ يَدَيِ الدِّراسةِ

أولاً: تعريفُ الأخبارِ الغيبيةِ لغةً واصطلاحًا

ثانيًا: تعريفُ الأدلةِ لغةً واصطلاحًا

ثالثًا: تعريفُ الوحيِ والنبوةِ لغةً واصطلاحًا

التمهيدُ

تعريفاتٌ بينَ يديِ الدراسةِ

أولاً: تعريفُ الأخبارِ الغيبيةِ لغةً واصطلاحًا:

أ- تعريفُ الأخبارِ الغيبيةِ لغةً:

الأخبار الغيبية مصطلح مركب من كلمتين، بما يحتاج منا أن نعرف كل واحدة منهما على حدة، وذلك كما يأتي:

1- الأخبارُ لغةً:

واحدها خَبَر بفتح الباء، والخَبَر: مَا أَتى مِن نَبأٍ عَمَّنْ تسْتَخْبِرُ.

وخَبَر الأَمرَ: أي علِمَه، وخَبَّرَه بِكَذَا وأَخْبَرَه: أي نَبَّأَهُ.

واستَخبَرَه: أي سأَله عَن الخبَر وطَلَبَ أَن يُخْبِرَهُ.

والخُبْرُ بضم الخاء وإسكان الباء: هو العِلمُ بِالشَّيْءِ، قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨].

والخَبيرُ: العالمُ، وهو من أَسماء اللهِ تعالى، العالمُ بما كان وما يكون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[النساء: ٣٥]، وخبُرتُ بالأَمر أَي علمتُهُ، وخَبَرتُ الأَمرَ أَخبُرُهُ إذا عرفتهُ على حقيقته[1].

2- الغيبُ لغةً:

الغَيبُ مفرد غُيوب: وهو كلُّ مَا غَابَ عَنكَ، قالَ تَعَالَى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣]؛ أَي يُؤْمِنُونَ بِمَا غابَ عَنْهُمْ، مِمَّا أَخبرهم بهِ النبيُّ ﷺ، مِنْ أَمرِ البَعْثِ والجنةِ وَالنَّارِ.

والغَيْبُ أَيضًا مَا غابَ عن العُيونِ.

وكل مكان لا يُدرى ما فيه فهو غيب، وكذلك الموضع الذي لا يُدرى ما وراءه[2].

---

(1) ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (258/4)، مختار الصحاح، الرازي، (ص 87)، لسان العرب، ابن منظور، (226/4-227).

(2) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (182/8)، مختار الصحاح، الرازي، (ص 231)، لسان العرب، ابن منظور، (654/1).

ب- تعريفُ الأخبارِ الغيبيةِ اصطلاحًا:

بما أننا نُعرّف الأخبار القرآنية، والقرآن متواتر، فسيكون التعريف للخبر الغيبي المتواتر، وقد وقفت على تعريفين وهما:

1- الخبر المتواتر: "هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يُتصور تواطؤهم على الكذب لكثرتهم" (1).

2- الغيب: "ما لا يقع تحت الحواسِّ ولا تقتضيه بَداهة العقول، وإنما يُعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبِدَفْعِهِ يقع على الإنسان اسمُ الإلحاد"(2).

ج- التعريفُ المختارُ:

من التعريفات السابقة، ومن خلال تقييده بالقرآن الكريم نستطيع أن نُعرّف الأخبار الغيبية بأنها:
الأحداثُ الغيبيةُ الثابتةُ في القرآنِ الكريمِ سواء كانت في الماضي أو الحاضرِ أو المستقبلِ، وتُعلَمُ بخبرِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ عنْ ربِّ العالمين.

ثانيًا: تعريفُ الأدلةِ لُغةً واصطلاحًا:

أ- تعريفُ الأدلةِ لُغةً:

الأدلة جمع دليل، والدليل من الدلالة - بكسر الدال وفتحها-، وهي تأتي بعدة معانٍ:

الأول: إبانةُ الشيء بأمارةٍ تتعلمها، ومنه قولهم: دللتُ فلانًا على الطريق.

الثاني: اضطراب في الشيء، ومنه قولهم: تَدلْدلَ الشيءُ، إذا اضطرب.

الثالث: المن بالعطاء، ومنه قولهم: دَلَّ يَدُلُّ إذا مَنَّ بعطائه، والأدلّ: المنَّانُ بعمله(3).

ب- تعريفُ الأدلةِ اصطلاحًا:

الدليل : "هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"(4).

والدليل في هذه الرسالة : **هو الخبرُ الغيبيُّ الواردُ في القرآنِ الكريمِ الذي نستدلُ من خلالهِ على صدقِ الوحيِ والنبوةِ.**

---

(1) التعريفات، الجرجاني، (ص 199)، التعريفات الفقهية، البركتي، (ص 194).

(2) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (ص 616- 617)، التعريفات الفقهية، البركتي، (ص 160).

(3) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (48/14)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (260/2)، مختار الصحاح، الرازي، (ص 106).

(4) التعريفات الفقهية، البركتي، (ص 96).

قال الإمام أحمد: " قواعد الإسلام أربع: دالٌّ ودليلٌ ومُبيِّنٌ ومُستَدِلٌ.

فالدَّالُّ: الله تعالى، والدَّليلُ: القرآنُ، والمُبيِّن: الرسولُ ﷺ، قال اللهُ تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤]، والمُستَدِلُّ: أُولُو الألبابِ وأُولُو العلمِ الذينَ يُجمِعُ المسلمون على هدايتهم، ولا يُقبَلُ الاستدلالُ إلا ممن كانت هذه صفتُه"(1).

ثالثًا: تعريفُ الوحيِ والنُّبوةِ لغةً واصطلاحًا:

أ- تعريفُ الوحيِ لغةً:

الوحي مصدر، وأصل الكلمة يدل على معنيين، الخفاء والسرعة.

ويأتي الوحي في اللغة بعدة معان:

الأول: الكلام الخفي، يُقال: أوحى إليه الكلامَ يُوحِيه وحيًا، وهو أن يكلمه بكلام يُخفيه عن غيره.

الثاني: الإشارة السّريعة بالكلام على سبيل الرّمز والتّعريض، أو ببعض الجوارح، أو بالكتابة، وحُمل على ذلك قوله تعالى:﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ١١]، فقد قيل: رمز، وقيل: أشار، وقيل: كتب.

الثالث: الإلهام، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧].

الرابع: وسوسة الشيطان، ومنه قوله تعالى: ﴿ ... وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

الخامس: المكتوب والكتاب والرسالة.

السادس: الإلهام الغريزي للحيوان، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨] (2).

---

(1) العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى (135/1).

(2) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (93/6)، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص 858)، مختار الصحاح، الرازي، (ص 334)، لسان العرب، ابن منظور (379/15).

ب- تعريفُ الوحيِ اصطلاحًا:

عرفه الكفوي بأنه: " كل مَا أَلقيته إِلَى غَيْرك"[1].

وعرّفه البركتي بأنه: " الكلمة الإلهية التي تُلقى إلى نبي من الأنبياء"[2].

ويقصد الباحث بالوحي في هذه الرسالة: **هو القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ.**

ج- تعريفُ النُّبوةِ لغةً:

النُّبوّة مشتقةٌ من النبأ، والنون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان، ومنه:

1- الخبر؛ لأنه ينتقل من مكان لآخر، تقول: نَبَأ ونَبَّأ، أي: أخبر.

2- الخروج، تقول: نَبَأتُ من أرضٍ إلى أرض، إذا خرجتُ منها إلى أخرى.

3- الصوت، وهو النَّبْأة؛ لأن الصوت يجيء من مكان إلى مكان.

وأُخذت كلمة النبي من النبأ؛ لأنه أنبأ عن الله تعالى أي أخبر، وقيل: من النَّبْوة والنَّبَاوة، وهي الارتفاع عن الأرض؛ لأنه مفضل على الناس برفع منزلته[3].

د- تعريفُ النُّبوةِ اصطلاحًا:

النبوة: "هي طريق خارجي، بأن يصطفي الله -عز وجل- مَنْ يشاء من عباده، نبيًّا يُنزلُ إليه وحيَه، ويبلّغُه كلامَه؛ ليكون واسطة بينه وبين خلقه في التبليغ"[4].

والنّبِيُّ: " من أُوْحيَ إليه وحياً خاصّاً من الله -عز وجل- بتوسط مَلَك، أو بإلهام في قلبه، أو بالرؤيا الصالحة، وقد خُتمت النبوّةُ وانْقَطع الوحيُ بخاتم الأنبياء ﷺ"[5].

---

(1) الكليات، (ص 918).

(2) التعريفات الفقهية، (ص 236).

(3) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (74/1)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (385/5)، لسان العرب، ابن منظور، (163/1-164).

(4) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، راجح الكردي، (ص 719).

(5) التعريفات الفقهية، البركتي، (ص 225).

فصلٌ

الأخبارُ الغيبيةُ بينَ مصطلحِ الإعجازِ
وأدلةِ صدقِ الوحيِ والنبوةِ

وفيه مبحثان:

المبحثُ الأولُ:

مناقشةُ القائلين بمصطلحِ الإعجازِ الغيبي وغيرهِ من الوجوهِ والردُّ عليهم

المبحثُ الثاني:

القائلون بالإعجاز البياني من العلماء القدامى والمعاصرين

المبحثُ الأولُ

مناقشةُ القائلينَ بمصطلحِ الإعجازِ الغيبي

وغيرِهِ من الوجوهِ والردُّ عليهم

وفيه ستةُ مطالبٍ:

المطلبُ الأولُ: تعريفُ إعجازِ القرآنِ لغةً واصطلاحًا

المطلبُ الثاني: شروطُ تحقق الإعجاز

المطلبُ الثالثُ: هل التحدي مرحليٌّ متدرجٌ؟

المطلبُ الرابعُ: ما هو الأمر الذي وقع به التحدي وأعجز الثقلين؟

المطلبُ الخامسُ: الفرق بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة

المطلبُ السادسُ: أدلةُ القائلين بالإعجاز الغيبي وغيره من الوجوه ومناقشتُهم

المبحثُ الأولُ

مناقشةُ القائلينَ بمصطلحِ الإعجازِ الغيبيِّ وغيرِهِ من الوجوهِ والردُّ عليهم

المطلب الأول: تعريفُ إعجازِ القرآنِ لغةً واصطلاحًا:

إعجاز القرآن مركب إضافي من كلمتين، (إعجاز) و (قرآن).

أولاً: تعريفُ الإعجازِ لغةً واصطلاحًا:

الإعجازُ في اللغة: مصدر أعجز، ويأتي مصطلح العَجْز بمعنيين:

الأول: الضَّعْف، تقول: عَجِز عن الشيءِ فهو عَاجِز، وأَعجَزْتُ فلانًا وعَجَّزْتُهُ وعَاجَزْتُهُ: أي جعلته عاجزًا، أَي ضَعِيفًا.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبٗا ﴾ [الجن: 12].

ومنه سُمِّيت العجوز، وذلك لعجزها في كثير من الأمور.

والعَجْز، اسم للقصور عن فعل الشيء، وهو ضدّ القدرة، قال تعالى: ﴿ ... أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ ... ﴾ [المائدة:31].

الثاني: مُؤخر الشيء، والجمع أعجاز [1].

والإعجاز اصطلاحًا: "أن يرتقي الكلامُ في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويُعجِزهم عن معارضته"[2].

والمُعْجِزة: "أمرٌ خارقٌ للعادة، داعيةٌ إلى الخير والسعادة، مقرونةٌ بدعوى النبوة، قُصد به إظهارُ صدق من ادَّعى أنه رسولٌ من الله –تعالى–"[3].

وسبب تسميتها معجزة، " لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها، والهاء فيها للمبالغة"[4].

---

(1) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (219/1)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (232/4–233)، المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (ص 547– 548)، لسان العرب، ابن منظور، (370/5)، التعريفات، الجرجاني، (ص 31)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي (65/1)، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، (1459/2).

(2) التعريفات، الجرجاني، (ص 83).

(3) التعريفات، الجرجاني، (ص 219)، التعريفات الفقهية، البركتي، (ص 210).

(4) فتح الباري، ابن حجر(582/6).

وتنقسم المعجزات إلى قسمين:

أ- معجزة حسية مادية: مثل عصا موسى عليه السلام، وناقة صالح عليه السلام، وإبراء الأكمه.

وجملة المعجزات - الحسية - راجعة إلى ثلاثة معان:

إيجاد معدوم، أو إعدام موجود، أو تحويل حال موجود.

1- إيجاد معدوم: كخروج الناقة من الجبل بدعاءِ صالح عليه السلام.

2- إعدام الموجود: كإبراءِ الأكمه والأبرص بدعاءِ عيسى عليه السلام.

3- تحويلُ حال الموجود: كقلب عصا موسى عليه السلام ثعبانًا(1).

ب- معجزة معنوية فكرية: وهي معجزة نبينا محمد ﷺ، القرآن الكريم.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "ولقد كانت كل المعجزات التي حُكيت عن النبيين السابقين معجزات مادية حسية، تكشف عن معنى روحي، وعن تنزيل سماوي؛ ... ولكن معجزة محمد - ﷺ- لم تكن مادة تقرع، ولا أمرًا حسيًا ترى العيون إعجازه رأي العيان، بل كانت أمرًا معنويًا تتأمله العقول والأفهام، وتتعرفه المدارك البشرية في كل الأزمان، ولم يفقد حجيته، ولم يزل إعجازه كَرّ الغداة ومَرّ العشي"(2).

وقد ثبت أنّ للنبي ﷺ معجزاتٍ أخرى، مثل انشقاق القمر، وحنين الجذع، وخروج الماء من بين أصابعه ﷺ (3)، لكنّ القرآن الكريم هو معجزة الرسول الكبرى، وهو أفضل معجزاته ﷺ.

وقد جاء في القرآن ما يؤكد أن أكبر معجزاته ﷺ هو القرآن، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ -عز وجل- إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ)**(4).

---

(1) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي (66/1).

(2) شريعة القرآن من دلائل إعجازه، (ص 7).

(3) ينظر: كتاب دلائل النبوة، البيهقي، وكذلك الدلائل الحسية على نبوة محمد ﷺ من كتاب البداية والنهاية، ابن كثير، (558/8 وما بعدها)، فهما مشتملان على كثير من المعجزات المادية لرسول الله ﷺ.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل القرآن/ باب كيف نزل الوحي ...، (182/6)، رقم الحديث (4981).

قال ابن حجر: "أي أن معجزتي التي تحدّيت بها، الوحي الذي أُنزل عليّ، وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح"[1].

فالقرآن الكريم أفضلُ معجزاتِ النبيِّ ﷺ وأكملُها وأجلُّها وأعظمُها.

يقول الفيروز أبادي[2]: "وأَفضلُ معجزاته -ﷺ- وأَكملُها وأَجلُّها وأَعظمُها القرآن، الذي نزل عليه بأَفصح اللُّغات، وأَصحِّها، وأَبلغها، وأَوضحها، وأَثبتها، وأَمتنها، بعد أَن لم يكن كاتباً ولا شاعراً ولا قارئاً، ولا عارفاً بطريق الكتابة، واستدعاءِ[3] من خطباءِ العرب العرباءِ وبلغائهم وفصحائهم أَن يأْتوا بسورة من مثله، فأَعرضوا عن معارضته، عجزًا عن الإِتيان بمثله، فتبيَّن بذلك أَن هذه المعجزة أعجزت العالَمِين عن آخرهم"[4].

ثانيًا: تعريف القرآن لغةً واصطلاحًا:

القرآن لغةً:

مصدر قَرَأَ، والأصلُ في هذه اللفظة الجمعُ، وكل شيءٍ جمعته فقد قرأته.

قال الجوهري: " قرأتُ الشيء قرآنًا: جمعتُه وضممتُ بعضه إلى بعض، ومنه سُمِّي القرآن؛ لأنه يجمع السُّوَرَ فيضمها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]، أي جمعه وقراءته"[5].

وقال ابن الأثير: " سُمِّي القرآن قرآنًا؛ لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض"[6].

---

(1) فتح الباري، (6/9).

(2) هو محمد بن يعقوب بنِ محمدٍ، مجدُ الدين، أبو الطاهر، الفيروز آباديُّ، اللغويُّ، الشافعيُّ، الإمامُ الكبير الماهرُ في اللغة وغيرها من الفنون، وُلد سنة 729 هـ، بكازرون من أعمال شيراز، سكن بالقدس نحو عشر سنين، ودرَّس، وتصدَّر، وظهرت فضائلُه، وكثر الأخذ عنه، ثم دخل اليمن، فوصل إلى "زَبيد" واستقرت قدمه فيها إلى أن مات، له مصنفات كثيرة، منها: في التفسير "لطائف ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، في مجلدات. و"الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم"، توفي رحمه الله سنة 817 هـ [ينظر: التاج المكلل، القِنوجي، (ص 462)].

(3) قال محقق الكتاب: "عطف على المصدر في (أن لم يكن كاتبًا ...) " بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (67/1) هامش (3).

(4) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (67/1).

(5) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (65/1)، بتصرف.

(6) النهاية في غريب الحديث والأثر، (30/4).

والقرآن اصطلاحًا:

عرفه الجرجاني: " هو المنزّل على الرسول ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواترًا بلا شبهة"[1]، وأضاف البركتي على التعريف السابق : " ... وهو اسم للنظم والمعنى جميعًا"[2].

وعرفه صبحي الصالح بأنه: "هو الكلام المعجز، المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته "[3].

ثالثًا: تعريفُ إعجازِ القرآنِ:

عرّف العلماءُ إعجازَ القرآنِ بأكثرَ من تعريف، وسيذكر الباحث منها ما يأتي:

1- عرفه الكفوي بأنه: " ارتقاؤه – أي القرآن – فِي البلاغة إِلَى أَن يخرج عَن طوق البشر ويعجزهم عَن معارضته "[4].

2- عرّفه الزرقاني بأنه: " إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به"[5].

3- عرّفه أحمد مختار عمر بأنه: "عدم القدرة على محاكاته وامتناع الإتيان بمثله"[6].

4- عرّفه نعيم الحمصي فقال: " أي كونه أمرًا خارقًا للعادة، لم يستطع أحد معارضته رغم تصدي الناس له"[7].

5- عرّفه محمد حسين الذهبي فقال: " إثبات عجز العرب وغيرهم عن الإتيان بمثله، فيظهر بذلك صدق النبي ﷺ في دعواه الرسالة، وأن القرآن ليس من كلامه، ولا هو في مقدور أحد، وإنما هو كلام الله عز وجل"[8].

---

(1) التعريفات، (ص 174).

(2) التعريفات الفقهية، (ص 172).

(3) مباحث في علوم القرآن، (ص 21).

(4) الكليات، (ص 149).

(5) مناهل العرفان، (331/2)، دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، (ص 346).

(6) معجم اللغة العربية المعاصرة، (1459/2).

(7) فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، (ص9) نقلاً عن: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم "والأولى أن يسمى" الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، عبد السلام اللوح، (ص9).

(8) الوحي والقرآن الكريم، (ص65).

6- عرفه فضل عباس فقال: " عجز الناس عن أن يأتوا بمثله ... ومعنى ذلك أن هذا القرآن الكريم دلَّ بما فيه من بيانٍ على أنه من عند الله عز وجل، وثبت عجز الناس عن أن يأتوا بمثله"[1].

7- عرّفه البوطي فقال: "أن القرآن قد سما في علوّه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله؛ سواء كان هذا العلو في بلاغته أو تشريعه أو مغيباته "[2].

8- عرفه مناع القطان فقال: " والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم"[3].

9- عرفه صلاح الخالدي فقال: " عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفرِ مَلَكَتِهم البيانية، وقيامِ الداعي على ذلك، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك"[4].

رابعًا: ملاحظات على التعريفات السابقة:

1- نلاحظ أنَّ الزرقاني بيّن أن القرآن تحدى الخلق، وهذا لفظ عام يشمل الملائكة[5] أيضًا، فهم خَلْقٌ من خلق الله تعالى، ولكنهم لا يشملهم التحدي؛ لأنهم مجبولون على الطاعة والإيمان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

وكذلك البهائم من خلق الله تعالى، والتحدي لا يشملها؛ لأنها غير مكلفة.

فالصواب إذن أن يُقيد التعريف بالثقلين بدلاً من الخلق؛ لأن التكليف لهم فقط، قال تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]

---

(1) إعجاز القرآن الكريم، (ص 28).

(2) من روائع القرآن، (125).

(3) مباحث في علوم القرآن، (ص265).

(4) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، (ص17).

(5) ذكر بعض العلماء أن التحدي يشمل الملائكة أيضًا؛ لأنهم لا يقدرون أيضًا على الإتيان بمثل القرآن، قال الكرماني في غرائب التفسير: إنما اقتصر في الآية على ذكر الإنس والجن؛ لأنه ﷺ كان مبعوثا إلى الثقلين دون الملائكة. [ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (23/4)].

2- أما الحمصي وأحمد مختار عمر فلم يُبينا في تعريفيهما مَنْ تحداهم القرآن، والحكمة من هذا التحدي، وكذلك لم يذكرا في تعريفيهما استمرار التحدي ليشمل جميع الأجيال بعد جيل النبي ﷺ، والحق أنه يشملهم؛ لأن القرآن هو المعجزة الخالدة الباقية، فلا يمكن أن يأتي أحد في أي عصر من العصور بما يعارض به القرآن الكريم.

3- أما الذهبي فلم يُبين من هم غير العرب الذين تحداهم القرآن، هل هم العجم؟ أم الجن؟ ولم يذكر في تعريفه كذلك استمرار التحدي ليشمل جميع الأجيال بعد جيل النبي ﷺ.

4- أما الكفوي وفضل عباس والبوطي فقد قَصَرَا التحدي على الناس، وقول الكفوي: "يخرج عَن طوق البشر"، ويُقصد بالبشر الإنسان[1]، والتحدي ليس مقتصرًا على البشر فقط بل يشمل الجن أيضًا كما سنقرره في التعريف المختار.

وكذلك ذكر البوطي في تعريفه بعضاً من وجوه الإعجاز – كما يعتقد –، وهذا مكانه ليس في التعريف.

5- أما القطان فقد قَصَرَ التحدي على العرب فقط، وهذا يعني أن التحدي لا يشمل غير العرب من الأمم كالفرس والروم، كذلك لا يشمل الجن، والواقع أنه يشمل الثقلين، مسلمهم وكافرهم، عربهم وعجمهم، على مر العصور والأجيال إلى قيام الساعة.

ولعله قصد العرب أولاً؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، والتحدي كان بلغة القرآن، فإن عجزوا كان غيرهم أعجز من باب أولى، ولكن هذا احتمال يجعل التعريف غير جامع ولا مانع.

6- أما الدكتور صلاح الخالدي فنجده قد قَصَرَ التحدي على الكفار فقط، ودلل على هذا الرأي بقوله: "والذي يدل على أن التحدي موجه للكافرين فقط، هو سياق آيات التحدي، حيث كان يسبقُ طلبَ الإتيانِ بمثل القرآن، تسجيلُ تكذيب الكفار للنبي ﷺ، وزعمهم أنَّ القرآن كلامُه، فيكون تحديهم لنقض زعمهم"[2].

فنقول: يلزم من هذا القول أنّ غير الكفار من المسلمين غيرُ عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن، وهذا لا يقول به أحد من الناس، فالقرآن معجز للجميع بلا استثناء، فالكافر يمثل له الإعجاز دليلاً على صدق الوحي والنبوة، وتُقام عليه الحجة بذلك فيهتدي، والمؤمن يمثل له الإعجاز مزيدًا من الهداية والثبات عليها.

---

(1) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (58/1).

(2) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، (ص 67).

وإن كان ما ذُكر من السياق سببًا مباشرًا للتحدي، لكن القاعدة المتفق عليها عند العلماء: أنّ العبرةَ بعمومِ اللفظِ لا بخصوصِ السببِ[1].

خامسًا: التعريف المختار:

مما سبق نستطيع أن نُعرّفَ إعجاز القرآن بأنه: **إظهار عجز جميع الثقلين عن معارضة القرآن الكريم بمثله، واستمرار تحديهم؛ لإثبات صدق الوحي والنبوة.**

فقولنا: "**إظهار عجز جميع الثقلين**"؛ لأن التحدي لهم جميعًا، فالنبي ﷺ أُرسل للجن والإنس معاً، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ – ٣٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومما يجب أن يُعلم أن الله – تعالى– بعث محمدًا ﷺ إلى جميع الإنس والجن، فلم يبق إنسيّ ولا جنيّ إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ واتّباعه، فعليه أن يصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ومَن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به فهو كافر سواء كان إنسيًا أو جنيًا"[2].

فمن علِمَ هذا؛ علِمَ أن القرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ هو كتاب للطائفتين جميعاً، وبذلك فلا إشكال أن يحصل التحدي لهما بهذا القرآن العظيم.

وهناك وجه بيّن في أنَّ التحدي للثقلين جميعاً، وهو بيان عجز الجميع عن الإتيان بمثله، بدليل قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأفاد بذلك عجز الجميع عنه في حال الاجتماع والانفراد[3].

قال الشيخ الشعراوي: " لما تحدَّى الحق سبحانه وتعالى الكفار بالقرآن تحدَّى الجن أيضاً، فقال: ﴿ قُل

(1) ينظر: موسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقي آل بورنو، (87/12).

(2) مجموع الفتاوى، (303/11).

(3) ينظر: أحكام القرآن، الجصاص (33/1).

﴿ لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ففي هذا الوقت كان يشيع بين العرب أن كل نابغة في أمر من الأمور له شيطان يُلهمه، وكانوا يدَّعُون أن هذه الشياطين تسكن وادياً يسمى (وادي عبقر) في الجزيرة العربية، فتحدّاهم القرآن أنْ يأتوا بالشياطين التي تُلهمهم"[1].

وكذلك أعداء الرسل لا يقتصرون على الإنس فقط، بل فيهم أيضاً كفرة الجن، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ... ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قال ابن كثير: "﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿ عَدُوًّا ﴾ أَي: لَهم أعداءٌ من شياطِين الإنسِ والجنِّ، ومن هؤلاءِ وهؤلاءِ، قبحهمُ اللَّهُ –تعالى– ولعنهم"[2].

والعدو يجتهد في إلحاق الأذى بعدوه وإظهار كذبه، فلو استطاع أعداء الرسل من الجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن لفعلوا ولعرضوه على الناس مباشرة، أو عن طريق أوليائهم من الإنس.

فإن قيل: إن الجنّ " ليسوا ماهرين في اللغة العربية، فكيف يُطلب منهم تأليف كلام بلغة لا يتقنونها؟ "[3].

قلنا: هذا كلام يُعوزه الدليل، فلم يثبت في كتاب ولا سنة أنّ الجنّ لا يعلمون العربية؛ فضلاً عن أنهم ليسوا ماهرين بها.

والتحدي يشمل المسلم والكافر: فالكافر يقع منه التكذيب؛ والزعم بأنَّ القرآن ليس من عند الله تعالى، فيكون تحديه لنقض زعمه.

أما المسلم فمن الممكن أن يقع في نفسه الشك أو الريب أو التردد، وقد وقع الشك في نفوس بعضٍ من خير الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، فعَن أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ، قالَ: (كُنتُ فِي المَسجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قَرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرتُهَا عَلَيهِ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَرَآ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ

---

(1) تفسير الشعراوي، (8640/14).

(2) تفسير القرآن العظيم، (319/3).

(3) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح الخالدي، (ص 69)، وينظر أيضًا: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (22/4)، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (111/2).

شَأْنِهِمَا، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ، ولا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي، ضَرَبَ فِي صَدْرِي، فَفِضْتُ عَرَقًا وكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا ...)[1].

قال النووي: "معناه وسوس لي الشيطان تكذيبًا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية؛ لأنه في الجاهلية كان غافلاً أو متشككًا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب"[2].

فيكون إدراكُ المسلم لإعجاز القرآن عاملَ ثباتٍ، وقوة يقين، يزول به الشك والريب في صدق الوحي والنبوة.

والتحدي للعرب والعجم[3]: وليس للعرب فقط، فآيات التحدي عامة ولم تخصص أحدًا.

ولأن النبي ﷺ بُعث للناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، قال ابن كثير: " قال محمد بن كعب في قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ يعني: إلى الناس عامة، وقال قتادة في هذه الآية: أرسل الله –تعالى– محمدًا ﷺ إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله –تعالى– أطوعهم لله عز وجل"[4].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: ... وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ...)** [5].

ولو كان التحدي للعرب فقط لما بعث رسول الله ﷺ، بالرسائل إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وفي كل رسالة كلام الله تعالى يتلى عليهم.

فإن قيل: لو وُجّه التحدي للعجم "لاحتجوا بأنهم لا يعرفون شيئا عن اللغة العربية، ولا يُتقنون البيان العربي"[6].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، (561/1)، رقم الحديث (820).

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (102/6).

(3) فائدة: الفرق بين الأعجمي والعجمي، والعربي والأعرابي: أن الأعجمي لا يُفصح وإن كان نازلاً بالبادية، والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحًا، أما الأعرابي: فهو البدوي، والعربي: منسوب إلى العرب وإن لم يكن فصيحًا. [ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، (44/6)].

(4) تفسير القرآن العظيم، (518/6).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة/ باب قول النبيِّ ﷺ: " جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، (95/1)، رقم الحديث (438).

(6) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح الخالدي، (ص 69).

قلنا: من أراد نزول ميدان التحدي من غير العرب بسبب عدم تصديقه أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ تعالى، وأنّ محمدًا ﷺ رسولُ الله تعالى، فليتعلم لغة القرآن.

قال الباقلاني: " وإنما احتيج في باب القرآن إلى التحدي؛ لأن من الناس من لا يعرف كونه معجزًا، فإنما يعرف أولاً إعجازه بطريق؛ لأن الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه وصورته، وإنما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزاً، فإن كان لا يعرف بعضهم إعجازه، فيجب أن يعرف هذا، حتى يمكنه أن يستدل به"[1].

وفي تاريخ الإسلام ظهر علماء كبار في اللغة من غير العرب، وكان منهم أصحاب المؤلفات الرائعة في قواعد اللغة العربية، وفي بلاغة القرآن الكريم.

بل إن أعظم كتاب في النحو العربي هو كتاب سيبويه الفارسي[2]، وأشهر كتب إعجاز القرآن الكريم؛ مؤلفوها من غير العرب، نذكر منهم: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البُستي[3]، وعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني[4]، وغيرهم كثير ألفوا الكتب في مختلف الدراسات القرآنية، وفروع العربية وآدابها.

إذن من أراد نزول ميدان التحدي من غير العرب فليتعلم لغة القرآن أو أن يختصر الطريق بأحد أمرين:

الأول: إذا كان المتقدمون في البلاغة والبيان من العرب عجزوا عن التحدي، فغيرهم أضعف وأعجز.

قال الطبري: " قال الله جلّ ثناؤه: وإن كنتم أيها المشركون من العرب، والكفارُ من أهل الكتابين، في شكٍّ مما نزّلنا على عبدنا محمد ﷺ من النور والبرهان وآيات الفرقان: أنه من عندي، وأنّي الذي أنزلته إليه، فلم تُؤمنوا به ولم تصدّقوه فيما يقول، فأتوا بحجة تدفع حُجته، ... وإذا عَجزتم عن ذلك –وأنتم

---

(1) إعجاز القرآن، (ص 251).

(2) إمام النحو، حجة العرب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ثم البصري، توفي سنة ثمانين ومائة، وعاش أربعين سنة. [ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (8/351-352)].

(3) الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان حَمَدْ بن محمد بن إبراهيم الخطابي البُستي، نسبة إلى بُست، وهي مدينة من بلاد أفغانستان اليوم، ولد في رجب 319 هـ، وتوفي بِبُست، في شهر ربيع الآخر، سنة 388 هـ [ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (17/23-26)، شرح رسالة بيان إعجاز القرآن، عمر باحاذق (ص 13)].

(4) شيخ العربية، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، كان شافعيًا، عالمًا، أشعريًا، ذا نسك ودين، وكان آية في النحو، توفي: سنة إحدى وسبعين وأربع مائة وقيل: سنة أربع وسبعين. [ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (18/432-433)].

أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والذَّرابة[1] - فقد علمتم أن غيركم عما عَجزتم عنه من ذلك أعْجزُ"[2].

وقال الباقلاني: " لا يتهيأ لمن كان لسانه غير العربية، من العجم والترك وغيرهم، أن يعرفوا إعجاز القرآن إلا بأن يعلموا أن العرب قد عجزوا عن ذلك، فإذا عرفوا هذا - بأن علموا أنهم قد تحدوا إلى أن يأتوا بمثله، وقرعوا على ترك الإتيان بمثله، ولم يأتوا به - تبينوا أنهم عاجزون عنه، وإذا عجز أهل ذلك اللسان، فهم عنه أعجز"[3].

وقال السيوطي: "وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة"[4].

وقال يحيى بن حمزة الطالبي[5]: " فلأنا نعلم بالضرورة أن العرب الذين قرع أسماعهم التحدى، وخوطبوا به «العين للعين» كانوا لا محالة أقدر على معارضته من غيرهم، لاختصاصهم بما لم يختص به غيرهم من سائر الأقاليم من الفصاحة والبلاغة، فلما عرفنا عجزهم كان غيرهم لا محالة أعجز من ذلك لما ذكرناه"[6].

وقال القاسمي: " وحيث عجز عرب ذلك العصر، فما سواهم أعجز في هذا الأمر ... ! ولم يوجد أحد من معاديه البلغاء إلا وهو مسلِّم، أو ذو استسلام، فدلّ على أنّه ليس من كلام البشر، بل كلام خالق القوى والقدر، أنزله تصديقًا لرسوله -ﷺ-، وتحقيقًا لمقوله"[7].

وقد كانت هذه حجة يحاجج بها العلماء من لا يفقه العربية، فقد أورد الخطابي في رسالته (بيان إعجاز

---

(1) الذَرِبُ: الحادُّ من كل شئ، ولِسانٌ ذَرِبٌ وفيه ذَرابَةٌ، أي حِدَّةٌ. وسيفٌ ذَرِبٌ [ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (127/1)].
(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (373/1).
(3) إعجاز القرآن، (ص 113).
(4) الإتقان في علوم القرآن، (10/4).
(5) هو المؤيد باللَّه يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي: من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن، له الكثير من المصنفات، منها: "نهاية الوصول إلى علم الأصول" ثلاثة مجلدات، و "التمهيد لأدلة مسائل التوحيد"، و "الحاوي" في أصول الفقه، ثلاثة مجلدات، وغير ذلك مما يقال إنه بلغ مائة مجلد، توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة. [ينظر: الأعلام، الزركلي، (143/8- 144)].
(6) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (210/3).
(7) محاسن التأويل، (272/1).

القرآن) قصة حصلت مع العالم الجليل ابن سريج [1] رحمه الله تعالى.

قال الخطابي: " عن أبي العباس بن سريج قال: سأل رجل بعض العلماء عن قول الله عز وجل: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١]، فأخبر أنه لا يقسم، ثم أقسم به في قوله – تعالى-: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين: ١ – ٣].

فقال له ابن سريج: أي الأمرين أحب إليك؛ أجيبك ثم أقطعك؛ أو أقطعك ثم أجيبك؟

قال: لا؛ بل اقطعني ثم أجبني.

فقال له: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال؛ وبين ظهراني قوم؛ كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزًا، وعليه مطعنًا، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا ما أنكرت ..."[2].

الثاني: إن غير العرب لهم أدلة غير الإعجاز تدلهم على صدق الوحي والنبوة، يمكنهم من خلالها إزالة الوساوس من قلوبهم بربانية القرآن.

يقول الدكتور صلاح الخالدي: " إن مشكلة غير العرب مع الإسلام والإيمان بالقرآن والوحي تُحل بمنتهى اليسر؛ إننا لا نخاطب هؤلاء بالإعجاز البياني، ولا ندعوهم إلى تذوق البيان القرآني ... ولكن نخاطبهم بطريقة أخرى، هي أن نقيم لهم الدلائل الكثيرة من (مضامين) القرآن وموضوعاته، على أنه من عند الله –تعالى-، مثل: اللفتات العلمية في القرآن، وأنباء الغيب في القرآن، وتشريعات القرآن ... وغير ذلك"[3].

وقولنا: "**عن معارضة القرآن الكريم بمثله**"، أي: بمثل القرآن؛ لأن التحدي بأن يأتوا بسورة من مثل القرآن، وليس الإتيان بسورة من مثل النبي ﷺ، أي من البشر؛ لأن محمدًا بشرٌ مثلكم.

وهذا الذي عليه جماهير المفسرين، وهو الذي رجحه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري بعد أن ذكر أقوال العلماء في معنى ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾، حيث يقول: " والتأويل الأول، الذي قاله مجاهد وقتادة، – أي:

---

(1) هو شيخ الإسلام، فقيهُ العراقَيْن (يعني البصرة والكوفة)، أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، القاضي الشافعي، صاحب المصنفات، ولد: سنة بضع وأربعين ومائتين، وولي القضاء بشيراز، وكان يُفضل على جميع أصحاب الشافعي، حتى على المُزني، توفي رحمه الله سنة ثلاث وثلاث مائة، [ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (201/14)].

(2) بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (ص 47).

(3) إعجاز القرآن البياني وأدلة مصدره الرباني، (ص 118).

من مثل القرآن – هو التأويل الصحيح؛ لأن الله جَل ثناؤه قال في سُورة أخرى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ... ﴾ [يونس: ٣٨]، ومعلومٌ أنّ السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه، فيجوزُ أنْ يقال: فأتُوا بسورة مثل محمد"[1].

وقال الواحدي: "﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾، أي من مثل القرآن، والكناية في ﴿ مِّثۡلِهِۦ ﴾ تعود إلى (ما) –في– قوله –تعالى–: ﴿ مِّمَّا نَزَّلۡنَا ﴾، ودليل هذا التأويل قوله –تعالى–: ﴿ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾، وقوله: ﴿ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ﴾، كل ذلك يريد به مثل القرآن"[2].

والمثلية تعم كل سورة في القرآن، طالت أم قصرت، والإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها.

قال ابن كثير: " قوله – تعالى–: ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾، وقوله في سورة يونس: ﴿ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾ يعم كل سورة في القرآن طويلة كانت أو قصيرة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط فتعم كما هي في سياق النفي عند المحققين من الأصوليين كما هو مقرر في موضعه، فالإعجاز حاصل في طوال السور وقصارها ... "[3].

وقولنا: " **واستمرار تحديهم** "؛ لأن التحدي باقٍ ليشمل جميع الأجيال بعد النبي ﷺ، فَنَبِيُّنا ﷺ خاتم النبيين فلا نبي بعده، والقرآن خاتم الكتب السماوية فلا كتاب بعده، ولذلك ستبقى الحجة قائمة بالقرآن إلى أن يرثَ الله عز وجل الأرض ومن عليها، فإن ظهر مَن يُعارضُ القرآن بِمثله – وهذا غير ممكن – خرجَ القرآن عن كونه مُعجزًا، ولَمْ يدل على صِدق نبوة محمد ﷺ [4].

وقال الرافعي: " وإنما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه"[5].

وقولنا: " **لإثبات صدق الوحي والنبوة** "، هذه هي الحكمة من إعجاز القرآن، إثبات أن القرآن الكريم حق، وأنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإذا ثبت ذلك؛ فقد ثبت صدق نبوة محمد ﷺ، وأنه رسول الله تعالى إلى الثقلين.

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (374/1).

(2) التفسير البسيط، (238/2).

(3) تفسير القرآن العظيم، (203/1).

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، (71/1).

(5) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (ص 98).

" إذن فالإعجاز يُثبِت صدق الوحي والنبوة، ولكنّ صدق الوحي والنبوة ليس هو الإعجاز، ولا يمثل وجهًا من وجوهه، ولا يرتقي لذلك، وإن كثرت أدلة صدق الوحي والنبوة وتجددت مع استمرار الزمن وتقدمه، وإن تنوعت باختلاف الناس وثقافاتهم، وباختلاف عصورهم وإمكاناتهم.

فهي رحمة من الله عز وجل بالذين لا يتكلمون العربية، ولا يعرفون طريق الإعجاز البلاغي ليصلوا إلى صدق الوحي والنبوة، فجعل لهم طريقًا أيسر وأسهل وصولاً من خلال أدلة علمية أو تشريعية أو غيبية للوصول إلى صدق الوحي وصدق النبوة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ [فصلت: ٥٣].

والمعنى سنُظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآنِ حقًا منزلاً من عند الله عز وجل، على رسوله ﷺ، أو أنّ الرسولَ ﷺ حقٌ، أو أنّ كليهما حق "[1].

(1) من إضافات مشرفي الأستاذ الدكتور عبد السلام حمدان اللوح حفظه الله تعالى.

المطلب الثاني: شروطُ تحقق الإعجاز:

ذكر العلماءُ شروطًا لتحقق الإعجاز وهي[1]:

الشرط الأول: التحدي

والتحدي لغة: هو المباراة، والمنازعة للغلبة، يقال: حداه وتحدّاه وتحرّاه بمعنى واحد.

يقال: فلان يتحدى فلانًا أي يباريه وينازعه الغلبة، وتحدّاه: باراه ونازعه الغلبة، وهي الحُدَيَّا.

وأنا حُدَيَّاك في هذا الأمر: أي ابرز لي فيه وحدك وجارني.

وهو حُدَيَّا الناس: أي يتحداهم ويتعمدهم[2].

واصطلاحًا: "هو المباراة في فعل والمنازعةُ للغلبة، أو طلبُ المباراة على شاهد دعواه"[3].

وعرفه الشيخ محمود شاكر[4] بقوله: " أن تفعل أنت فعلاً، ثم تطالب خصمك بأن يبذل غاية جهده في معارضته والإتيان بمثله، وأنت على ثقة من أنه غير قادر على مثل هذا الفعل، طالبًا بذلك إظهار عجزه وضعفه عن مُسَامَاتِك أوغلبتك أو الظهور عليك"[5].

وقد تحقق هذا الشرط في إعجاز القرآن الكريم، ذلك أن الكفار لما تُليت عليهم آيات القرآن، وبيّن لهم النبي ﷺ أنه كلام الله تعالى؛ وهو الدليل على أنه مرسل من عند الله تعالى؛ طالبوه بآيات مادية كآيات الأنبياء من قبله، فأبى الله تعالى أن يجيبهم إلى ما سألوه، وبيّن أن معجزة نبيه ﷺ هي القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ

---

(1) ينظر: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الزحيلي، (153/1-155)، علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، (ص 27)، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم "والأولى أن يسمى" الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، عبد السلام اللوح، (ص 10).

(2) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، (121/5)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (35/2)، مختار الصحاح، الرازي، (ص68)، القاموس المحيط، الفيروز أبادي، (ص 1273)، لسان العرب، ابن منظور، (168/14).

(3) التعريفات الفقهية، البركتي، (ص 52).

(4) هو أبو فهر، محمود بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، ولد في الإسكندرية في المحرم (1327هـ-1909م)، ويعد شاكر على رأس قائمة محققي التراث العربي، وإنجازاته في هذا المجال كثيرة، تمتاز بالدقة والإتقان، من أشهر الكتب التي حققها: تفسير الطبري، بالإضافة إلى الكثير من المؤلفات، توفي رحمه الله عام (1418 هـ- 1997م).

[ينظر ترجمته: موقع المكتبة الشاملة، http://shamela.ws/index.php/author/2870].

(5) مداخل إعجاز القرآن، (ص 22).

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠ – ٥١]، فتحيروا من هذا القرآن الذي تُلي عليهم، ولم يملكوا إلا أن يكذبوا النبي ﷺ في أصل دعواه أن ما يتلوه عليهم هو دليل نبوته، وقال كبيرهم الوليد بن المغيرة عن القرآن: ﴿ ... إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٤ – ٢٥]، ومادام سحرًا فهو مما يقدر عليه بعض البشر، وهم السحرة، إذن هو من قول البشر وليس كلام الله تعالى كما يدعي النبي ﷺ، وما دام كذلك فبإمكانهم الإتيان بمثل القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١]، فأكذبهم الله تعالى، وأنزل الآية التي تحدى بها جميع الإنس والجن بأن يأتوا بمثل هذا القرآن.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] (1).

قال ابن كثير: " ثم نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم، فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله، لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا، فإن هذا أمر لا يستطاع"(2).

وهذا العجز مستمر إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤].

الشرط الثاني: أن يوجد المقتَضَى الذي يدفع المتحدَّى إلى المباراة والمنازلة:

وقد تحقق هذا الشرط أيضًا في إعجاز القرآن الكريم، فقد أبطل القرآن شركهم، وعاب آلهتهم، وسفّه أحلامهم، وضلل آباءهم، وهذا دافع لهم لتحدى هذه المعجزة ومنازلتها ومعارضتها، غير أنهم لما فشلوا وعجزوا ويئسوا؛ كَذّبوها وجَحَدوها بدلاً عن الإيمان بها.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ... ﴾ [الفرقان: ٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٠].

وقد ورد في السيرة ما يُبين أن دوافع المعارضة كانت متوفرة عند الكفار، فلما عجزوا عنها آثروا

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (327/10)، مداخل إعجاز القرآن، محمود شاكر(ص 29–30).
(2) تفسير القرآن العظيم، (117/5).

تكذيب رسول الله ﷺ، وصاروا يُفتشون عن شبهة ليتهموا بها النبي ﷺ ليصرفوا الناسَ عنه، حيث كانوا يجتمعون في دار الندوة، ويتحاورون فيما بينهم ويتطارحون الآراء في ذلك.

قال ابن هشام: " ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيًا نقول به.

قال: بل أنتم فقولوا أسمع.

قالوا: نقول كاهن.

قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة [1] الكاهن ولا سجعه.

قالوا: فنقول: مجنون.

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه[2]، ولا وسوسته.

قالوا: فنقول: شاعر.

قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحر.

قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عَقْدِهم.

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟

قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لَعَذقٌ [3]، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عُرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر، جاء بقولٍ هو سحرٌ يُفرّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته.

فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره"[4].

---

(1) الزمزمة: صوت خفي لا يكاد يُفهم. [لسان العرب، ابن منظور(274/12)].

(2) خلج: خَلَجَهُ يَخْلِجُهُ خَلْجاً، واخْتَلَجَهُ، إذا جذبه وانتزعه. [لسان العرب، ابن منظور(311/1)].

(3) العَذْق: بِالفَتْحِ، النَّخْلَةُ بحَمْلها. [لسان العرب، ابن منظور(238/10)].

(4) السيرة النبوية، (270/1-271).

الشرط الثالث: أن ينتفي المانع من المباراة والمعارضة والمنازلة:

وقد تحقق هذا الشرط في العرب الذين تحداهم رسول الله ﷺ، فالقرآن نزل بلغتهم، ويتألف من أحرف الهجاء التي ينطقون بها، وعباراته عربية، وأسلوبه عربي مبين، والتحدي الحقيقي يقوم على من يملك أدوات التحدِّي دون من يفقدها، والعرب وقتئذ هم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، اشتهروا بذلك وتباروا بينهم، وعقدوا الندوات والأسواق للشعراء والخطباء والفصحاء، فهم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة وأمراء البيان، وطلب منهم القرآن الكريم أن يتجمعوا، وأن يُعين بعضهم بعضًا، وأن يستمدوا النصرة من آلهتهم وإنسهم وجنهم، وأن يستعينوا بشهدائهم، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣]، وبقي الأمر كذلك مدة دعوة النبي ﷺ، وهذا يؤكد انتفاء المانع من المعارضة في الإتيان بمثل هذا القرآن، مع ما أصابهم من خزي وعار، وما تبع عجزهم من اللجوء إلى الحرب وسفك الدماء، وهذا أشد عليهم، وهذا بخلاف قول المعتزلة القائلين بالصرفة، وهو قول لا قبول له، وقد رده العلماء ولم يقبلوه وجهًا معجزًا[1].

(1) ينظر: حوار مع الرماني، عبد السلام اللوح، (ص 112–115).

المطلب الثالث: هل التحدي مرحليٌّ متدرجٌ؟

جماهير العلماء والمفسرين على أن التحدي كان مرحليًا متدرجًا[1]، فتحداهم الله عز وجل أولاً بأن يأتوا بحديث مثل القرآن من غير تعيين، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣ – ٣٤].

فلما عجزوا أن يأتوا بمثله؛ تحداهم بعشر سور، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

فلما عجزوا أن يأتوا بعشر سور؛ تحداهم بسورة واحدة، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

قال الرازي: " ونظير هذا كمن يتحدى صاحبه بتصنيفه فيقول ائتني بمثله، ائتني بنصفه، ائتني بربعه، ائتني بمسألة منه، فإن هذا هو النهاية في التحدي وإزالة العذر"[2].

وقد عجزوا في كل مراحل التحدي، وبذلك تحقق ما أخبرت به سورة الإسراء – وهي من السور المكية–؛ عن عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، ولو تظاهر على ذلك الإنسُ والجنُّ كلهم أجمعون.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

قال الطبري: " يقول جلّ ثناؤه: قل يا محمد للذين قالوا لك: إنا نأتي بمثل هذا القرآن: لئن اجتمعت

---

(1) ينظر: أحكام القرآن، الجصاص، (33/1)، التفسير الكبير، الرازي، (349/2–350)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة الطالبي (207/3)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (269/4)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، (ص 118)، دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، (ص 362)، إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس، (ص 31–32)، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، (ص 270)، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الزحيلي، (154/1)، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم "والأولى أن يسمى" الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، عبد السلام اللوح، (ص 51–53).

(2) التفسير الكبير، (349/2).

الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لا يأتون أبدًا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض عونًا وظهيرًا"[1].

وقال بعض العلماء بأن التحدي لم يكن متدرجًا؛ لأن آيات التحدي ليست مرتبة، ولا يوجد دليل مقبول من كلام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يثبت ترتيب النزول حسب التدرج من الأكثر إلى الأقل، ولهذا يكون القول بهذا الترتيب قولاً عقليًا لا دليل عليه، ومن ثم يكون قولاً مرجوحًا[2].

وللوصول للحق في هذه المسألة سأقوم بدراسة آيات التحدي؛ وأُبيّنُ أقوال العلماء فيها:

إن آيات التحدي جاءت في كتاب الله تعالى من خلال أربع سور، وهي: سورة الطور وسورة هود وسورة يونس وسورة البقرة، وعند النظر إلى آيات التحدي في السور الثلاثة الأولى: (الطور، هود، يونس) نجدها سور مكية، أما آية التحدي في السورة الرابعة (البقرة) فهي سورة مدنية[3].

وقد ثبت تقرير هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، حيث روى أبو جعفر النحاس في كتابه الناسخ والمنسوخ بسنده عن أبي عمرو بن العلاء قال: سألت مجاهدًا عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي فقال: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: ... فعدَّ سور القرآن المكية والمدنية كلها في القرآن.

قال السيوطي معلقًا على الحديث: "هكذا أخرجه بطوله وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين"[4].

إذن الثابت أن التحدي بالقرآن وبعشر سور وبسورة مثله؛ قبل التحدي بسورة من مثله، ولكن هل التحدي بالقرآن نزل قبل التحدي بعشر سور؟

يعني هل نزلت سورة الطور قبل سورة هود؟ ونزلت سورة هود قبل سورة يونس؟

عند البحث في كلام العلماء نجد خلافًا بين العلماء في ترتيب نزول السور، فأورد السيوطي في الإتقان ترتيبات لنزول سور القرآن، ونسبها إلى جابر بن زيد والحسين وعكرمة وابن عباس[5]، وذكر الخازن في مقدمة تفسيره ترتيبًا مختلفًا[6].

ولذلك يترجح أنه لا يمكن تعيين ترتيب نزول للسور القرآنية يُعتمد عليه، ولا نستطيع أن نجزم أي السور نزلت قبل الأخرى.

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (17/546-547).

(2) ينظر: إعجاز القرآن البياني وأدلة مصدره الرباني، صلاح الخالدي، (ص 61).

(3) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (1/39-43).

(4) المصدر السابق، (1/40).

(5) ينظر: المصدر السابق، (1/40 وما بعدها).

(6) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل- تفسير الخازن، (1/9-10).

قال الدكتور محمد عزة دروزة: "على أن من الحق أن نقول: إنه ليس في الإمكان تعيين ترتيب صحيح لنزول السور القرآنية جميعها، كما أنه ليس هناك ترتيب يثبت بكماله على النقد أو يستند إلى أسانيد قوية ووثيقة"(1).

إذن هل معنى هذا الكلام أن التحدي لم يكن متدرجًا من الأكثر إلى الأقل؟ لقد قال بهذا الرأي بعض العلماء، يقول الدكتور صلاح الخالدي: " الراجح أن التحدي كان مقصودًا بذاته، التحدي بنوع القرآن ومثله، والعجز كان عن نوع القرآن ومثله، يستوي في ذلك كل القرآن وبعضه، وعشر سور منه، وسورة واحدة منه"(2).

ويقول الدكتور فهد الرومي بعد أن استعرض آراء العلماء في مراحل التحدي بالقرآن: "القرآن كله قليله وكثيره على حد سواء في الإعجاز، فليس الإتيان بسورة أسهل من الإتيان بالقرآن كله، فالتحدي في القرآن بالكيف لا بالكم، وبالنوع لا بالمقدار، فلا يهم إذًا أن يكون التحدي بسورة جاء قبل التحدي بعشر سور أو قبل التحدي بالقرآن كله"(3).

وعند النظر إلى كلام الدكتورين الفاضلين الخالدي والرومي، نجدهما بنيا قولهما على أنه لم يثبت دليل على ترتيب آيات التحدي من الأكثر إلى الأقل، والقول بهذا الترتيب قولٌ عقليٌ لا دليل عليه، لكن نرد عليهما بمثل ما قالا، كما أنه لم يثبت دليل صحيح يُعتد به على ترتيب آيات التحدي من الأكثر للأقل، كذلك لم يثبت دليل صحيح يُعتد به أن آيات التحدي غير مرتبة من الأكثر إلى الأقل، ولذلك قولكم هذا قولٌ عقليٌ لا دليل عليه.

ولكن التدرج في أمر التحدي سلوك منطقي، وسبيل من سبل الإقناع العقلي، حتى تكون الحجة أقهر، والبرهان أظهر، فالتحدي يكون أولاً بالأكثر، فإن عجز عنه المتحَدَّى انتقل إلى الأقل، فإن عجز؛ انتقل إلى الأقل، وهكذا، ولذلك قال جماهير العلماء بأن التحدي كان متدرجًا من الأكثر إلى الأقل.

" وهذا لا يرده العقل الصحيح، ولا يدفعه دليل نقلي صريح، ومعلوم أن العقل الصحيح لا يتعارض ولا يتناقض مع النقل الصريح.

حتى لو ثبت بالدليل نزول سورة فيها تحدٍ أقل، أسبق من سورة فيها تحدٍ أكثر، فهذا النزول المبكر أو المتأخر قد يقتضيه سبب نزول السورة، أو أن للسورة أهدافًا أخرى اقتضى التبكير أو التأخير بنزولها؛ لبناء عقيدة أو إلغاء جاهلية، وهذا أمر لا يمنع من أن بعض آيات السورة إذا جُمعت مع مثيلاتها في

(1) التفسير الحديث، (13/1).

(2) إعجاز القرآن البياني وأدلة مصدره الرباني، (ص 61).

(3) دراسات في علوم القرآن الكريم، (ص 270).

الموضوع قد ترتب ترتيبًا حسب ما يقتضيه وحدة الموضوع، بغض النظر عن زمن نزول السورة التي ذكر فيها المقطع أو ذاك.

أضف لذلك أن السورة قد يتقدم بعضها في النزول، ويتأخر بعض آخر، وجماع الأمر أن وحدة الموضوع للآيات المتعلقة بقضية واحدة هي التي تقتضي تقديم بعض الآيات أو تأخيرها حسب الحاجة والضرورة "[1].

---

(1) من إضافات مشرفي الأستاذ الدكتور عبد السلام حمدان اللوح حفظه الله تعالى.

المطلب الرابع: ما هو الأمر الذي وقع به التحدي وأعجز الثقلين؟

لأجل أن نفهم الأمر الذي وقع به التحدي لا بد أن نفهم المراد بالمثلية في التحدي والإعجاز.

وقبل الشروع في بيان المراد بالمثلية في التحدي والإعجاز؛ سأُبيّن معنى المِثلية في لغة العرب.

أولاً: تعريف المِثْل لغةً:

المِثْل: كلمة تسوية، تدل على مناظرة الشيء للشيء.

وهذا مِثْلُ هذا، أي نظيره، والمِثْلُ والمِثَالُ في معنى واحد. وربما قالوا مثيل كشبيه.

وتقول العرب: أمثَلَ السلطانُ فلانًا: أي قتله قودًا، والمعنى: أنه فعل به مثل ما كان فعله.

وقولهم: مثَّل به، إذا نكّل، هو من هذا أيضًا؛ لأن المعنى فيه أنه إذا نكّل به جعل ذلك مثالاً لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه.

والفرق بين المماثلة والمساواة؛ أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين؛ لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين، تقول: نحوُه كنحوِه وفِقهُه كفِقهِه ولونُه كلونِه وطعمُه كطعمِه، فإذا قيل: هو مِثْله على الإطلاق فمعناه أنه يسد مسده.

وإذا قيل: هو مِثله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة[1].

عند استعراض أقوال علماء اللغة في المثلية يتبين الآتي:

أ- المِثلية هي مناظرة الشيء للشيء، سواء بالمعنى أو الحقيقة.

ب- لا تكون المثلية إلا في المتفقين.

ج- هناك فرق بين المِثلية عند الإطلاق؛ والمِثلية في جانب من الجوانب.

ثانيًا: أقوالُ المفسرينَ والعلماءِ في المِثلية:

اختلف المفسرون في معنى المثلية في آية التحدي في سورة البقرة إلى أقوال:

القول الأول: إن الضمير يعود على القرآن، فالتحدي أن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن[2].

---

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (5/296-297)، المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (ص 759)، لسان العرب، ابن منظور، (11/610).

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (1/373-374)، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (1/159)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (27/66).

القول الثاني: إن الضمير يعود على التوراة والإنجيل، فالمعنى فأتوا بسورة من كتاب مثله فإنها تصدق ما فيه.

القول الثالث: إن الضمير يعود على رسول الله ﷺ، والمعنى: فأتُوا بسورة من مثل محمد ﷺ من البشر؛ لأن محمدًا بشرٌ مثلكم[1].

والصحيح الراجح هو القول الأول، وهو أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، وهذا الذي رجحه جماهير العلماء كالطبري، وابن حيان، وابن كثير، وابن عاشور، وغيرهم، ورجحانه من وجوه[2]:

الأول: أن الارتياب أولاً إنما جيء به مُنصبًّا على المُنَزّل أي القرآن الكريم؛ لا على المُنَزّل عليه وهو محمد ﷺ، وإن كان الريب في المُنَزّلِ ريبًا في المُنَزّلِ عليه بالالتزام، فكان عود الضمير عليه أولى.

الثاني: أنه قد جاء في نظير هذه الآية وهذا السياق قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾، ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾، ﴿ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾، وفي هذه الآيات دلالة واضحة أن المقصود بالمثلية، مثلية القرآن، والمثلية لا تكون إلا في المتفقين.

الثالث: أن الضمير لو كان عائداً إلى القرآن لاقتضى كونهم عاجزين عن الإتيان بمثله سواء اجتمعوا أو انفردوا، وسواء أكانوا أمّيين أو عالمين، أما لو كان عائداً إلى محمد ﷺ فذلك لا يقتضي إلا كون آحادهم من الأمّيين عاجزين عنه؛ لأنه لا يكون مثل محمد ﷺ إلا الشخص الأمي، فأما لو اجتمعوا وكانوا قارئين لم يكونوا مثل محمد ﷺ؛ لأن الجماعة لا تماثل الواحد، والقارئ لا يكون مثل الأمي، ولا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى.

الرابع: لأن التحدي عام لهم كلهم، مع أنهم أفصح الأمم، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة، مع شدة عداوتهم له وبغضهم لدينه، ومع هذا عجزوا عن ذلك.

الخامس: أننا لو صرفنا الضمير إلى محمد ﷺ لكان ذلك يوهم أن صدور مثل القرآن ممن لم يكن مثل محمد في كونه أمياً ممكن، ولو صرفناه إلى القرآن لدلّ ذلك على أن صدور مثله من الأمي ومن غير الأمي ممتنع فكان هذا أولى.

---

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (373/1)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (232/1)، فتح القدير، الشوكاني (62/1).

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، (373/1-374)، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، (169/1-170)، التفسير الكبير، الرازي، (349/2-350)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (199/1)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (65/1)، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (159/1)، التحرير والتنوير، ابن عاشور،(66/27).

وقد حَمَلَ السخاوي[1] على من قال بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ عائد على النبي ﷺ، فقال: " وأما من قال في قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾: إن الهاء تعود على النبي ﷺ، أي من مثل محمد ﷺ في أميته، لا يعرف هو ولا قومه ما في القرآن من الأنباء، ... –وهو– كلام من ركب الخطر، ولم يُنعم النظر؛ لأن كلامه يقتضي أنّ بعض الناس يقدر على الإتيان بمثله، وهم العلماء بالسير، والممارسون للكتب"[2].

وبالنسبة لبقية آيات التحدي، فجماهير المفسرين على أن الضمير في قوله تعالى:﴿ مِّثْلِهِۦ ﴾ عائد على القرآن، والتحدي أن يأتوا بسورة من مثل القرآن.

فإذا ثبت أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ عائد على القرآن، والمثلية المطلوبة في التحدي هي مثلية القرآن، فهل تدخل مضامين القرآن العلمية والغيبية والتشريعية في هذا التحدي؟ هذا هو محل الخلاف في المسألة، وهذا الذي جعل الكثير من العلماء يقولون بتعدد وجوه الإعجاز؛ لأنهم جعلوا مضامين القرآن العلمية والغيبية والنفسية وغيرها وجوه إعجاز للقرآن.

والباحث يرى أن المثلية المطلوبة في التحدي هي المثلية البيانية فقط، أما مضامين القرآن العلمية والغيبية والتشريعية وغيرها فغير داخلة في التحدي، وهي ليست من المثلية المطلوبة، وبالتالي لا يصح أن نسميها وجوه إعجاز، وإنما هي أدلة على صدق الوحي والنبوة، ومما يدل على هذا:

1- كلمة ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ... ﴾ [هود: ١٣].

" إن ﴿ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ صفة مجرورة لكلمة ﴿ سُوَرٍ ﴾، والمعنى: أنتم تقولون: محمد ﷺ افترى القرآن، وكَذَبَ في نسبته إلى الله –تعالى–، ومع ذلك تعترفون أنه بيانٌ بليغٌ فصيحٌ رائعٌ، فأتوا بعشر سور من

(1) هو شيخ القراء والأدباء، علم الدين، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني، المصري، السخاوي، الشافعي، نزيل دمشق، كان إماما في العربية، بصيرًا باللغة، فقيهًا، مفتيًا، عالمًا بالقراءات وعللها، مجودًا لها، بارعًا في التفسير، شرح (الشاطبية) في مجلدين، وله كتاب (جمال القراء)، وكتاب (منير الدياجي في الآداب)، توفي رحمه الله في الثاني عشر من جمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وستمائة [ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (122/23-124)].

(2) جمال القراء وكمال الإقراء، (214/1).

تأليفكم وبيانكم، هي مفتريات مكذوبات، لكنها مثلُ هذا القرآن في سُموّ بيانه، وروعة أسلوبه، ... فلم تطلب منهم علمًا صائبًا، ولا أخبارًا صادقة، ولا معانيَ رفيعة، ولا حقائق موضوعية ... "[1].

2- سياق آيات التحدي في غير ما موطن يشير إلى أنَّ المراد النظم والبيان العربي دون ما سواه، والذي يدلُّ على ذلك أنَّ العرب فهموا ذلك، فلما أرادوا وصف ما جاء به النبي ﷺ راحوا يذكرون أصناف أصحاب القول والبيان عندهم، فزعموا أنه قول شاعر، وزعموا أنه قول كاهن، وزعموا أنه قول ساحر، حتى إذا أعياهم ذلك، وصارت حجتهم ضعيفة زعموا أنه قول مجنون[2].

قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۞ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۞ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۞ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٢٩ - ٣٤].

إذن لا دخل للمضامين العلمية والغيبية والتشريعية في موضوع التحدي، وليست هي من المثلية المطلوبة؛ لأن المثلية التي تحدى الله عز وجل بها الثقلين وأعجزتهم؛ هي المثلية البيانية البلاغية التامة، فما هي عناصر البيان القرآني المعجز؟

ثالثًا: عناصر البيان القرآني المعجز:

البيان هو النطق والكلام، وهو من نِعم الله تعالى على الإنسان، ويتميز به عن باقي المخلوقات الحية على وجه الأرض، وهو ضروري ليعيش الإنسان حياته، ويعبر عما في نفسه، ويتفاهم به مع الآخرين، ولعله لأجل تميز الإنسان بالبيان، جاءت آية النبي ﷺ العظمى بيانية، للإشارة إلى أن هذه الرسالة القرآنية الإسلامية هي رسالة للإنسان، في أي زمان ومكان[3].

والبيان ليس وقفًا على لغة من اللغات، أو أمة من الأمم، فكل أمة تعتمد على البيان والنطق مهما كانت لغتها، ولكن اختيار لغة العرب لإنزال القرآن بها، ولحمل رسالة الإنسان بها، يشير إلى فضيلة بيانية جامعة امتازت بها هذه اللغة عن غيرها من اللغات[4].

ومن المقرر أن فكرة إعجاز القرآن كانت من أقوى البواعث على نشأة علم البلاغة، إن لم تكن أقواها جميعًا، ولذلك درس الأدباء قضية الإعجاز في علم البلاغة، وحاولوا إثبات بلاغة القرآن، من خلال

---

(1) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح الخالدي، (ص 59).
(2) ينظر: الإعجاز العلمي إلى أين، مساعد الطيار، (ص 49).
(3) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح الخالدي، (ص 119).
(4) ينظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان زرزور، (187-188).

جمعهم نماذج من الأدب – شعره ونثره – ليوازنوها بالقرآن، فألَّف الجاحظُ كتابَه "نظم القرآن"، وألَّف الجرجاني كتابَه "دلائل الإعجاز"، وكتاب الجرجاني يصلح دليلاً على أن علم البلاغة نشأ من فكرة الإعجاز، ومع مرور الأيام أصبحت كلمة الإعجاز تطلق على علم البلاغة(1).

وقد اختلف العلماء والأدباء في اللفظ والمعنى والنظم، في أيها تكمن بلاغة القرآن التي أعجزت الثقلين، وأيها المُقَدّم على الآخر، فمنهم من قدم اللفظ، ومنهم من قدم المعنى، ومنهم من قدم النظم، وغير ذلك من الأقوال مما سأفصله قريبًا.

وقبل الخوض في هذا الموضوع سيعرّف الباحث المصطلحات الواردة.

أ- تعريفُ اللفظِ لغةً واصطلاحًا:

لَفْظ: اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالبُ ذلك أن يكون من الفم. واللفظ: واحد الألفاظ، ولفظتُ بالكلام وتلفظّتُ به: أي تكلمتُ به.

ولفظتُ الشيءَ من فمي ألفظه لفظًا، أن ترمي بشيء كان في فِيك(2).

وتعريفُ اللفظِ اصطلاحًا: "ما يتلفظ به الإنسان أو من في حكمه، مهملاً كان أو مستعملاً"(3).

ب- تعريفُ المعنى لغةً واصطلاحًا:

عَنَى: تأتي بثلاثةِ معانٍ:

الأول: القصدُ للشيء والحرصُ عليه.

الثاني: الخضوعُ والذلُّ.

الثالث: ظهورُ شيءٍ وبروزه(4).

تقول: "عنوتُ الشيءَ: أي أبديتُه، وعنوتُ به وعنوتُه: أخرجتُه وأظهرتُه"(5).

---

(1) ينظر: فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، (ص45-46).

(2) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (259/5)، لسان العرب، ابن منظور، (461/7).

(3) التعريفات، الجرجاني، (ص 192).

(4) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (146/4).

(5) لسان العرب، ابن منظور، (103/15).

والمعنى اصطلاحًا: "هو القصدُ الذي يبرزُ ويظهرُ في الشيء إذا بُحثَ عنه"[1].

ج- تعريفُ النظمِ لغةً واصطلاحًا:

قال ابن منظور: " النظمُ لغةً: التأليف، نَظَمَه ينظِمُه نظمًا ونِظامًا.

يُقَال: أتانا نظم من جَراد: صف كثير منهُ، ونظمتُ اللؤلؤ: أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض، فقد نظمته.

والنظم: المنظوم، وصف بالمصدر.

والنظام: ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبة منه وأصل نظام، ونظام كل أمر: ملاكه، كذلك هو في كل شيء حتى يقال: ليس لأمره نظام، أي لا تستقيم طريقته"[2].

والنظمُ في الاصطلاحِ: "تأليفُ الكلماتِ والجُمَل مترتبةَ المعاني، متناسبةَ الدلالات، على حسب ما يقتضيه العقلُ، وقيل: الألفاظُ المترتبةُ المسوقةُ المعتبرةُ دلالاتها على ما يقتضيه العقلُ"[3].

د- أقوال العلماء والأدباء في حقيقة بلاغة القرآن:

وقد حصرتها في خمسة أقوال:

الأول: من يُقدم المعنى على اللفظ:

ويَنسب إلى المعنى كل فضل في صناعة الأدب ونقده، وممن قال بهذا ابن جني[4] في كتابه "الخصائص"، وضياء الدين ابن الأثير[5] في كتابه "المثل السائر".

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (148/4).

(2) لسان العرب، (578/12)، بتصرف.

(3) التعريفات، الجرجاني، (ص 242).

(4) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، إمام العربية، صاحب التصانيف، وُلد: قبل الثلاثين وثلاث مائة، وكان أعورًا، لزم أبا علي الفارسي دهرًا، وسافر معه حتى برع وصنف، وسكن بغداد، وتخرج به الكبار، توفي رحمه الله: في صفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة من الهجرة. [ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (17/17-19)].

(5) هو العلامة، الوزير، ضياء الدين، أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، ابن الأثير، وُلد في سنة ثمان وخمسين وخمس مائة، ونشأ بالموصل، وحفظ القرآن، وأقبل على النحو واللغة والشعر والأخبار، توفي في ربيع الآخر، سنة سبع وثلاثين وست مائة. [ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (72/23)].

قال ابن جني: " فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها، وحموا حواشيها وهذبوها، وصقلوا غروبها[1] وأرهفوها، فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني، وتنويه بها، وتشريف منها ..."[2].

ويقول ابن الأثير: " اعلم أن العرب كانت تعتني بالألفاظ فتصلحها وتهذبها، فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها، وأشرف قدرًا في نفوسها، فأول ذلك عنايتها بألفاظها؛ لأنها لما كانت عنوان معانيها، وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحوها وزينوها، ... فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم، وحسنوها ورققوا حواشيها، وصقلوا أطرافها، فلا تظن أن العناية إذا ذاك إنما هي بألفاظ فقط، بل هي خدمة منهم للمعاني، ونظير ذلك إبراز صورة الحسناء في الحلل الموشية والأثواب المحبرة، فإنا قد نجد من المعاني الفاخرة ما يُشوّه من حُسنه بذاذة لفظه، وسوء العبارة عنه ..."[3].

وقد حمل ابن الأثير على أنصار اللفظ حملة شديدة اتهمهم فيها بالجهل، حيث يقول: " وقد رأيت جماعة من متخلفي هذه الصناعة يجعلون همهم مقصورًا على الألفاظ التي لا حاصل وراءها، ولا كبير معنى تحتها، وإذا أتى أحدهم بلفظ مسجوع على أي وجه كان من الغثاثة، والبرد يعتقد أنه قد أتى بأمر عظيم، ولا يشك في أنه صار كاتبًا مُفْلقًا، إذا نُظِر إلى كُتاب زماننا وُجدوا كذلك، فقاتل الله –تعالى– القلم الذي يمشي في أيدي الجهال الأغمار، ولا يعلم أنه كجواد يمشي تحت حمار ..."[4].

الثاني: من يقدم اللفظ على المعنى:

ويقابل الرأي السابق اتجاه آخر يقدم اللفظ على المعنى، ويسمو بالألفاظ في نظرته لها، ويجعل المعنى دونها وإن كانت الصلة بين العنصرين وثيقة العرى، وممن يقدم اللفظ على المعنى قدامة بن جعفر[5] وابن خلدون وابن سنان الخفاجي[6].

---

(1) هي استعارة من غروب الأسنان، أي أطرافها وحدتها [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (643/1)].

(2) الخصائص، (218/1).

(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (52/2–53)، وينظر: الخصائص، ابن جني، (216/1)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، (81/1).

(4) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (51/2).

(5) هو أبو الفرج، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، كاتب، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة، كان في أيام المكتفي باللّه العباسي، وأسلم على يديه، يُضرب به المثل في البلاغة، وتوفي ببغداد سنة 337هـ. [ينظر: الأعلام، الزركلي، (191/5)].

(6) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، (83/1–84).

وقد ذكر الدكتور عبد العظيم المطعني أن الجاحظ من الذين ينتصرون للألفاظ على حساب المعاني(1)، مستندًا في ذلك على قولته الشهيرة: " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدويّ والقروي، والمدنيّ ..."(2)، والحقيقة أنّ الجاحظَ لم يتنصرِ لِلّفظ على حساب المعنى، وهذا ما سيبينه الباحث بالأدلة في القسم الرابع.

الثالث: من يقول إن البلاغة باللفظ والمعنى:

وهذا الذي ذهب إليه الرماني، حيث رد على أنصار اللفظ وحده، وأنصار المعنى وحده، وبيّن أن البلاغة إنما تكون بإيصال المعاني إلى القلب بأحسن الألفاظ.

يقول الرماني : " وليست البلاغة إفهام المعنى؛ لأنه قد يُفهِم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عَيِيّ؛ ولا البلاغة أيضاً بتحقيق اللفظ على المعنى؛ لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ..." (3).

الرابع: من يقدم النظم على المعنى واللفظ:

وهذا رأي الجاحظ، حيث لم يتنصرِ للّفظ على حساب المعنى، أو للمعنى على حساب اللفظ، وجعل اللفظ والمعنى في مقابل الجسد والروح؛ إذ إن "الأسماء في معنى الأبدان، والمعاني في معنى الأرواح. اللفظ للمعنى بدنٌ، والمعنى للفظ روح"(4).

ويقول في البيان والتبيين: "ومَنْ أرادَ معنًى كريمًا فليلتمسْ له لفظًا كريمًا، فإن حقَّ المعنى الشريف اللفظُ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ..." (5).

والجاحظ هو صاحب نظرية النظم، وهو أول من قال بها، وله فضل وضع الأسس التي شيد عليها أخلافُه حُجَجَهُم، ولكنه لم يتوسع في شرح نظرية النظم والاستشهاد عليها بأمثلة من القرآن ومن كلام العرب، كما فعل من قالوا بها بعده كعبد القاهر الجرجاني(6).

---

(1) ينظر: المصدر السابق، (83/1).

(2) الحيوان، (67/3).

(3) النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، (ص 75-76).

(4) رسائل الجاحظ، (262/1).

(5) البيان والتبيين، (129/1).

(6) ينظر: أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه)، عبد الفتاح سلامة، (ص 100)، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، نعيم الحمصي، (ص 56-57).

ويُنسب إلى الجاحظ كتاب في النظم خاصة يسمى "نظم القرآن"، وقد ذكره الجاحظ في مقدمة كتابه "الحيوان" في ثنايا ردّه على بعض من انتقد كتاباته ورسائله، حيث يقول: " ... عِبتَ كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه ..." [1].

وقد ألّف الجاحظ كتابه "نظم القرآن" للرد على صاحبه النَّظّام، الذي سلب نظم القرآن وتأليفه وبيانه كل فضل وفضيلة، وقصر إعجاز القرآن على الصرفة، وما فيه من الإخبار بالغيوب[2].

قال الجاحظ: " كتبتُ لك كتاباً، أجهدتُ فيه نفسي، وبلغتُ منه أقصى ما يُمكن مثلي في الاحتجاج للقرآن، والرد على كل طعان. فلم أدع فيه مسألة لرافضي، ولا لحديثي، ولا لحشوي، ولا لكافر مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظام، ولمن نَجَم بعد النظام، ممن يزعم أن القرآن خُلِق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة.

فلما ظننتُ أني قد بلغتُ أقصى محبتك، وأتيتُ على معنى صفتك، أتاني كتابُك تذكر أنك لم تُرد الاحتجاج لنظم القرآن، وإنما أردت الاحتجاج لخلق القرآن. وكانت مسألتك مبهمة، ولم أك أن أحدث لك فيها تأليفًا، فكتبتُ لك أشقَّ الكتابين وأثقلهما، وأغمضهما معنىً وأطولهما"[3].

ثم بيّن رفضه لكلام النظّام أحسن إبانة، فقال: " لأن رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة، طويلة أو قصيرة، لتبين له في نظامها ومخرجها، وفي لفظها وطبعها، أنه عاجز عن مثلها. ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها. وليس ذلك في الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين ..." [4].

وكتاب نظم القرآن للجاحظ كتاب مفقود، مع شهرته المستفيضة التي كانت عند أهل القرنين الرابع والخامس من الهجرة، وليس في أيدينا منه نصوص تذكر، وإنما نقتصر في ذلك على قول الجاحظ نفسه، وعلى بعض أقوال من رأى الكتاب، وكان أقربهم زمنًا للجاحظ: ابن الخياط المعتزلي[5]، حيث يقول في كتابه "الانتصار" : " فمن قرأ كتاب عمر بن بحر الجاحظ في الرد على الشيعة، وكتابه في

---

(1) الحيوان، (11/1).

(2) ينظر: مداخل إعجاز القرآن، محمود شاكر، (ص 63).

(3) الرسائل، (287/3).

(4) الرسائل، (229/3)، ينظر أيضًا: مداخل إعجاز القرآن، محمود شاكر، (ص 64).

(5) هو عبد الرحيم بن محمد بن عثمان أبو الحسين الخياط، أحد متكلمي المعتزلة، كان رئيسًا مقدمًا، عالمًا بالكلام، فقيهًا، صاحب حديث، واسع الحفظ، يتقدم سائر المتكلمين من أهل بغداد. [ينظر: لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، (164/5)].

الأخبار وإثبات النبوة، وكتابه في نظم القرآن، عَلِمَ أن له في الإسلام غناءً عظيمًا، لم يكن الله عز وجل ليضيعه له" [(1)].

وجاء بعد الجاحظ الإمام عبد القاهر الجرجاني، فاستفاد ممن سبقه من العلماء، وأكد هذه الحقيقة – كونه مسبوقًا بغيره وأنّه استفاد ممّن سبقه – في غير ما موضع من كتابه دلائل الإعجاز، حيث يقول: "وقد علمْتَ إطباقَ العلماءِ على تعظيمِ شأنِ "النظم" وتخيم قَدْره، والتنويهِ بذكرهِ، وإجماعَهم أنْ لا فضلَ مع عَدمِهِ، ولا قَدْر لكلامٍ إذا هو لم يَستقمْ لَهُ، ولو بلغَ في غَرابةِ معناهُ ما بَلغَ، وبَتَّهُمُ الحُكمَ بأنه الذي لا تَمامَ دونَه، ولا قِوام إلاَّ بهِ، وأَنه القطُبُ الذي عليه المَدارُ، والعَمودُ الذي به الاستقلال"[(2)].

والجرجاني هو الذي شرح نظرية النظم، وبيّن أن النظم هو وجه الإعجاز في القرآن، وهو الذي يحقق المثلية في التحدي، حيث يقول في رسالته الشافية: " فإن التحدي كان إلى أن يجيئوا في أي معنىً شاءوا من المعاني بنظم يبلغ نظم القرآن في الشرف أو يقرب منه، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ... قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ... ﴾ [هود: ١٣]، أي مثله في النظم، وليكن المعنى مفترى كما قلتم، فلا إلى المعنى دعيتم، ولكن إلى النظم ..."[(3)].

وفي كتابه دلائل الإعجاز يوضح مقصوده بالنظم عند إجابته على سؤال: ما الذي أعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن؟

فيقول: " أعجزتهم مزايا ظهرتْ لهم في نظمهِ، وخصائصُ صادفوها في سِياق لفظه، وبدائعُ راعَتْهم من مبادئ آيهِ ومقاطِعها، ومجاري ألفاظِها ومواقعها ... "[(4)].

وممن قال بإعجاز نظم القرآن، الطبري والباقلاني والقاضي عياض والسخاوي.

قال الطبري: " ومن أشرفِ تلك المعاني التي فَضل بها كتابُنا سائرَ الكتب قبله، نظْمُه العجيبُ ورصْفُه الغريب وتأليفُه البديع؛ الذي عجزتْ عن نظم مثْلِ أصغرِ سورة منه الخطباء، وكلَّت عن وَصْف شكل بعضه البلغاء، وتحيَّرت في تأليفه الشُّعراء، وتبلَّدت –قصورًا عن أن تأتيَ بمثله– لديه أفهامُ الفُهماء، فلم يجدوا له إلا التسليمَ والإقرار بأنه من عند الواحد القهار"[(5)].

---

(1) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، (ص 22)، ينظر أيضًا: مداخل إعجاز القرآن، محمود شاكر، (ص 70–71).

(2) دلائل الإعجاز، (ص 80).

(3) الرسالة الشافية، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (ص 141).

(4) دلائل الإعجاز، (ص 39).

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (199/1).

وقال الباقلاني: " والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه "[1].

وقال القاضي عياض: " الوجه الثاني من إعجازه: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، وَوَقَفَتْ مقاطع آيه وانتهت فواصل كلمات إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم، وتدلهت – تحيرت – دونه أحلامهم، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ..." [2].

وقال السخاوي: " ولكن إعجاز القرآن من قِبَل أنه خارج في بديع نظمه، وغرابة أساليبه عن معهود كلام البشر، مختص بنمط غريب، لا يشبه شيئًا من القول في الرصف والترتيب"[3].

الخامس: من يقول أن البلاغة تتحقق باللفظ والمعنى والنظم:

وقد قال بهذا الإمام الخطابي في رسالته المسماة: (بيان إعجاز القرآن)، فبيّن أن الناس أكثروا الكلام في وجوه إعجاز القرآن، والسبب في ذلك برأيه؛ تعذّرُ معرفة وجه الإعجاز في القرآن، وتعذر معرفة الأمر في الوقوف على كيفيته، وبناء على ذلك ردَّ أقوالاً ووجوهًا في الإعجاز فلم يقبلها.

فرفض القول بالإعجاز دون إثبات، ورفض وجه الإعجاز بالصرفة، ورفض وجه الإعجاز في أخبار غيب المستقبل، ورفض وجه الإعجاز بالبلاغة دون بيان أو تفصيل لكيفية إعجازها[4].

ثم أظهر الخطابي رأيه في الإعجاز البلاغي، وبرهن كيف أن البلاغة قد مثّلت وجه الإعجاز في القرآن، فقال: " فدلّ النظر وشاهد العِبر على أَن السبب له، والعلة فيه أَن أَجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متساوية؛ فمنها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل؛ ومنها الجائز الطلق الرَّسْلُ، وهذه أَقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه أَلبتة"[5].

---

(1) إعجاز القرآن، (ص 35).

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (264/1).

(3) جمال القراء وكمال الإقراء، (206/1).

(4) ينظر: الإعجاز البلاغي عند أبي سليمان الخطابي- دراسة وتحليل، عبد السلام اللوح وعبد الله الملاحي (ص9-17).

(5) بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (ص 26)، وينظر: الإعجاز البلاغي عند أبي سليمان الخطابي- دراسة وتحليل، عبد السلام اللوح وعبد الله الملاحي (18).

ثم بيّن الخطابي أن القرآن الكريم أخذ حصة من كل قسم من أقسام الكلام الفاضل المحمود، ثم امتزجت هذه الأوصاف فخرج نمط من الكلام يجمع بين الكلام الفخم الجزل، والسهل العذب في آن واحد، ليلائم ذلك جميع طبقات الناس، وكلٌ يجد فيه حاجته وبغيته[1].

وبيّن الخطابي أن الكلام لا يقوم إلا بثلاثة أركان:

1- لفظ حامل.

2- معنى به قائم.

3- رباط لهما ناظم.

وهذه الأمور الثلاثة تحققت في القرآن الكريم، فلا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤمًا وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاءَ على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها[2].

أما الثقلان فيتعذر عليهم الإتيان بمثل القرآن، وذلك للأسباب الآتية:

1- إن علمهم لا يحيط بجميع أسماءِ اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها.

2- لا تدرك أَفهامهم جميع معاني الأَشياء المحمولة على تلك الأَلفاظ.

3- ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأَفضل عن الأَحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله.

ولذلك لا يمكن أن توجد هذه الفضائل مجتمعة في كلام الثقلين، واجتماعها في نوع واحد من الكلام لا يوجد إلا في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا.

ولذلك فالقرآن صار معجزًا؛ لأَنه: جاءَ بأَفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمنًا أصح المعاني[3].

فالمثلية المعجزة للخلق في نظر الخطابي هي ألفاظ القرآن ومعانيه ونظمه دون إسقاطٍ أو تهاونٍ لأي من هذه الأركان الثلاثة، حالة كونها مجتمعة لا انفصام بينها، ولا اعتبار لبعضها دون البعض الآخر، وهذه الأمور الثلاثة تمثل الجانب اللغوي باعتباره لفظًا ونظمًا ومعنىً.

---

(1) ينظر: الإعجاز البلاغي عند أبي سليمان الخطابي- دراسة وتحليل، عبد السلام اللوح وعبد الله الملاحي (19).

(2) ينظر: بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (ص 27).

(3) ينظر: بيان إعجاز القرآن للخطابي، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (ص 26-27).

وهذا الإعجاز البلاغي الذي ذهب إليه الخطابي شامل لكل سور القرآن الكريم بلا استثناء، كلها ينظمها نظم بليغ بألفاظ فصيحة، متضمنة أروع المعاني [1].

وقد وافق الزركشيُّ الخطابيَّ في قوله، فقال:

" السادس: -وصححه ابن عطية وقال-: إنه الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه، وأن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، ووجه إعجازه أن الله تعالى أحاط بكل شيء علمًا، وأحاط بالكلام كله علمًا، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن؛ علِم بإحاطتِهِ أيَّ لفظةٍ تصلحُ أن تليَ الأولى، ويتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم بالضرورة أنّ أحدًا من البشر لا يحيط بذلك، وبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة"[2].

والباحثُ يوافق الخطابيِّ رحمه الله تعالى في قوله، فالمثلية المعجزة للخلق هي ألفاظ القرآن ومعانيه ونظمه دون إسقاطٍ أو تهاونٍ لأي من هذه الأركان الثلاثة، وهي التي يعجز الثقلان عن الإتيان بمثلها، حتى لو كانت أقصر سورة من سور القرآن، وهي علة العجز، وسيبقى هذا العجز إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

---

(1) ينظر: بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز القرآني- بحث محكم-، عبد السلام اللوح، (ص 19)، الإعجاز البلاغي عند أبي سليمان الخطابي- دراسة وتحليل، عبد السلام اللوح وعبد الله الملاحي (21).

(2) البرهان في علوم القرآن، (97/2).

المطلب الخامس: الفرقُ بينَ الوجهِ المعجزِ وأدلةِ صدقِ الوحيِ والنُّبوةِ:

قبل الكلام في الفرق بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة؛ لا بد من بيانِ حقيقتين عظيمتين، والفصلِ بينهما فصلاً ظاهرًا دون لَبس، وهما:

الحقيقة الأولى: إعجازُ القرآنِ دليلٌ على صدق نبوة محمد ﷺ وعلى أنه رسول يوحى إليه هذا القرآن.

الحقيقة الثانية: إنَّ إثباتَ دليل النبوة، وتصديقَ دليل الوحي، لا يُثبت إعجاز القرآن؛ لأن الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور ليست معجزة، ولكن:

القرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن[1].

ولذلك فإن الباحث لا يسعى لإثبات إعجاز القرآن، وإنما يسعى لإثبات صدق الوحي والنبوة، وذلك من خلال الأدلة الغيبية الواردة في القرآن الكريم.

أولاً: الوجهُ المعجزُ للقرآنِ الكريم:

عند الحديث عن الوجه المعجز؛ لا بد من تحري أمرين في ذلك[2]:

الأول: الأمر الذي وقع به التحدي:

والقرآن قد تحدى العرب بما اشتهروا به، وقد اشتهروا بالبلاغة والبيان.

فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ، " وكان ذلك في زمان سما فيه شأن البيان، وجلّت مكانته في صدور أهله، وعرفوا باللسن والفصاحة، وقوة العارضة في الإعراب عن خوالج النفوس، والإبانة عن مشاعر القلوب، وظل رسول الله صلوات الله عليه، يتحداهم بما كانوا يعتقدون في أنفسهم القدرة عليه، والتمكن منه، ولم يزل يقرَعهم ويُعجزهم، ويكشف عن نقصهم، حتى استكانوا وذلوا، وطبع عليهم الخزي بطابعه، وصاروا حيال فصاحته في أمر مريج"[3].

لقد جاء القرآن الكريم أفصح كلامًا وأبلغَ لفظاً وأسلوباً ومعنى؛ ليُفحم العرب، حيث كان رأسُ مالِهم بلاغتَهم وفصاحتَهم التي برزوا بها، ولا يمكن أن يفحمهم القرآن إلا إذا كان أقوى منهم فيما هم أقوياء

---

(1) ينظر: الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، من مقدمة المحقق محمود شاكر(24–25) بتصرف.

(2) ينظر: حوار مع الرماني، عبد السلام اللوح، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الثاني، (ص 101).

(3) من مقدمة السيد أحمد صقر لكتاب إعجاز القرآن للباقلاني، (ص 5).

فيه، بحيث يَشعرون بالعجز والضعف والاضطراب، شعورًا لا حيلة فيه للخديعة والتلبيس على النفس[1].

وقال بديع الزمان النورسي: " وكان – العرب – ديوانهم الشعر وعلمهم البلاغة، ومفاخرتهم بالفصاحة في أمثال سوق عكاظ ... فطلع عليهم القرآن الكريم بحشمة بلاغته فمحا وبهر تماثيل بلاغتهم ... مع أن أولئك الفصحاء البلغاء – الذين هم أمراء البلاغة وحكام الفصاحة – ما عارضوا القرآن، وما حاروا[2] ببنت شفة[3]، مع شدة تحدّي النبيّ عليه السلام لهم، ولومه لهم، وتقريعه إياهم، وتسفيهه لأحلامهم"[4].

وقال ابن عطية: "وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه، أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه"[5].

وقال الدكتور محمد دراز: "ولتكن عنايتنا أوفر بناحيته اللغوية؛ لأنها هي التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملةً وتفصيلاً في سورة منه"[6].

وقال الدكتور عدنان زرزور[7]: " من البيّن عندنا أن الإعجاز الذي وقع به التحدّي– وهو المراد من الإعجاز عند الإطلاق بالطبع– كان وجهه بيانيًا صرفًا "[8].

وقال الدكتور غانم قدوري الحمد بعد أن عرض مناهج العلماء في دراسة الإعجاز: " وننتهي من هذا العرض إلى نتيجة ملخصها أن إعجاز القرآن في عصر النبوة الذي أعجز العرب هو في نظمه وبيانه،

---

(1) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي (ص 116).

(2) حاروا: أي رجعوا، وفي القرآن الكريم: " إِنَّه ظن أَن لن يحور"، [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (217/4)].

(3) بنت شفة: أي الكلمة [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (507/13)].

(4) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، (ص 180).

(5) المحرر الوجيز، (52/1).

(6) النبأ العظيم، (ص 79)، نقلاً عن: حوار مع الرماني، عبد السلام اللوح، (ص 101).

(7) هو عدنان محمد زرزور، من مواليد مدينة دمشق عام (1358هـ – 1939م)، تخرج في الشريعة من جامعة دمشق، وحصل على الدكتوراه عام 1969م، وله كتب وبحوث كثيرة، منها: مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، علوم القرآن وإعجازه، السنة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية: مدخل ومقارنات.
[ينظر ترجمته من موقع المكتبة الشاملة، http://shamela.ws/index.php/author/2436].

(8) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، (ص 157).

وأن ما أدركه العلماء بعد ذلك من وجوه أخرى جاء معززًا للإعجاز ومؤكدًا صدق النبوة، وأن هذا القرآن تنزيل من الرحمن الرحيم"[1].

وقال الدكتور صلاح الخالدي: " موضوع التحدي هو البيان القرآني؛ لأن الذي طُلب من الكفار أن يأتوا بمثله هو البيان القرآني، والمثلية في التحدي هي مثلية بيانية ... وهذا معناه أن مضامين القرآن وموضوعاته لم تكن موضوع التحدي، ولم تكن مطلوبة في التحدي، ويترتب على هذا أنها لا ارتباط لها في الإعجاز، أي أنها ليست وجوهًا للإعجاز"[2].

والخالدي يستثني أن تكون مضامين القرآن وموضوعاته لها ارتباط في التحدي والإعجاز، وهذا صحيح لو كانت منفصلة مستقلة بذاتها عن اللفظ والنظم، والذي يكون مجموعها تمثيل المثلية الكاملة في التحدي البياني.

الثاني: العلة التي وقفت سدًا منيعًا في وجه الخلق جميعًا عن معارضة القرآن بمثله، بحيث كانت متحققة في كل سورة من سور القرآن بلا استثناء، وهي الأمر الذي وقع به التحدي وهي الجانب اللغوي.

فلم يعجزهم أمر آخر غير بلاغته وفصاحته، وإن كان قد أشكلت على كثير من العلماء قديمًا وحديثًا أمورٌ حسبوها علة في العجز عن معارضة القرآن، لكنها في الحقيقة شيء آخر، فيمكن أن تكون أدلة على صدق الوحي والنبوة,

ويظهر من خلال ما سبق المراد الدقيق بوجه إعجاز القرآن الكريم، هو الذي جمع بين التحدي به من جانب، والعلة في العجز من جانب آخر[3].

ولقد عرف شيخنا الدكتور عبد السلام اللوح الوجه المعجز تعريفًا جامعًا مانعًا فقال: "**هو ذلك الأمر الذي وقع به التحدي، ووقف سدًا منيعًا أمام الخلق جميعًا عن مماثلة القرآن، وهو متحقق في كل سورة من سور القرآن بلا استثناء**"[4].

---

(1) محاضرات في علوم القرآن، (ص 253).

(2) إعجاز القرآن البياني وأدلة مصدره الرباني، (ص 110).

(3) ينظر: حوار مع الرماني، عبد السلام اللوح، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الثاني، (ص 103).

(4) بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز القرآني– بحث محكم–، عبد السلام اللوح، (ص 25).

ثانيًا: أدلة صدق الوحي والنبوة:

وهي الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى، وهي متحققة بكثرة في كتاب الله تعالى، مثل الإشارات العلمية التي لم تكن معروفة زمن نزول القرآن، أو الأخبار الغيبية التي تحقق وقوعها كما أخبر القرآن الكريم، سواء كانت غيبًا في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، أو النظم التشريعية التي سبق بها القرآن النظم التشريعية الحديثة.

قال ابن تيمية: "والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسميها من يسميها من النظار (معجزات)، وتسمى (دلائل النبوة) و(أعلام النبوة)، وهذه الألفاظ إذا سُميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان)" (1).

وليست الأدلة على صدق الوحي والنبوة هي العلة التي أعجزت العرب عن الإتيان بمثل هذا القرآن، وهي غير الوجه المعجز؛ لأنها لم يقع بها التحدي، فكثير من الأدلة على صدق الوحي والنبوة لم تكن معروفة زمن نزول القرآن، مثل الإشارات العلمية، فكيف يتحدى الله تعالى الناس بما لا يعرفونه في زمانهم؟

وفي كل يوم يجدّ جديد ليضيف دليلاً جديدًا على صدق الوحي والنبوة، وهذا تصديقٌ لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ [فصلت:٥٣].

ولذلك هذه الأدلة على صدق الوحي والنبوة لا غنى للناس عنها في هذا الزمان الذي تعجّمت فيه اللغة، فما عاد الناس يدركون عظمة الإعجاز البياني الذي تحدى بها الثقلين أن يأتوا بمثله(2).

ومما سبق نستطيع أن نضع خلاصة التفريق بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة بما يلي:

1- الوجه المعجز متحقق في كل سورة من سور القرآن الكريم بلا استثناء، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فلا يشترط وجودها في كل سورة.

2- الوجه المعجز هو مناط التحدي، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فليست للتحدي.

---

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (412/5).

(2) ينظر: حوار مع الرماني، عبد السلام اللوح، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الثاني، (ص 103-104)، بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز القرآني- بحث محكم-، عبد السلام اللوح، (ص 27).

قال ابن حجر العسقلاني في شرح باب (علامات النبوة) من صحيح البخاري: "العلامات جمع علامة، وعبّر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة، والفرق بينهما أن المعجزة أخص؛ لأنه يُشترط فيها أن يتحدى النبيُّ ﷺ من يكذبه بأن يقول: إن فعلتُ كذلكَ أتصدق بأني صادق؟ أو يقول من يتحداه: لا أصدقك حتى تفعل كذا، ويُشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن"[1].

3- الوجه المعجز هو الذي يحقق المثلية الكاملة التي تتضمن اللفظ والنظم والمعنى، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فهي تتعلق بجانب دون آخر، كتحقيق المعنى دون اللفظ والنظم مثلاً.

4- الوجه المعجز ناتج عن العلة والسر في عجز الخلق جميعًا عن معارضة القرآن بمثله، ولولا هذه العلة لجاؤوا بمثله وما استحال عليهم معارضته، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فلا علاقة لها بهذه العلة المانعة من المعارضة، فقد يكتشف العلماء من سنن الله تعالى في الكون ما يتوافق مع معنى الآيات القرآنية.

5- الوجه المعجز خاص بمن يدرك لغة القرآن، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فتصلح للعرب وغيرهم ممن لا يعرفون لغة القرآن، وهم الأعاجم، ومن تعجمت لغتهم خاصة في هذا الزمان.

6- الوجه المعجز دليل على صدق الوحي والنبوة، أما دلائل صدق الوحي والنبوة فلا يصح أن تكون وجوه إعجاز، وهذا كما يقول المناطقة: " كلُّ إنسانٍ كائنٌ حيٌّ، وليس كلُّ كائنٍ حيٍ إنسانًا"[2].

يقول الدكتور صلاح الخالدي: " لا بد أن نَفْصِلَ عِلمَ (إعجاز القرآن البياني) عن علم (دلائل مصدر القرآن الرباني) وهما علمان ضروريان لحسن فهم القرآن، وحسن الدعوة إليه، وإقناع الآخرين – من العرب وغيرهم به – لكن الأول (الإعجاز البياني) جزء من الثاني، وكم يخطئ من يجعلون العلم الثاني (دلائل مصدر القرآن) جزءًا من الأول، ووجوهًا معاصرة من وجوه الإعجاز! وكم يسيئون بهذا إلى حقيقة العلم وفكرة إعجاز القرآن، ومنذ متى صار الأصلُ الأعمُّ الأشملُ جزءًا من الفرع المتفرع عنه؟!"[3].

ونتيجة الطريقين – الإعجاز والأدلة – واحدة، وهي إثبات أنَّ القرآن قطعًا كلام الله تعالى، وأنَّ محمدًا ﷺ رسول الله عز وجل، وهذا هو وجه الاتفاق بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة، وبهذا

---

(1) فتح الباري، (581/6).

(2) ينظر: بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز القرآني- بحث محكم-، عبد السلام اللوح، (ص30).

(3) إعجاز القرآن البياني وأدلة مصدره الرباني، (ص 110).

ندرك رحمة الله تعالى لغير العرب؛ إذ جعل لهم طريقًا غير الإعجاز للدلالة على المقصود، وتقام به الحجة عليهم، ولا عذر لأحد لزمه الدليل وقامت عليه الحجة - عربًا كانوا أو غير عرب - بألا يؤمن بالقرآن، وبنبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

المطلب السادس: أدلة القائلين بالإعجاز الغيبي وغيره من الوجوه ومناقشتهم:

لا خلاف بين العلماء في أنّ القرآنَ معجزٌ، وهذا واضح جلي، لا يخفى على ذي لب، قال الخطابي: " فأما أن يكون قد نقبت في النفوس نقبة بكونه معجزًا للخلق ممتنعًا عليهم الإتيانُ بمثله على حال فلا موضع لها "[1].

والدليل على هذا أن النبي ﷺ تحدى العرب، بأن يأتوا بسورة من مثل القرآن فعجزوا، وقد مكث النبي ﷺ مدة دعوته منكرًا عليهم، مسفهًا آراءهم وأحلامهم، حتى نابذوه الحرب، فقُطعت الأعناق، وزهقت الأرواح، وذهبت الأموال.

ولو كان في وسعهم الإتيان بسورة من مثله لم يتكلفوا هذه المشقة في الحرب والنزال، والخسارة في الأنفس والأموال، وهذا ما لا يفعله عاقل، فكيف وقوم النبي ﷺ كانوا من أفصح العرب لسانًا، وأفضلهم حجةً وبيانًا، وفيهم الخطباء والشعراء والأدباء؟

وقد تنوعت أقوال العلماء في وجوه إعجاز القرآن، فذهب بعض العلماء إلى أن إعجاز القرآن الكريم منحصرٌ في وجه واحد، وهو: نظمه البديع الخارج عن معهود العرب في أساليب كلامهم، ومنهم من توسع في ذلك واستكثر من الوجوه، ومنهم من حصرها في عدة وجوه منها الإعجاز الغيبي[2].

أولاً: تعريف الإعجاز الغيبي لغةً واصطلاحًا من وجهة نظر القائلين بتعدد وجوه الإعجاز:

أ- التعريف اللغوي: الإعجاز الغيبي مركب من كلمتين، (إعجاز) و(غيبي)، وقد تقدم تعريف الإعجاز، وتعريف الغيب لغة.

ب- أما التعريف الاصطلاحي: فقد عرفه الدكتور مصطفى مسلم بأنه: " كل ما كان غائبًا عن محمد ﷺ، ولم يشهد حوادث الواقعة، ولم يحضر وقتها، وكذلك يشمل ما غاب عن محمد ﷺ في وقته من الحوادث التي كانت تحدث ويخبر بها بطريق الوحي، ويشمل أيضًا ما تضمنه من الإخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان"[3].

---

(1) بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص 21).

(2) ينظر: نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن، الحميضي، (ص 20).

(3) مباحث في إعجاز القرآن، (ص 259).

وعرّف البوطي "الغيبيات" بقوله: " تلك الإخبارات المتعلقة بأحداث مقبلة، والتي لم يُظهرها بعد أيّ شاهد من العقل أو الحس أو الدلائل التي تعوّد الإنسان على الاعتماد عليها، سواء تعلقت هذه الأخبار بأحداث عامة، أو تعلقت بأناس أو فئات بأعيانهم، أو تعلقت بنواميس كونية"[1].

ثانيًا: أدلة القائلين بالإعجاز الغيبي ومناقشتهم:

لقد قال بوجه الإعجاز الغيبي جماعة من العلماء[2]، وسيقوم الباحث ببسط أدلتهم ومناقشتهم للوصول إلى الحق في هذه المسألة.

أ- أدلة القائلين بالإعجاز الغيبي:

عند النظر في كلام القائلين بالإعجاز الغيبي؛ نجد أن أغلب من ذكر هذا النوع من الإعجاز؛ ذكره كنوع من أنواع الإعجاز، ولم يذكر أدلةً على قوله، ودلل بعضهم على قوله بما يأتي:

الدليل الأول: لمّا كانت الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة تقع كما يخبر عنها النبي ﷺ؛ دل هذا على أنها من عند علام الغيوب[3].

الدليل الثاني: الإخبار عن الأمور الغيبية التي لا يقدر على معرفتها البشر، ولا سبيل لهم إليها، دليل على النبوة [4].

---

(1) من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، (ص 148).

(2) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، (ص 110)، إعجاز القرآن، الباقلاني، (ص 33-35)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (268/1-272)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (161/3)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (74/1)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (428/5-429)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (19/4)، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (169/1)، روح المعاني، الألوسي، (29/1)، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، النورسي، (ص 178)، مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، (ص 113)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (ص 270)، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد، (ص 45)، علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، (ص 30)، الوجيز في أصول الفقه، محمد الزحيلي، (159/1).

(3) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (ص 110).

(4) ينظر: إعجاز القرآن، الباقلاني، (ص 33).

الدليل الثالث: معلوم من حال النبي ﷺ، أنه كان أمياً لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين، وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير، من حين خلق الله تعالى آدم عليه السلام، إلى حين مبعثه، ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه، إلا عن تعلّم.

الدليل الرابع: لقد كان معروفاً أنه لم يكن أي اتصال بين النبي ﷺ وأهل الآثار وحملة الأخبار، ولم يتردد عليهم للتعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ، فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه – علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨][1].

ب– مناقشة أدلة القائلين بالإعجاز الغيبي:

إن ما ذكره العلماء من أدلة على الإعجاز الغيبي ليس فيها دلالة على كونه إعجازًا، وإنما هي أدلة على صدق الوحي والنبوة، فمثلاً قال الباقلاني: " الإخبار عن الغيوب مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه، دليل على النبوة" [2]، فأين دلالته على كونه إعجازًا؟

فالأخبار الصادقة سواء أكانت متعلقة بالماضي أم الحاضر أم المستقبل؛ هي أدلة وليست وجوهًا للإعجاز، وذلك للأسباب الآتية:

1– لقد ذكر الباحث في مطلب سابق عند تعريف إعجاز القرآن أن التحدي من شروط الإعجاز، والتحدي لم يقع بالأخبار الغيبية، فالله تعالى لم يطلب من العرب أن يأتوا بمثل الأخبار الغيبية في القرآن الكريم.

قال محمود شاكر: " ثبت أن ما في القرآن جملة – من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة، ومن أنباء الغيب ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله– كل ذلك بمعزل عن الذي طولب به العرب"[3].

---

(1) ينظر: الدليل الثالث والرابع من: إعجاز القرآن، الباقلاني، (ص 33–35)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (268/1–272)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (74/1)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (428/5–429)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (19/4)، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (169/1)، المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، (ص 246).

(2) إعجاز القرآن، (ص 33).

(3) مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، تقديم محمود شاكر، (ص 28).

ولذلك فالأخبار الغيبية لا تمثل علة العجز لدى الثقلين جميعًا عن معارضة القرآن بمثله.

قال السخاوي: " وأما ما تضمنه القرآن العزيز من الأخبار عن المغيّب: فليس ذلك ممّا تحدّاهم به، ولكنه دليل على صدق الرسول – ﷺ–، وأنه كلام علام الغيوب"[1].

2- من المعلوم أن أقل شيء معجز من القرآن هو سورة، ولو بحجم سورة الكوثر، فهل الإعجاز الغيبي متحقق وجوده في كل سورة من سور القرآن حتى يصبح قاسمًا مشتركًا بين جميع السور؟ وهل السور التي تخلو من الأخبار الغيبية تخلو من الإعجاز؟

قال الخطابي في معرض رده على من يقول بالإعجاز الغيبي: "ولكنه ليس بالأَمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أَحد من الخلق أَن يأتي بمثلها، فقال: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، من غير تعيين، فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه"[2].

وقال سيد طنطاوي: "والمراد من مثل القرآن: ما يشابهه في حسن النظم، وبراعة الأسلوب وحكمة المعنى، وهذا الوجه من الإعجاز يتحقق في كل سورة"[3].

لكن لا شك أن وجود هذه الأخبار الغيبية لها دورها ومكانتها وأهميتها في إثبات أن القرآن هو كلام الله تعالى وأن محمدًا ﷺ هو رسول الله تعالى، وهذا ما يعرف بصدق الوحي والنبوة، وما أحوج المسلمين اليوم إلى إثبات صدق الوحي وصدق النبوة، فهو الدافع لغير المسلمين إلى الدخول في هذا الدين، وهو عامل دعوي قوي ومؤثر، وهذا هو المطلوب والمراد في زماننا اليوم أكثر من حاجتنا إلى وجوه إعجاز[4].

فإن قيل: "وإنما الإعجاز في القرآن بجملته ويكفي ذلك في غرضه"[5].

قلنا: هذا الكلام غير دقيق ولا دليل عليه، وهذا يناقض قول جماهير العلماء بأن الإعجاز يشمل كل سورة من سور القرآن حتى ولو بحجم سورة الكوثر، وفي كلام الخطابي السابق خير رد عليه، ولذلك لا حجة لهذا القول.

---

(1) جمال القراء وكمال الإقراء، (207/1).

(2) بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص 23-24).

(3) القرآن يتحدى، (ص 21).

(4) ينظر: الإعجاز البلاغي عند أبي سليمان الخطابي- دراسة وتحليل، عبد السلام اللوح وعبد الله الملاحي (ص 15).

(5) روح المعاني، الألوسي، (31/1).

قال يحيى بن حمزة الطالبي: " الإجماع منعقد على أن التحدي واقع بجميع – سور– القرآن، والمعلوم أنّ الحِكَمَ والآدابَ وسائرَ الأمثالِ ليس فيها شيء من الأمور الغيبية، فكان يلزم على هذه المقالة أن لا يكون معجزًا وهو محال"[1].

3- الأخبار الغيبية ليس مما يختص به القرآن وحده، بل هو موجود في كل كتب الله تعالى السابقة؛ لأنَّ الإخبار في هذه الكتب عن الحقائق الكونية لا يمكن أن يختلف البتة، والكتب السابقة ليست معجزة، فهل تصبح معجزة بوجود الأخبار الغيبية فيها؟ ولم يقل أحدٌ بذلك البتة.

لكن التطابق والتوافق بين الخبر من جهة والواقع الذي تحقق فيه الخبر من جهة أخرى دلَّ على أنها من عند عّلام الغيوب؛ لأنه هو الذي يعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فيكون ذلك دليلاً على أن القرآن كلام الله تعالى حقًا، وبالتالي فإن محمدّا ﷺ هو رسول الله تعالى قطعاً، وهذا هو المراد بدليل صدق الوحي والنبوة.

4- إن كثيراً من الصحابة آمنوا بالقرآن بمجرد سماع آيات منه، وإن كل السابقين الأولين سبقوا إلى الإسلام إثر نزول السور الأُوَل من الوحي، دون أن ينتظروا حتى تتحقق أحداث أنبأ بها ليدركوا وجه إعجازه[2].

5- لم تتحقق المثلية الكاملة التي تحدى الله تعالى بها في كل آيات التحدي، والمراد بالمثلية الكاملة اللفظ والمعنى والنظم[3]، والأخبار الغيبية تتعلق بالمعنى فقط، ويبقى اللفظ والنظم لاستكمال المثلية المتحدى بها، وبهذا ندرك أنه لا علاقة للأخبار الصادقة بوجوه إعجاز القرآن[4].

6- عند القول بهذا الوجه؛ فإن هذا يعطي الكفار الحجة بعدم قدرتهم على معارضة القرآن؛ لأن ما تحداهم به ليس مما برعوا به.

قال يحيى بن حمزة الطالبي: " ما قالوه يكون أعظم عذرًا للعرب في عدم قدرتهم على معارضته، فكان من حقهم أن يقولوا: إنا متمكنون من معارضة القرآن، ولكنه اشتمل على ما لا يمكننا معرفته من الأمور الغيبية، فلمّا لم يقولوا ذلك دل على بطلان هذه المقالة"[5].

---

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (221/3).

(2) ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة عبد الرحمن (ص93).

(3) ينظر في هذا البحث: مطلب ما هو الأمر الذي وقع به التحدي وأعجز الثقلين، (ص 39) وما بعدها.

(4) ينظر: حوار مع الرماني، عبد السلام اللوح، (ص 116)، بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز القرآني، عبد السلام اللوح، (ص 23).

(5) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (221/3).

ج- مناقشة القائلين بأن الأخبار الغيبية من وجوه الإعجاز التي لم يقع بها التحدي[1]:

بعض العلماء المعاصرين ممن يعتقد بتعدد وجوه الإعجاز، يقسم وجوه الإعجاز إلى قسمين:

الأول: الوجه المعجز الذي وقع به التحدي، وهو الإعجاز البياني.

الثاني: الوجه المعجز الذي لم يقع به التحدي، وهي بقية وجوه الإعجاز مثل الإعجاز الغيبي والعلمي وغيره.

يقول الدكتور محسن الخالدي: "إذن فالوجه المختار الذي وقع به التحدي هو نظم القرآن وما يتصل به من البلاغة والبيان، فهو الذي دلت عليه آيات التحدي: (فأتوا بعشر سور مثله) ولا يراد من اختيار هذا الوجه ردّ وجوه الإعجاز الأخرى كالإعجاز العلمي، أو الغيبي، أو التشريعي،... الخ، فما صحّ منها يعد وجهًا من وجوه إعجازه إلا أنه لم يقع به التحدي"[2].

وهذا في الحقيقة خلط خطير، وقلب للحقائق غير مقبول، فكيف يكون الوجه المعجز معجزًا إذا لم يقع به التحدي؟

لقد ذكر الباحث في مطلب سابق أن من شروط الإعجاز التحدي، وبتسميتنا للدليل وجه إعجاز؛ معناه أننا نثبت إعجازه للخصم عن الإتيان بمثله، فإذا لم يقع به التحدي فكيف يكون وجهًا معجزًا؟

قال الجرجاني: " إنَّ التحدي -كما لا يخفى- مطالبةٌ بأن يأتوا بكلامٍ على وصفٍ، ولا تصحُّ المطالبةُ بالإتيان به على وصفٍ من غيرِ أن يكونَ ذلك الوصفُ معلوماً للمطالَب، ويبطلُ بذلك دعوى الإعجاز أيضاً؛ وذلك لأنه لا يتصور أن يقالَ: إنه كانَ عَجْزٌ، حتى يثبتَ معجوزٌ عنه معلوم ..." [3].

وللباحث أن يسأل: لماذا تصممون على تسميته وجه إعجاز؟ يمكنكم الخروج من هذا الخلط بتسميته دليلاً أو آيةً على صدق الوحي والنبوة، كما سماه الله تعالى بقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

ويستدل الدكتور محسن الخالدي على تقسيمه بكلام الخطابي في رسالته بيان إعجاز القرآن، وكلام الشيخ محمود شاكر في مقدمته لكتاب الظاهرة القرآنية.

(1) ينظر: التحدي بالقرآن الكريم، محسن الخالدي (ص 13).

(2) المصدر السابق، (ص 13).

(3) دلائل الإعجاز، (ص 385-386).

يقول الخطابي: " قلت ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها، فقال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، من غير تعيين، فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه"[1].

ويقول الشيخ محمود شاكر: " إن ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله – تعالى– في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلاً على أنه من عند الله تعالى ..."[2].

الرد على استدلالات الدكتور محسن الخالدي:

الناظر في هذه الاستدلالات يجدها أدلة على الدكتور محسن الخالدي لا له، فالخطابي لم يُقرر أن الأخبار الغيبية من وجوه إعجاز القرآن، بدليل أنه رد هذا القول في بداية حديثه عن الأخبار الغيبية، فقال: " وزعمت طائفةٌ أَنّ إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان"، فالأمر إذن مجرد زعم ولا حقيقة لذلك ولا قبول[3].

وقال أيضًا بعد أن ردّ على من يقول بهذا الوجه: "فدل على أَن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه"[4].

ولو سلمنا للدكتور محسن الخالدي بهذا الفهم لكلام الخطابي رحمه الله تعالى، فمعناه أن الخطابي يقول بالصرفة أيضًا، وذلك لقوله: " وذهب قوم إلى أن العلة في إعجازه الصرفة ... "، ثم قال: " وهذا أيضًا وجه قريب، إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه ... "[5].

أما كلامه في البداية: " ولا يشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه "، فإنما هو من باب مجاراة الخصم فيما يقول، ثم يرد عليه بعد ذلك.

---

(1) بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص 23-24).
(2) من مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، (ص 31).
(3) ينظر: الإعجاز البلاغي عند أبي سليمان الخطابي- دراسة وتحليل، عبد السلام اللوح وعبد الله الملاحي (ص 14).
(4) بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (ص 24).
(5) المصدر السابق، (ص 22-23).

وهذا أسلوب في الحوار، كما حصل من إبراهيم عليه السلام وهو يحاور الصابئة عُبّاد الكواكب، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦ – ٧٩].

قال ابن كثير: "والحق أن إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظرًا لقومه، مبينًا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام"(1).

والشيخ شاكر عندما ذكر أنّ ما في القرآن من مكنون الغيب؛ ومن دقائق التشريع؛ ومن عجائب آيات الله تعالى في خلقه لم يقع فيه التحدي؛ سماه دليلا ولم يسمه وجهًا معجزًا.

فلا دليل للدكتور محسن الخالدي على ما يقول، وما استدل به دليل عليه لا له.

والأصل أن نسمي الأشياء بمسمياتها، فالإعجاز فقط ما كان مقرونًا بالتحدّي، وما لم يكن كذلك فإنّما هو من دلائل صدق الوحي والنبوة.

أما أن نبقى نخلط بين الحقائق المتشابهة في ظاهرها المختلفة في حقيقتها، ونُدخل على إعجاز القرآن ما هو بعيد عن أصل معناه ومفهومه وحقيقته، ونجعله شاملاً لكل الدلائل الموضوعية على مصدر القرآن، فهذا بعيد عن حقيقة الإعجاز اللغوية والاصطلاحية والتاريخية والموضوعية والقرآنية، لا بد أن نتوقف عنه(2).

---

(1) تفسير القرآن العظيم، (292/3).

(2) ينظر: إعجاز القرآن البياني وأدلة مصدره الرباني، صلاح الخالدي (ص 109).

ثالثًا: أدلة القائلين بتعدد وجوه الإعجاز ومناقشتهم:

كثير من العلماء قالوا بتعدد وجوه إعجاز القرآن[1]، بل إن بعض العلماء قال: إنه لا نهاية لوجوه إعجازه[2]، وذلك كون القرآن " نبع فياض بخيره، كريم بعطائه، لا يبخل على من قصده، يفتح بابه لمن طرقه، يجيب كل من سأله، يعطي كلاً بما هو أهله"[3]، فأمر هذا القرآن عجيب، " يراه الأديب معجزًا، ويراه اللغوي معجزًا، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزًا، ويراه علماء الاقتصاد معجزًا، ويراه المربون معجزًا، ويراه علماء النفس والمعنيون بالدراسات النفسية معجزًا، ويراه علماء الاجتماع معجزًا، ويراه المصلحون معجزًا، ويراه كل راسخ في علمه معجزًا"[4].

وبعد البحث والتحري للوقوف مع أدلة هؤلاء العلماء على ما ذهبوا إليه من تعدد وجوه الإعجاز، لم يجد الباحث أدلة تقوى لإفادة تعدد الوجوه، والذي يظهر للباحث أن القول بتعدد وجوه الإعجاز نشأ من عدة أمور منها:

1- الانتصار العاطفي الوجداني للقرآن الكريم، فكيف لا يحتوي القرآن على هذه الوجوه الكثيرة من الإعجاز، وهو كلام رب العالمين؟

والحقيقة أن القرآنَ معجزٌ قطعًا، سواء تعددت وجوه إعجازه أم لم تتعدد، بل إن الانتصار العاطفي

---

(1) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في الإعجاز، (ص 110)، بيان إعجاز القرآن للخطابي، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، (ص64،24)، إعجاز القرآن، الباقلاني، (ص 33-35)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (268/1-272)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (74/1)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (428/5-429)، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (19/4)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (5/1)، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (169/1)، روح المعاني، الألوسي (29/1)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي، (ص 156)، النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، (ص 79)، مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، (ص 113)، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (ص 270)، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، النورسي، (ص 178)، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد، (ص 45)، إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس، (ص 33)، علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، (ص 27)، الوجيز في أصول الفقه، محمد الزحيلي، (156/1).

(2) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (5/1).

(3) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم "والأولى أن يسمى" الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، عبد السلام اللوح، (ص 32-33).

(4) التعبير القرآني، فاضل بن صالح السامرائي، (ص 20).

بازدياد عدد وجوه الإعجاز –وهي ليست كذلك – قد يُضعف الإعجاز ويؤثر سلبيًا فيه[1].

الإعجاز يحتاج إلى بحث وتقويم نقدي غير مندفع بالعواطف الجياشة التي قد تغلب على طبيعة البحث العلمي، فَتَخرج نتائجه مرضية للعواطف لا للعلم الحقِّ.

2– من باب التقليد والتبعية وغلبة الظن، فكثير من العلماء الذين ذكروا تعدد وجوه الإعجاز مقلدون لمن سبقهم، أو مكثرون من وجوه الإعجاز فيما يظنونه وجوه إعجاز.

قال الخطابي في معرض رده على من قال بوجه الإعجاز البلاغي دون تحديد أو بيان لكيفية إعجازه: "ووجدتُ عامة أَهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن دون التحقيق له وإحاطة العلم به"[2].

ولو تخلَّص هؤلاء من سلطان مصطلح (المعجزة والإعجاز) لوجدوا بديلاً ينطبق على بحوثهم بدون تكلُّفٍ، فلو جعلوا حديثهم منصبًّا على (أدلة صدق الوحي والنبوة) لكان هذا أولى وأنفع من الارتباط بمفهوم الإعجاز الذي يصعب تطبيقه على مباحثهم[3].

3– اعتمادًا على ظاهر النصوص، دون تحري معانيها لُغويًا.

4– نتيجة الخلط بين الوجوه المعجزة وغيرها من أدلة صدق الوحي والنبوة، لكن هذا شيء؛ والقول بتعدد وجوه الإعجاز شيء آخر يحتاج إلى أدلة وبراهين، وقد بينا الفرق بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة في مطلب سابق.

أ– أدلة القائلين بتعدد وجوه الإعجاز:

قام الباحث بجمع أدلتهم على تعدد وجوه الإعجاز وترتيبها على شكل عناصر كالآتي:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣]، أخرج التحدي من كونه تحديًا بيانيًا إلى أن أصبح تحديًا عامًا شمل جميع وجوه الإعجاز؛ وذلك لأن معنى (من) هنا للتبعيض والضمير راجع إلى القرآن، أي مما في هذا القرآن الكريم من وجوه الإعجاز[4].

---

(1) ينظر: حوار مع الرماني، عبد السلام اللوح، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الثاني، (ص 104).

(2) بيان إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص 24).

(3) ينظر: الإعجاز العلمي إلى أين، مساعد الطيار (ص 46).

(4) ينظر: الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، (ص 22).

الدليل الثاني: لا يعقل أن يتحدى الناس جميعًا بالبيان وحده، إنما هو تحد عام يشمل عموم المخاطبين به[1].

الدليل الثالث: ضعف الناس في اللغة الفصيحة اليوم يقلل من الأضواء التي ألقيت في السابق على الإعجاز البلاغي.

الدليل الرابع: القرآن أُنزل معجزة لكل زمان وجيل ومكان، ولم يكن إعجازه قاصرًا على الجيل الأول، فهو تحد مستمر إلى يوم الدين، مما يعني أن تحجيم الإعجاز وقصر التحدي على اللغة وبلاغتها تغييب لعصرٍ يحياهُ الناس الآن، ولذلك كان لا بد لهذا الجيل المعاصر أن يجد في القرآن المعجزة، ولئن فاته الوقوف عليها عن طريق اللغة، فلن يفوته الوقوف عليها عن طريق العلوم المعاصرة[2].

الدليل الخامس: الإعجاز البياني خاص بالعرب وحدهم، أما بقية وجوه الإعجاز فهي لمن لا يفهم اللغة العربية من غيرهم[3].

ب- مناقشة أدلة القائلين بتعدد وجوه الإعجاز:

الرد على أدلة القائلين بتعدد وجوه الإعجاز سيكون ردًا مجملاً، وردًا مفصلاً.

أما الرد المجمل:

فسيقسمه الباحث إلى عدة عناصر:

1- معلوم أن التحدي من شروط الإعجاز، والتحدي لم يقع إلا بالبيان والبلاغة، فالله تعالى لم يطلب من الناس أن يأتوا بمثل الأخبار الغيبية في القرآن الكريم أو الأدلة العلمية أو التشريعية وغيرها، فلا يُعقل أن يكون العرب قد طولبوا به؛ لأنه لا علم لهم به.

حتى إن كثيرًا من العلماء ممن يقول بتعدد وجوه الإعجاز يقولون بأن المثلية المتحدى بها هي المثلية البيانية، وسيذكر الباحث بعضًا منهم:

أ- قال الإمام الطبري في تفسيره جامع البيان: " فإن قال قائل: إنك ذكرتَ أن الله عنى بقوله: ﴿**فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ**﴾، من مثل هذا القرآن، فهل للقرآن من مثل فيقال: ائتوا بسورة من مثله؟

---

(1) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (547/8)، إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس، (ص 33).

(2) ينظر: المعجزة القرآنية – الإعجاز العلمي والغيبي، للدكتور محمد حسن هيتو (ص 154)، نقلاً عن: الإعجاز العلمي إلى أين، مساعد الطيار، (ص 74-75).

(3) ينظر: المصدر السابق نفس الصفحة.

قيل: إنه لم يعنِ به: ائتُوا بسورة من مثله في التأليف والمعاني التي باينَ بها سائرَ الكلام غيرَه، وإنما عنى: ائتوا بسورة من مثله في البيان؛ لأنّ القرآن أنزله الله بلسان عربيّ، فكلام العرب لا شك له مثلٌ في معنى العربية. فأمّا في المعنى الذي باين به القرآن سائرَ كلام المخلوقين، فلا مثلَ له من ذلك الوجه ولا نظيرَ ولا شبيه ... "[1].

ب- وقال ابن عطية: " واختلف المتأولون على من يعود الضمير في قوله مثله: فقال جمهور العلماء: هو عائد على القرآن ثم اختلفوا، فقال الأكثر من مثل نظمه ورصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خص به القرآن، وبه وقع الإعجاز على قول حذاق أهل النظر.

وقال بعضهم: من مثله في غيوبه وصدقه وقدمه، فالتحدي عند هؤلاء وقع بالقدم، والأول أبين ..." [2].

ج- وقال الرازي: " لو صرفنا الضمير – في قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ – إلى القرآن فكونه معجزًا إنما يحصل لكمال حاله في الفصاحة"[3].

2- سبق التقرير بأن أقل جزء معجز من القرآن هو سورة، ولو بحجم سورة الكوثر، فهل وجوه الإعجاز بتعددها متحقق وجودها في كل سورة من سور القرآن حتى يصبح قاسمًا مشتركًا بين جميع السور؟

بالتأكيد ستكون الإجابة: لا؛ لأن الذي ينتظم في السورة ولا ينخرم؛ هو التحدي بالنظم والبيان دون سائر الأنواع المُقحَمة في الإعجاز القرآني، ... ولو كان القرآن نزل بأمورٍ أخرى، ولم يذكر هذه القضايا في كل سوره فإنه يبقى معجزًا، ولا يزول عنه الإعجاز، وإذا صحَّ هذا الاستنتاج، فإنه يمكن القول بأنَّ الإعجاز (بمعنى: تحديّ الخلق بأن يأتوا بمثل هذا القرآن) راجع إلى لفظ القرآن ونظمه وبيانه، وليس راجعًا إلى شيء خارج عن ذلك، فما هو بتحدٍّ بالإخبار بالغيب المكنون، ولا بالغيب الذي يأتي تصديقه بعد دهر من تنْزيله، ولا بعلمٍ ما لم يدركه علمُ المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان[4].

ويقول الدكتور فضل عباس: " والقائلون بتعدد الوجوه مجمعون على أن الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه وأهمها وأعمها؛ ذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى ... "[5].

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (374/1-375).

(2) المحرر الوجيز، (106/1).

(3) التفسير الكبير، (350/2).

(4) ينظر: الإعجاز العلمي إلى أين، د. مساعد الطيار، (ص 48-49).

(5) إعجاز القرآن الكريم، (ص 29).

3- يكثر في أبحاث هذه الوجوه من وجوه الإعجاز - وخاصة ما يسمى بالإعجاز العلمي أو الإعجاز العددي- القول على الله تعالى بغير علم، حيث يتولى البحث في دلالات ألفاظ القرآن، من لا علم له بالتفسير وأصوله وقواعده، وتفسير القرآن بغير علم محرم ومذموم، وقد دلت على ذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة(1).

4- القائلون بتعدد وجوه الإعجاز يَدخلون إلى القرآن بمقررات سابقة تجعلهم يلوون أعناق النصوص إلى هذه المقررات من حيث لا يشعرون، بل إن بعضهم قد يشعر لكنه يتكلف الربط، ولو على سبيل المجاز (2).

5- إن الهدف من تكثير وجوه الإعجاز - عند من يقول بها - إثبات صدق الوحي والنبوة، فلماذا لا نختصر الطريق، ونسمي الأشياء بمسمياتها؟

يقول الدكتور مصطفى مسلم - وهو ممن يقول بتعدد وجوه الإعجاز - : " من خلال تتبع القصص القرآني وما ورد فيه من أنباء الأمم السابقة؛ ندرك أن الهدف الأساس من هذا النوع من الغيب هو إثبات صدق رسول الله ﷺ، وكثيرًا ما يستدل القرآن الكريم على ذلك بالإشارة إلى مطابقة ما ورد في القرآن لما ورد في الكتب السابقة"(3).

6- إن تسميته وجوه الإعجاز - غير الإعجاز البياني- أدلة أو آيات أو أعلام أو براهين على صدق الوحي والنبوة، أدلُّ على المقصود من تسميتها وجوه إعجاز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – وهو ممن يقول بتعدد وجوه الإعجاز- : "والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء، ويسميها من يسميها من النظار (معجزات)، وتسمى (دلائل النبوة) و(أعلام النبوة)، وهذه الألفاظ إذا سُميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية) و(البينة) و(البرهان)" (4).

أما الرد التفصيلي:

فسيرد الباحث على كل دليلٍ - مما استدل به القائلون بتعدد وجوه الإعجاز - ردًا مفصلاً يُفند دليل المخالف، ويُبين وجه الحق في المسألة مما يترجح عنده.

---

(1) ينظر: نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم، د. إبراهيم الحميضي، (ص 52).
(2) ينظر: الإعجاز العلمي إلى أين، د. مساعد الطيار، (ص 58).
(3) مباحث في إعجاز القرآن، (ص 264).
(4) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (412/5).

الرد على الدليل الأول:

وهو قولهم: إن آية سورة البقرة: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾، أخرجت التحدي من كونه تحديًا بيانيًا إلى أن أصبح تحديًا عامًا شمل جميع وجوه الإعجاز؛ لأن معنى ﴿ مِّن ﴾ للتبعيض، والضمير راجع إلى القرآن، أي مما في هذا القرآن الكريم من وجوه الإعجاز؛ فنرد عليه بما يأتي:

أولاً: إنّ هذا الكلام غيرُ مُسلّم به، صحيحٌ أن بعض العلماء قالوا: بأن حرف الجر ﴿ مِّن ﴾ في الآية للتبعيض[1]؛ ولكنها لا تدل على تعدد وجوه الإعجاز، والقول بهذا يخالف تفسير جماهير المفسرين.

قال الطبري: " وإنما احتجّ الله جلّ ثناؤه عليهم لنبيه ﷺ بما احتج به لهُ عليهم من القرآن، إذْ ظهر عجز القوم عن أن يأتوا بسورة من مثله في البيان، إذْ كان القرآن بياناً مثلَ بيانهم، وكلامًا نزل بلسانهم، فقال لهم جلّ ثناؤه: وإن كنتم في رَيب من أنّ ما أنزلتُ على عَبدي من القرآن من عندي، فأتوا بسورة من كلامكم الذي هو مثلُه في العربية، إذْ كنتم عربًا، وهو بيانٌ نظيرُ بيانكم، وكلامٌ شبيهُ كلامِكم"[2].

وقال ابن عطية: "صورة قيام الحجة بالقرآن على العرب أنه لما جاء محمد ﷺ به وقال: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ قال كل فصيح في نفسه: وما بال هذا الكلام حتى لا آتي بمثله؟ فلما تأمله وتدبره، ميز منه ما ميز الوليد بن المغيرة حين قال: "والله ما هو بالشعر ولا هو بالكهانة ولا بالجنون" وعرف كل فصيح بينه وبين نفسه أنه لا يقدر بشر على مثله، فصحَّ عنده أنه من عند الله تعالى"[3].

وقد نفى الدكتور صلاح الخالدي أن يكون حرف الجر ﴿ مِّن ﴾ في الآية للتبعيض، فقال : " لا نوافق هؤلاء العلماء على هذا الفهم، ونرى أن حرف الجر ﴿ مِّن ﴾ في قوله: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ للبيان وليس للتبعيض، ويُحمل قوله: ﴿ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ على قوله: ﴿ مِّثْلِهِۦ ﴾ في السور الأخرى، ومعنى قوله: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾: فأتوا بسورة بيانها وأسلوبها رفيع، هو ﴿ مِّن ﴾ مثل بيان وأسلوب القرآن، في سُموّه وروعته"[4].

---

(1) ينظر: التفسير البسيط، الواحدي، (238/2-239).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (375/1).

(3) المحرر الوجيز، (53/1).

(4) إعجاز القرآن البياني وأدلة مصدره الرباني، (ص 60).

ومن المقرر عند الأصوليين أن الاحتمال يسقط الاستدلال[1]، فيبقى استدلال الدكتور فضل عباس استدلالاً عقليًا يحتمل الصواب والخطأ، وما ذكرنا في الرد المجمل يؤكد ما ذهبنا إليه من أنّ وجه الإعجاز واحد، وهو الإعجاز البياني.

ثانيًا: التدرج في آيات التحدي كميٌّ وليس نوعيًا، وعند النظر في آيات التحدي في سور (الطور وهود ويونس) نجد ذلك بشكل واضح، حيث بدأ التحدي بمثل القرآن كله كما في سورة الطور، ثم بعشر سور كما في سورة هود، ثم بسورة كما في سورة يونس، ولا علاقة لهذا بنوع الإعجاز ووجهه، إذ إن نوع الإعجاز إنما يُنظر فيه بعد ثبوت الإعجاز للقرآن الكريم، فإن ثبت يقال بعد ذلك: بماذا كان القرآنُ معجزًا؟ هل ببلاغته ونظم بيانه؟ أم بحقائقه التشريعية والعلمية والتربوية وغيرها؟

وبالنظر في آية سورة البقرة نجد أن التحدي قد تدرج إلى كمّ أقل من المراحل السابقة، حيث وقع التحدي بأيَّةِ سورةٍ من سور القرآن الكريم؛ مهما كانت هذه السورة قصيرة في عدد آياتها وكلماتها وحروفها، وقد أوحى بذلك زيادة حرف ﴿مِّن﴾ قبل كلمة ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ في آية سورة البقرة، وعلى قول: إن حرف الجر ﴿مِّن﴾ هنا للتبعيض، يكون المعنى: فليأتوا بأيّةِ سورة من سوره، سواء كانت طويلة أو متوسطة أو قصيرة.

ومن يدّعي أن آية سورة البقرة مختلفةٌ عما سبقها؛ لأن التحدي فيها نوعيّ، فهذا الإدّعاء يتعارض مع تسلسل الآيات وتدرجها الكمي، ويجعل آية البقرة كأنها خارجة عن منظومة آيات التحدي، فالأولى أن نعتبرها متدرجة ومنسجمة مع ما سبقها، والتحدي فيها قد تناول أصغر سورة من القرآن الكريم، ولا علاقة لذلك بنوع الإعجاز[2].

ثالثًا: عند التفسير التحليلي للآية يظهر أن المقصود بقوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: من مثل القرآن[3]؛ وليس من مثل وجوه الإعجاز.

ثالثًا: معنى المثلية الوارد في الآية يرد على هذا الاستدلال، فهل هذه المثلية متحققة كلها في وجوه الإعجاز؟ المثلية لا تتحقق بهذا المعنى العام إلا في الوجه البياني فقط.

---

(1) قال الشافعي: "حكاية الحال، إذا تطرق إليها الاحتمال، سقط بها الاستدلال"، [ينظر: موسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقي آل بورنو، (157/3)، نفائس الأصول في شرح المحصول، القرافي (1902/4)].

(2) ينظر: بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز القرآني– بحث محكم–، عبد السلام اللوح، (ص 16–17).

(3) ينظر في هذا البحث: مطلب، تعريف إعجاز القرآن لغةً واصطلاحًا، التعريف المختار، (ص 17) وما بعدها.

الرد على الدليل الثاني:

وهو قولهم: إنه لا يُعقل أن يتحدى الناس جميعاً بالبيان وحده، إنما هو تحد عام يشمل عموم المخاطبين به.

فقد رد الدكتور الخالدي على هذا الدليل بقوله: " فهل معنى كلام هؤلاء العلماء أصحاب هذا الفهم أن الله –تعالى– يطلب من الناس عربًا وعجمًا الإتيان بسورة هي مثلُ القرآن في علومه ومعارفه؟ وهل طلب الله –تعالى– من الناس الإتيان بعلم كعلم القرآن، وتشريع كتشريعه، وأخبار كأخباره؟ وإذا كان ذلك كذلك فهل عجزوا عن تقديمه؟ وهل العلماء في هذا الزمان قادرون على تقديم علم كعلم القرآن في الفلك والطب والفضاء والبيولوجيا؟ أم هم غير قادرين على ذلك؟"[1].

الناظر لحال الناس اليوم، يجدهم قد برعوا في العلوم الكونية، كالفلك والطب والفضاء والبيولوجيا وغير ذلك من العلوم، ولم يعجز العلماء عن تقديم هذه العلوم، فهل معنى هذا أنهم جاؤوا بمثل ما في هذا القرآن؟

هذه دعوى تبطل إعجاز القرآن؛ لأن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل العلوم التي جاءت في القرآن، ولكن هل يستطيع الناس أن يأتوا بمثل سورة من القرآن في بيانها وأسلوبها ولفظها ومعانيها ونظمها؟

هذا ما عجزوا عنه وسيعجزون إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

الرد على الدليل الثالث:

وهو قولهم: إن ضعف الناس في اللغة الفصيحة اليوم يقلل من الأضواء التي ألقيت في السابق على الإعجاز البلاغي.

نقول: لقد ذكرنا في مطلب تعريف الإعجاز[2]، أن من أراد نزول ميدان التحدي وهو لا يتقن اللغة الفصيحة فليتعلم لغة القرآن، أو يختصر الطريق بأحد أمرين:

الأول: إذا كان المتقدمون في البلاغة والبيان من العرب عجزوا عن التحدي، فغيرهم أضعف وأعجز.

الثاني: من لا يتقن اللغة الفصيحة فله أدلة غير الإعجاز تدله على صدق الوحي والنبوة، يمكنه من خلالها إزالة الوساوس من قلبه بربانية القرآن.

---

(1) إعجاز القرآن البياني وأدلة مصدره الرباني، (ص 60).

(2) ينظر في هذا البحث: (ص 17).

الرد على الدليل الرابع:

وهو قولهم: إن القرآن أُنزل معجزة لكل زمان وجيل ومكان، ولئن فات الأجيال المعاصرة الوقوف على معجزة القرآن عن طريق اللغة، فلن يفوته الوقوف عليها عن طريق العلوم المعاصرة.

فهذا كلام فيه نظر من عدة وجوه:

الأول: أنه غير لازمٍ تَنَوُّعُ الإعجازِ في القرآن على حسب العصور، فما زال المسلمون جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، لم يظهر لهم وجوه إعجاز جديدة، بل بقوا على ما ذكره السابقون من وجوه الإعجاز، ولم تظهر الأنواع الحادثة ــ كالإعجاز العلمي والعددي والنفسي وغيرها ــ إلا في هذا العصر، فدعوى أن يظهر للقرآن في كل قرن وجيل وجه من الإعجاز دعوى لا يوافقها تاريخ المسلمين.

أما دعوى أنه سيظهر له أنواع أخرى من الإعجاز تتناسب مع الأجيال القادمة، فتلك في علم الغيب، والله تعالى أعلم بغيبه.

الثاني: أن التقليل من فهم المعاصرين لوجه الإعجاز الذي وقع به التحدي، وهو ما كان طريقه لغة العرب فيه تنقُّصٌ لأهل هذا العصر، فإن كان المتكلم لا يدرك ذلك، فليس يعني هذا أن غيره لا يدركه.

كما أن هذه الوجوه الإعجازية التي يذكرونها لا يدركها إلا قلة من الناس، فالباحثون في ذلك العلم الذي يُدَّعى للقرآن الإعجاز فيه هم الذين يدركونه ويعرفونه تمام المعرفة، أما غيرهم، فهم يسلمون لأصحابه المتكلمين فيه، خصوصًا إذا أوتوا حسن بيان وعرض[(1)].

الثالث: الباحث لا يُنكر ما في القرآن من أدلة علمية وتشريعية وغيبية على صدق الوحي والنبوة، ولكنه يُنكر تسميتها إعجازًا، ويدعو لتسميتها باسمها الحقيقي وهو: (أدلة صدق الوحي والنبوة)، وقد مر في مبحث سابق الفرق بين الوجه المعجز ودليل صدق الوحي والنبوة[(2)].

يقول الدكتور عدنان زرزور: " ونحن لم نُنكر أن تكون مضامين القرآن من أهم وسائل تعميمه والدعوة إليه، وأن تكون براهين أو دلائل على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد، ولكن أنكرنا أن تكون مناط الإعجاز الذي وقع به التحدّي، ومن شاء أن يسمّيها (إعجازًا) من باب التجوّز فليفعل، على ما يعود من عمله هذا على القضية الأساسية من بعد وإساءة، أو خلط وتمييع، ولو عن غير قصد"[(3)].

---

(1) ينظر: الإعجاز العلمي إلى أين، د. مساعد الطيار، (ص 75).

(2) ينظر في هذا البحث: الفرق بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة، (ص 52) وما بعدها.

(3) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، (ص 186).

الرد على الدليل الخامس:

وهو قولهم: الإعجاز البياني خاص بالعرب وحدهم، أما بقية وجوه الإعجاز فهي لمن لا يفهم اللغة العربية من غيرهم.

فنقول: الباحث لا يختلف معكم في هذه المسألة، ولكن خلافه في تسميتكم لأدلة صدق الوحي والنبوة وجوه إعجاز، وهذا ما سبق الرد عليه خلال هذا الفصل.

رابعًا: خلاصة القول في وجوه إعجاز القرآن الكريم وأدلة صدق الوحي والنبوة:

بعد الخوض في غمار بحر الإعجاز، ومواجهة أمواجه المتلاطمة، والغوص في أعماقه بحثًا عن اللآلئ، ومناقشة جميع الأقوال في المسألة، يستطيع الباحث الخروج بخلاصة تُبين وجهة النظر في مسألة إعجاز القرآن، وأدلة صدق الوحي والنبوة، وهي تتمثل بالنقاط الآتية:

1- القرآن معجزة باقية أبد الدهر، لا يستطيع الجن والإنس في كل عصر الإتيان بمثلها.

2- إعجاز القرآن: هو إظهار عجز جميع الثقلين عن معارضة القرآن الكريم بمثله، واستمرار تحديهم؛ لإثبات صدق الوحي والنبوة.

3- التحدي بأن يأتوا بمثل القرآن يشمل الإنس والجن، والعرب والعجم، والكفار والمسلمين، وهو باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

4- التحدي مرحلي متدرج على قول جمهور العلماء.

5- الأمر الذي وقع به التحدي وأعجز الثقلين، هو المثلية البيانية.

6- المثلية البيانية المعجزة للخلق هي ألفاظ القرآن ومعانيه ونظمه دون إسقاطٍ أو تهاونٍ لأي من هذه الأركان الثلاثة، وهي التي يعجز الثقلان عن الإتيان بمثلها، حتى لو كانت أقصر سورة من سور القرآن، وهي علة العجز.

7- الوجه المعجز هو مناط التحدي، ومتحقق في كل سورة من سور القرآن الكريم بلا استثناء، وهو الذي يحقق المثلية الكاملة التي تتضمن اللفظ والنظم والمعنى، وهو خاص بمن يدرك لغة القرآن.

8- أدلة صدق الوحي والنبوة لا يصح أن تكون وجوه إعجاز؛ لأنها ليست للتحدي، ولا يُشترط وجودها في كل سورة، ولا علاقة لها بالعلة المانعة من المعارضة، فقد يكتشف العلماء من سنن الله في الكون ما يتوافق مع معنى الآيات القرآنية، ولا يكونون بذلك قد جاؤوا بمثل القرآن.

9- أدلة صدق الوحي والنبوة تصلح للعرب وغيرهم ممن لا يعرفون لغة القرآن، وهم الأعاجم، ومن تعجّمت لغتهم خاصة في هذا الزمان.

10- نتيجة الطريقين – الإعجاز والأدلة – واحدة، وهي إثبات أنَّ القرآن قطعًا كلام الله تعالى، وأنَّ محمدًا ﷺ رسول الله تعالى، وهذا هو وجه الاتفاق بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة.

11- ما ذكره العلماء من أدلة على تعدد وجوه الإعجاز ليس فيها دلالة على كونها وجوهًا معجزة، وإنما هي أدلة على صدق الوحي والنبوة.

12- لا ينكر الباحث ما في القرآن الكريم من أدلة علمية وتشريعية وغيبية على صدق الوحي والنبوة، ولكن ينكر تسميتها وجوهًا معجزة.

13- لا يوجد وجه معجز لم يقع به التحدي، فالإعجاز فقط ما كان مقرونًا بالتحدّي، وما لم يكن كذلك فإنّما هو من دلائل صدق الوحي والنبوة.

14- القول بتعدد وجوه الإعجاز نشأ من عدة أمور، منها الانتصار العاطفي الوجداني للقرآن الكريم، أو من باب التقليد والتبعية وغلبة الظن، أو اعتمادًا على ظاهر النصوص، دون تحري معانيها لُغويًا، أو نتيجة الخلط بين الوجوه المعجزة وغيرها من أدلة صدق الوحي والنبوة.

15- إطلاق مصطلح مُعيّن على أمر وفق منهجية صحيحة، مبنية على ضوابط محددة، تجعل دلالة اللفظ أو المصطلح صادقة على معناه، وأن يتولى ذلك أهل الاختصاص أفراداً أو هيئات(1).

16- الأصل أن نسمي الأشياء بمسمياتها، ولا داعي للتكثير من وجوه إعجاز القرآن؛ لأن ذلك يسيء إلى حقيقة العلم وفكرة إعجاز القرآن الحقيقية.

17- تسمية الأدلة على صدق الوحي والنبوة وجوهًا معجزة، هو من باب تسمية الشيء بغير اسمه الحقيقي، وفي ذلك من التجاوز ما فيه، إذ لا يقبل الواحد منا معشر البشر أن يُسمَّى بغير اسمه؛ لما يترتب على ذلك من ضياع حقوق واضطراب أنساب، فكيف نقبل ذلك لأمور متعلقة بكتاب الله تعالى؟ فمن الإنصاف إذن أن نُميز بين المتشابهات ظاهرًا، المختلفات حقيقةً وجوهرًا، كما نميز بين القمح والشعير، أو بين السكر والملح، رغم التشابه في شكلها العام، لكن حقيقتها مختلفة ومتباينة*.

18- القرآن معجز بكل ما تعني كلمة الإعجاز من دلالة وعمق ومعنى، حتى لو كان وجه الإعجاز واحدًا لم يتعدد، وبناء على ذلك فإن وجه الإعجاز دليل على صدق الوحي والنبوة، دون العكس، بمعنى أن دليل صدق الوحي والنبوة لا يصح أن يكون وجهًا معجزًا*(2).

---

(1) ينظر: نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم، د.إبراهيم الحميضي، (ص70)، نقلا عن: الدراسات المصطلحية والعلوم الإسلامية، (ص 46).

(2) * : من إضافات مشرفي الأستاذ الدكتور عبد السلام حمدان اللوح حفظه الله تعالى.

المبحثُ الثاني

القائلون بالإعجاز البياني فقط من العلماء القدامى والمعاصرين

وفيه مطلبان:

المطلبُ الأول:

القائلون بالإعجاز البياني فقط من العلماء القدامى

المطلبُ الثاني:

القائلون بالإعجاز البياني فقط من العلماء المعاصرين

المبحثُ الثاني

القائلون بالإعجاز البياني فقط من العلماء القدامى والمعاصرين

لقد قال جماعة من العلماء القدامي والمعاصرين بأن الوجه الوحيد للإعجاز هو الإعجاز البياني، وما سوى ذلك هي أدلة على صدق الوحي والنبوة، وفي هذا المطلب سينقل الباحث أقوالهم وأدلتهم التي ساقوها للدلالة على هذا الرأي:

المطلب الأول: القائلون بالإعجاز البياني فقط من العلماء القدامى:

أولاً: الإمام علم الدين السخاوي:

ألّف الإمام السخاوي رحمه الله تعالى رسالة في إعجاز القرآن أسماها: " الإفصاح الموجز في إيضاح المعجز"، وهي مضمنة في كتابه: " جمال القراء وكمال الإقراء ".

وبدأ الإمام السخاوي حديثه عن الإعجاز بالتركيز على مسألة وجود مقتضى معارضة الكفار للقرآن، والدافع والباعث عليها، ثم خلص بنتيجة وهي: إن الوجه المعجز الذي أعجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن هو الوجه البلاغي، ممثلاً بنظم القرآن الكريم، فقال: " فلا ريب إذا في أنهم راموا ذلك فما أطاقوه، وحاولوه فما استطاعوه، وأنّهم رأوا نظمًا عجيبًا خارجًا عن أساليب كلامهم، ورصفًا[1] بديعًا مباينًا لقوانين بلاغتهم ونظامهم، فأيقنوا بالقصور عن معارضته، واستشعروا العجز عن مقابلته، وهذا هو الوجه في إعجاز القرآن، كما قال بعضهم: القرآن لا يدركه عقل ولا يقصر عنه فهم"[2].

وقال أيضًا: " ولكن إعجاز القرآن من قِبَل أنه خارج في بديع نظمه، وغرابة أساليبه عن معهود كلام البشر، مختص بنمط غريب، لا يشبه شيئًا من القول في الرصف والترتيب"[3].

ورد السخاوي في رسالته ما اعتبره بعض العلماء من وجوه إعجاز القرآن؛ كالإعجاز الغيبي، وبيّن أنه لا يصلح أن يكون وجه إعجاز؛ لأنه ليس مما تحدى الله تعالى به الناس، فقال: " وأما ما تضمنه القرآن

---

(1) الرَّصْفُ: ضمُّ الشَّيء بعضه إلى بَعض ونَظمُه، يُقالُ للقائمِ إذا صَفَّ قَدَمَيهِ: رَصَفَ قَدَميهِ، وذلكَ إذا ضَمَّ إحدَاهُما إلى الأُخرى، وتَراصَفَ القومُ فِي الصفِّ: أَي قَامَ بعضُهم إلى لِزْقِ بَعضٍ. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (119/9)].

(2) جمال القراء وكمال الإقراء، (206/1).

(3) المصدر السابق، (207/1).

العزيز من الأخبار عن المغيّب: فليس ذلك ممّا تحدّاهم به، ولكنه دليل على صدق الرسول -ﷺ-، وأنه كلام علاّم الغيوب"[1].

ولكن الإخبار بالغيب يصلح أن يكون من أدلة صدق الوحي والنبوة؛ لأنه لا يمكن لأمّيّ لا يقرأ ولا يكتب، ولم يطلع على كتب من سبقه أن يخبر بأحداث غيبية وقعت أو ستقع، فإن أخبر بهذا فهذا دليل على أنه رسول من عند الله سبحانه وتعالى.

قال السخاوي: " وكذلك أيضًا دلالة حال الرسول ﷺ في كونه أميًا لا معرفة له، ولا يُحسن أن يقرأ، ولا وقف على شيء من أخبار الأمم السالفة، حتى إنّه لا يقول الشعر، ولا ينظر في الكتب، ثم إنّه قد أتى بأخبار القرون الماضية والأمم الخالية، وبما كان من أول خلق الأرض والسماء إلى انقضاء الدنيا، وهم يعلمون ذلك من حاله، ولا يشكون فيه، فهذه الحال دليل قاطع بصدقه صلى الله عليه وعلى آله"[2].

ثم رد السخاوي ما يسميه البعض اليوم بالإعجاز العلمي، وعلل هذا بأن القوم لم يكونوا من أهل هذه العلوم، والقرآن لم يتحداهم بالإتيان بمثلها، فقال: " فإن قيل: فهل في إقامة البراهين وإيراد الدلائل على الوحدانية بذكر السماوات والأرض وتصريف الرياح والسحاب، وبأنّه لو كان فيهما آلهة إلاّ الله – تعالى- لفسدتا وعلى البعث بإنزال الماء وإحياء الأرض بعد موتها، وبالنشأة الأولى وغير ذلك: إعجاز؟.

قلت: الإعجاز من جهة إيراد هذه الحجج في الأساليب العجيبة والبلاغة الفائقة، فهو راجع إلى ما قدّمناه من نظم القرآن وإعجازه وأما كونها براهين قاطعة، فهو دليل على صدق النبيّ ﷺ؛ لأنّه لم يكن من أهل هذا ولا قومه، ولا يعرف شيئا منه ..." [3].

مما سبق يتبين لنا أن الإمام السخاوي يثبت أن وجه الإعجاز الوحيد فقط هو الإعجاز البياني المتمثل بنظم القرآن ورصفه، ويرد وجوه الإعجاز التي قال بها العلماء، ويسميها باسمها الصحيح، أدلة على صدق الوحي والنبوة.

ثانيًا: الشيخ المؤيد بالله يحيى بن حمزة الطالبي:

ألف الشيخ يحيى الطالبي كتابًا في إعجاز القرآن أسماه: "الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز"، والكتاب مكون من ثلاثة أجزاء، تكلم الطالبي في الجزء الثالث، في الفصل الثالث منه عن الوجه المعجز في القرآن، وبيّن أن الأقاويل اضطربت في بيان الوجه المعجز، فقال: " اعلم أنّ الكلامَ

---

(1) جمال القراء وكمال الإقراء، (207/1).
(2) المصدر السابق، (207/1).
(3) المصدر السابق، (212/1).

في الوجه الذي لأجله كان القرآن معجزًا دقيقٌ، ومن ثم كثرت فيه الأقاويل واضطربت فيه المذاهب، وتفرقوا على أنحاء كثيرة"[1].

ثم قسم الفصل إلى ثلاثة مباحث، فجعل المبحث الأول لذكر المذاهب في وجه الإعجاز، وجعل المبحث الثاني لذكر ما تحتمله هذه الوجوه من الفساد والرد عليها، وجعل المبحث الثالث لبيان المذهب المختار من الأقاويل لوجه الإعجاز.

في المبحث الأول: بدأ الحديث عن المذاهب في وجوه الإعجاز بذكره الأسباب المحتملة لكون القرآن معجزًا، وختم هذا المبحث بملخص للوجوه المحتملة التي قال بها بعض العلماء، فقال: " فظهر بما لخصناه من الحصر أن كون القرآن معجزًا إما أن يكون للصرفة، أو للنظم، أو لسلامة ألفاظه من التعقيد، أو لخلوه عن التناقض، أو لأجل اشتماله على المعاني الدقيقة، أو لاشتماله على الإخبار بالعلوم الغيبية، أو لأجل الفصاحة والبلاغة، أو لِما يتركب من بعض هذه الوجوه، أو من كلها"[2].

وفي المبحث الثاني: شرع في إبطال الأقسام التي ذكرها بعض العلماء لكون القرآن معجزًا سوى ما يختاره منها:

فأبطل القول بالصرفة، ثم رد بعد ذلك على من زعم أن الوجه في إعجازه هو الأسلوب، ومن زعم أن وجه إعجازه إنما هو خلوه عن المناقضة، ومن زعم أن الوجه في الإعجاز اشتماله على الأمور الغيبية بخلاف غيره، ومن زعم أن الوجه في الإعجاز هو الفصاحة، ومن زعم أن الوجه في الإعجاز إنما هو اشتماله على الحقائق، وتضمنه للأسرار والدقائق التي لا تزال غضة طرية على وجه الدهر، وما تنال لها غاية، ولا يوقف لها على نهاية، ومن زعم أن الوجه في إعجازه هو البلاغة، وفسر البلاغة باشتماله على وجوه الاستعارة، والتشبيه، وغير ذلك من فنون البلاغة.

ورد كذلك على من زعم أن الوجه في إعجازه هو النظم فقط، فقال: " فإن عنيتم به أن نظمه هو المعجز من غير أن يكون بليغًا في معانيه، ولا فصيحًا في ألفاظه، فهو خطأ، فإن الإعجاز شامل له بالإضافة إلى كلا الأمرين جميعا"[3].

وأبطل مذهب من قال: إن وجه إعجازه إنما هو مجموع هذه الأمور كلها، فقال: "وهذا فاسد، فإنا قد أبطلنا رأى أهل الصرفة، وزيفنا كلامهم، فلا وجه لِعَدِّهِ من وجوه الإعجاز، وهكذا فإنا قد أبطلنا قول من زعم أن الوجه في إعجازه اشتماله على الإخبار بالأمور الغيبية، وأبطلنا قول أهل الأسلوب وغيره

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (216/3).

(2) المصدر السابق، (217/3).

(3) المصدر السابق، (223/3).

من سائر الأقاويل، فلا يجوز أن تكون معدودة في وجوه الإعجاز؛ لأن الأمور الباطلة لا يجوز أن تكون عللاً للأحكام الصحيحة"[1].

وفي المبحث الثالث: شرع في بيان المذهب المختار من الأقاويل لوجه الإعجاز، وذكر أن الوجه المعجز للقرآن له ثلاث خواص، هي:

أ- فصاحة ألفاظه ب- بلاغة معانيه ج- جودة النظم وحسن السياق[2].

ونلاحظ أن الشيخ الطالبي يوافق في نظرته للإعجاز الإمام الخطابي الذي جعل المثلية المعجزة للثقلين هي ألفاظ القرآن ومعانيه ونظمه، دون إسقاطٍ أو تهاونٍ لأي من هذه الأركان الثلاثة.

ثم برهن الطالبي على نظرته للإعجاز بأن الآيات التي يُذكر فيها التحدي واردة على جهة الإطلاق ليس فيها تحد بجهة دون جهة؛ لأنه لم يذكر فيها أنه تحداهم، لا بالبلاغة ولا بالفصاحة، ولا غير ذلك، وإنما قال: بمثله، وبسورة، وبعشر سور على الإطلاق، وكذلك العرب لم يستفهموا عما يريد بتحديهم في ذلك، ولا قالوا ما هو المطلوب في تحدينا، بل سكتوا عن ذلك، فوجب أن يكون سكوتهم عن ذلك لا وجه له إلا لما قد علم من اطراد العادات المقررة بين أظهرهم أن الأمر في ذلك معلوم أنه لا يقع إلا بما ذكرناه من البلاغة والفصاحة وجودة السياق والنظم[3].

---

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (224/3).

(2) ينظر: المصدر السابق، (224/3).

(3) ينظر: المصدر السابق، (225/3).

المطلب الثاني: القائلون بالإعجاز البياني فقط من العلماء المعاصرين:

أولاً: الأستاذ أحمد أحمد البدوي(1):

أصدر الأستاذ أحمد البدوي دراسة قرآنية بعنوان (من بلاغة القرآن) وتحدث في المقدمات التمهيدية من هذه الدراسة عن إعجاز القرآن.

فذكر بعض مذاهب العلماء في السبب الذي من أجله عجز العرب عن المجيء بمثل القرآن، وأرجعها إلى أربعة وجوه لإعجازه، رفض بعضها، وقبل منها وجهًا واحدًا، وذلك كما يأتي:

الوجه الأول: الصرفة، وقد رد هذا القول، وأثبت بطلانه.

الوجه الثاني: ما تضمنه من الإخبار بالغيب، والحديث عن الماضي، وقد رد هذا الوجه أيضًا، وبين أنهما لا يصلحان أن يسميا وجه إعجاز؛ وإنما يصلحان ليكونا دليلين على صدق الوحي والنبوة، فقال: " غير أن التنبؤ بالغيب والحديث عن الماضين، إن اتخذا دليلاً على نبوة الرسول -ﷺ-، لم يصلحا برهانًا على إعجاز القرآن، ذلك أن معظم القرآن ليس تنبؤاً ولا قصصًا، فلو كان الوجه ما ذكر، لفقد معظم القرآن صفة الإعجاز؛ لأن التحدي وقع بأقصر سورة منه، وهى لا تحوى من التنبؤ والقصص شيئا"(2).

الوجه الثالث: خلو القرآن من التناقض: وقد رد هذا الوجه أيضًا بقوله: " وذلك غير مقبول أيضًا؛ لأن الإجماع منعقد على أن التحدي واقع بكل سورة من سور القرآن، وقد يوجد في كثير من الخطب والشعر وغيرها ما يكون في مقدار السورة خاليًا من التناقض"(3).

الوجه الرابع: وهو الوجه الذي اعتبره الأستاذ أحمد البدوي الوجه الوحيد للإعجاز؛ لأنه يتحقق في كل قدر من القرآن، وهو نظم القرآن وبلاغته، فقال: " أما الوجه الذي نرتضيه لإعجاز القرآن، فهو ما يتحقق في كل قدر من القرآن تحدى به، وهو أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه"(4).

---

(1) هو أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، ولد في مدينة دمياط عام (1324 هـ - 1906م)، كانت له مشاركات أدبية وشعرية في الصحف والمجلات المختلفة، وكان يلقي المحاضرات في الإذاعة المصرية والمنتديات الأدبية، له مؤلفات عدة، منها في الأدب وتاريخه، وفي النقد الأدبي، توفي في القاهرة عام (1384هـ- 1964 م).

[ينظر ترجمته: موقع المكتبة الشاملة، http://shamela.ws/index.php/author/1420].

(2) من بلاغة القرآن، (ص 46).

(3) المصدر السابق، (ص 47).

(4) المصدر السابق، (ص 47).

وقال أيضًا: " وجه الإعجاز الحق إذا هو ما اتسم به القرآن من بلاغة، تحير فيها أهل الفصاحة من العرب، وأعيان البلاغة من بينهم، فسلموا، ولم يشغلوا أنفسهم بمعارضته؛ لعلمهم بالعجز عن بلوغ مداه"[1].

من هذا العرض يتبين لنا أن الأستاذ أحمد البدوي ممن يقولون بأن الوجه المعجز الوحيد هو الوجه البلاغي، وما سواه مما يعتبره بعض العلماء وجوهًا للإعجاز هي دلائل على صدق الوحي والنبوة.

ثانيًا: الشيخ محمود شاكر:

كتب الشيخ محمود شاكر مقدمة مطوّلة قيمة لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، وجعل عنوان هذه المقدمة: (فصل في إعجاز القرآن)، ذكر فيها حقائق أساسية حول الإعجاز.

وقبل أن يخوض في إعجاز القرآن؛ بدأ حديثه بالتأكيد على حقيقتين عظيمتين في الإعجاز:

الحقيقة الأولى: أن (إعجاز القرآن) دليل النبي ﷺ على صدق نبوته، وعلى أنه رسول الله تعالى يوحى إليه هذا القرآن، وأن النبي ﷺ كان يعرف (إعجاز القرآن) من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب، وأن التحدي الذي تضمنته آيات التحدي، إنما هو تحدٍّ بلفظ القرآن ونظمه وبيانه لا بشيء خارج عن ذلك، فما هو بتحدٍّ بالإخبار بالغيب، ولا بعلم ما لا يدركه علم المخاطبين به من العرب، ولا بشيء من المعاني مما لا يتصل بالنظم والبيان.

الحقيقة الثانية: أن إثبات دليل النبوة، وتصديق دليل الوحي، وأن القرآن تنزيل من عند الله تعالى، كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من كتب الله سبحانه وتعالى، لا يكون منها شيء يدل على أن القرآن معجز.

وخلص بعد ذلك بنتيجة من هاتين الحقيقتين وهي: أن القرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن [2].

ثم شرع بعد ذلك في بيان معنى إعجاز القرآن بذكر طرف مما يُعين الإنسان على معرفته.

فبيّن أن القرآن نزل على النبي ﷺ منجمًا، ولم ينزل جملة واحدة، وكان ما نزل على النبي ﷺ من القرآن فيه تحدي للكفار أن يأتوا بمثله، فكان هذا القليل من القرآن الذي نزل عليه هو برهانه على

---

(1) من بلاغة القرآن، (ص 48).

(2) ينظر: مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، (ص 24-25).

نبوته ﷺ، وبهذا يثبت أن القرآن قليله وكثيره معجز، وهذا لا يكون إلا من وجه واحد، وهو وجه البيان والنظم؛ لأنه متحقق في كل آيات القرآن، وهذا هو الذي طولب العرب بالإتيان بمثله(1).

ومن خلال هذا يبطل الشيخ شاكر جميع وجوه الإعجاز غير وجه البيان والنظم، وذلك أن العرب لم يُطالبوا بالإتيان بمثل القرآن بأيٍ من الوجوه غير النظم والبيان، فيقول: " وإذا صح أن قليل القرآن وكثيره سواء من هذا الوجه، ثبت أن ما في القرآن جملة- من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة، ومن أنباء الغيب ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله- كل ذلك بمعزل عن الذي طولب به العرب، وهو أن يستبينوا في نظمه وبيانه انفكاكه من نظم البشر وبيانهم، من وجه يحسم القضاء بأنه كلام رب العالمين"(2).

وقال أيضًا: "ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله -تعالى- في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلاً على أنه من عند الله تعالى، ولكنه لا يدل على أن نظمه وبيانه مباين لنظم كلام البشر وبيانهم، وأنه بهذه المباينة كلام رب العالمين، لا كلام بشر مثلهم"(3).

مما سبق يظهر لنا أن الشيخ محمود شاكر ممن يقولون بأن وجه الإعجاز الوحيد هو البيان والنظم، ويرد شاكر الوجوه الأخرى التي يسميها العلماء وجوه إعجاز، ويُبين أنّ الصواب تسميتها أدلة على صدق الوحي والنبوة وليس إعجازًا.

ثالثًا: الدكتورة عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ –(4):

أصدرت الدكتورة عائشة عبد الرحمن عدة دراسات إسلامية وقرآنية، ومن أهمها كتاب: (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق).

---

(1) ينظر: مقدمة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، (ص 28).

(2) المصدر السابق، (ص 28).

(3) المصدر السابق، (ص 31).

(4) هي عائشة محمد علي عبد الرحمن، المعروفة ببنت الشاطئ، مفكرة وكاتبة مصرية، ولدت في مدينة دمياط بشمال دلتا مصر في منتصف نوفمبر عام 1912 م، من مؤلفاتها: التفسير البياني للقرآن الكريم، والقرآن وقضايا الإنسان، وحققت الكثير من النصوص والوثائق والمخطوطات، توفيت يوم الثلاثاء أول ديسمبر 1998 م- 1419هـ، عن عمر يناهز 86 عامًا.

[ينظر الترجمة: موقع المكتبة الشاملة، http://shamela.ws/index.php/author/1179]

وجعلت كتابها ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في المعجزة والتحدي ووجوه إعجاز القرآن وموقف البلاغيين من الإعجاز القرآني

والمبحث الثاني: وهو محاولة في فهم الإعجاز البياني، وفصلت القول في:

1 – فواتح السوَر، وسِرُّ الحرف.

2 – دلالات الألفاظ، وسر الكلمة.

3 – الأساليب، وسِرُّ التعبير.

والمبحث الثالث: دراسة أدبية للمسائل التي وجهها نافع ابن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما.

والذي يهمنا من كتابها هو حديثها عن وجوه الإعجاز.

فبدأت الدكتورة عائشة حديثها بأن مذاهب السلف من علماء الإسلام قد اختلفت في بيان الإعجاز، "وتعددت أقوالهم في وجوهه، لكن إعجازه البلاغي لم يكن قط موضع خلاف، وإنما كان الجدل بين الفرق الإسلامية، في اعتباره الوجه في الإعجاز، أو القول بوجوه أخرى معه"[(1)].

ثم شَرَعَتْ باستعراض بعض وجوه الإعجاز وردّها، لتثبت أن وجه الإعجاز الوحيد هو الإعجاز البياني.

فَرَدَّتْ على من قال بوجه الصرفة، ورَدَّتْ على من قال: إن إعجاز القرآن بقِيَمِهِ ومُثُله وأحكامه، حيث يستحيلُ أن يأتي مثلها من بشر أُمّيّ في قوم أميين، وَرَدَّتْ على من قال: إن إعجازه بإخباره عن الغيوب، ورَدَّتْ كذلك على من قال: بالإعجاز العلمي[(2)].

ويُفهم من كلام الدكتورة عائشة بعد ردها لما يعتبره العلماء وجوه إعجاز، أنها تقرر أن الإعجاز البياني هو الوجه الوحيد لإعجاز القرآن.

رابعًا: الدكتور عدنان زرزور:

أصدر الدكتور عدنان زرزور كتابًا أسماه: (مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه)، وتحدث في الباب الثالث من كتابه، في الفصل الأول والثاني منه عن إعجاز القرآن.

---

(1) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، (ص 79).

(2) ينظر: المصدر السابق، (ص 96).

فبيّن في الفصل الأول أن للحديث عن (إعجاز القرآن) جانبان بارزان: الجانب التاريخي، والجانب الموضوعي، وقبل البدء بالحديث عن هذين الجانبين ذكر ملاحظتين مهمتين :

الأولى: أن القرآن الكريم هو معجزة النبيّ ﷺ الكبرى أو الرئيسة، ودليله على النبوّة، وأن هذه المعجزة معجزة عقلية علمية بيانية يدركها الإنسان أو يزداد علما بآفاقها وميادينها بمقدار إمعانه في العقل والفهم، وبمقدار ما يقف عليه من قوانين الكون وسنن الطبيعة..

الثانية: أن اختلاف الكلاميين والبلاغيين وسائر العلماء والدارسين على وجه العموم في تفسير الإعجاز، أو في تعيين الوجه الذي صار به القرآن معجزًا حتى استحال على الثّقلين جميعا أن يأتوا بسورة مثله لا ينفي وقوع الإعجاز وثبوته[1].

ثم أثبت أن الإعجاز حقيقة تاريخية، ودلل على ذلك من خلال تحدي القرآن للكفار بأن يعارضوه بمثله، ثم شرع ببيان معنى الإعجاز الذي وقع به التحدي، فقال: " هذا الإعجاز ما وجهه، وما حقيقته، وبم صار القرآن مباينًا لكلام العرب؟

هل صار مباينًا لهذا الكلام من وجه بياني صرف؟ أم بخصائص موضوعية تتصل بالأمور الغيبية والتشريعية الأخرى التي جاء بها القرآن الكريم، والتي لم يكن في وسع أحد– كائنًا من كان– أن يأتي بها في بلد كمكة، وظرف كالظرف الذي وجد فيه محمد– عليه الصلاة والسلام–"[2].

ومن خلال نقله لكلام الشيخ محمود شاكر، أثبت أن وجه الإعجاز الذي وقع به التحدي هو الإعجاز البياني، فقال: " المعنى المراد بإعجاز القرآن، وهو أن القرآن يحمل في بيانه الدليل الكافي على أنه ليس من كلام البشر، إذ لا معنى للمطالبة بالإقرار بمجرد التلاوة، إلا أن هذا المقروء عليهم كان هو في نفسه آية فيها أوضح الدليل على أنه ليس من كلامه ﷺ، ولا من كلام بشر مثله"[3].

وفي الفصل الثاني من الباب الثالث تحدث الدكتور زرزور عن الآراء والنظريات حول الإعجاز، فبيّن اختلاف المفسرين وعلماء البلاغة في تفسير الإعجاز، وذهابهم في تفسيره مذاهب شتى، ثم ذكر نظرته للإعجاز فقال: "وإذا كان من البيّن عندنا أن الإعجاز الذي وقع به التحدّي– وهو المراد من الإعجاز عند الإطلاق بالطبع– كان وجهه بيانيًا صرفًا ... وعلى الرغم من تسليم الكثيرين بهذا الرأي إلا أن بعضهم لا يمتنع من الحديث عن (الإعجاز الغيبي) – بمعنى ما أشار إليه القرآن من أمور على أنها ستقع في المستقبل، وكان كما أخبر– وعن (الإعجاز العلمي) أي ما أشار إليه القرآن من علوم

---

(1) ينظر: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، (ص 146–147).

(2) المصدر السابق، (ص 153).

(3) المصدر السابق، (ص 155).

ومعارف كونية، وعن (الإعجاز التشريعي) ... إلخ، موردًا كلمة (الإعجاز) في غير إطارها التاريخي السابق، وهذا ما دعانا إلى التقييد المشار إليه، بوصفه لونًا من ألوان الاحتياط، وبيان «المجال» الحقيقي للإعجاز، فقلنا: الإعجاز الذي وقع به التحدّي"[1].

ويظهر من كلام الدكتور زرزور أنه لا يقول بتعدد وجوه الإعجاز، وهذا ما أثبته خلال هذا الفصل.

ثم تحدث عن أهم النظريات التي قيلت في تفسير الإعجاز البياني أو الإعجاز الذي وقع به التحدّي، فذكر القول بالصرفة وبيّن معناها، ومن قال بها من العلماء، وذكر الردود عليها، ثم ذكر أن وجه الإعجاز إنما هو بنظم القرآن، وأضاف إليه لونين من ألوان البيان القرآني، وبين أنهما يكملان نظرية الإمام عبد القاهر الجرجاني، وهما: التصوير الفني، والجانب الصوتي والنغم القرآني.

وفي ختام الفصل بيّن أن القول بأن الوجه المعجز الوحيد هو الإعجاز البياني يضعنا أمام مشكلتين:

المشكلة الأولى: كيف يتم فهم هذه القضية أمام انحدار السليقة العربية، أو أمام اختلافنا عن جيل التنزيل بوجه عام في باب اللغة والبيان؟

المشكلة الثانية: كيف يؤمن غير العرب، والإسلام عام لجميع الناس؟

وبيّن أن الذين يتحدثون عن هاتين المشكلتين اليوم يريدون إلجاءنا إلى الكلام عما يسمونه (الإعجاز العلمي) أو (الإعجاز التشريعي)، وهي الأنواع التي تحل اليوم- في قضية الدعوة إلى القرآن بالقرآن- مشكلة العرب والعجم جميعا! [2].

وقد رد على المشكلة الأولى فقال: " أما المشكلة الأولى فقد أجاب عنها بعض العلماء السابقين بأن هذا الإعجاز إذا كان لزم الأوائل- وهم من هم في باب البلاغة والفصاحة والبيان- فلأن يلزم سائر الأجيال من بعدهم من باب أولى! ... ونحن نقول من وجه آخر- ونرجو ألا يكون في ذلك حيف أو تجاوز-: إن جيلنا اليوم قد يكون أقدر من أجيال سابقة كثيرة على إدراك بعض مناحي الإعجاز- أي البلاغي- وما بين يدينا اليوم من تراث نقدي وأدبي، في لغة العرب وسائر لغات العالم، ينهض بنا إلى هذا المقام، أو يقوم على الأقل مقام تلك السليقة المطبوعة والبيان الموروث"[3].

ورد على المشكلة الثانية بقوله: " أما مشكلة غير العرب، فلا أدري هل ينتظر بعض الناس أن ينزل القرآن بكل لغات الأرض! ما كان منها، وما سيكون إلى يوم الدين؟ وهل يتساوق هذا مع طبيعة الأشياء، ومع طبيعة الإيمان الذي أراده الله تعالى من الإنسان؟ ... ولنقل: إن بعض وجوه الإعجاز-

(1) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، (ص 157).
(2) ينظر: المصدر السابق، (ص 185-186).
(3) المصدر السابق، (ص 186).

أي البياني– تلزم حتى غير العرب. ولنقل إن من حق– أو واجب– جميع الناس أن تعمّهم (اللغة المثال) ما دام القرآن الكريم نازلاً بلغة واحدة من لغات الأرض ... إلخ، ولقد قلنا أكثر من مرة: إن في وسعنا أن نقيم الدليل لهؤلاء على أن هذا الكتاب الخالد هو كلام الله –تعالى– من وجوه كثيرة على كل حال، ولكن علينا أن نُبقي الإعجاز الذي وقع به التحدّي في إطاره الصحيح لا نخرج به عنه"[1].

ويُبين الدكتور عدنان زرزور أن مضامين القرآن دلائل على مصدر القرآن، ويرفض اعتبارها وجوهًا للإعجاز؛ لأن هذا خلط وتمييع يسيء للإعجاز، ولو عن غير قصد، فيقول: " ونحن لم ننكر أن تكون مضامين القرآن من أهم وسائل تعميمه والدعوة إليه، وأن تكون براهين أو دلائل على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد. ولكن أنكرنا أن تكون مناط الإعجاز الذي وقع به التحدّي، ومن شاء أن يسمّيها «إعجازا» من باب التجوّز فليفعل، على ما يعود من عمله هذا على القضية الأساسية من بُعد وإساءة، أو خلط وتمييع، ولو عن غير قصد ..."[2].

والباحث يوافق الدكتور عدنان زرزور فيما قاله، وهذا الذي يريد إثباته في هذا البحث.

خامسًا: الدكتور صلاح الدين الخالدي:

أصدر الدكتور صلاح الخالدي عدة دراسات قرآنية، من أهمها كتابه القيم: (إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني)، وهو من أجود كتب الإعجاز في العصر الحديث، فقد وضع فيه الدكتور الخالدي خلاصة بحثه وخبرته ودراسته لمسألة الإعجاز.

يقول الدكتور الخالدي في مقدمة كتابه: " وقد درّست مادة إعجاز القرآن منذ حوالي عشرين سنة ... وسبق أن أعددت كتابًا في الإعجاز قبل اثنتي عشرة سنة، هو كتاب (البيان في إعجاز القرآن) الذي أصدرته عام 1989م، وتابعت فيه جمهور العلماء في القول بوجوه عديدة في الإعجاز، كالإعجاز العلمي والغيبي والتشريعي والنفسي ... وبعد تدريس ذلك الكتاب أكثر من عشر سنوات دعت الحاجة العلمية إلى إعادة النظر في فصوله ومباحثه، فكان هذا الكتاب بفضل الله –تعالى– وتوفيقه"[3].

والحقيقة التي يريد الدكتور إثباتها في كتابه، أن الوجه الوحيد للإعجاز هو الإعجاز البياني، وما يسميه العلماء وجوهًا للإعجاز هي أدلة على مصدر القرآن الرباني، حيث يقول: "ولست مع جمهور

---

(1) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه ، (ص 187).

(2) المصدر السابق، (ص 185– 186) بتصرف.

(3) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، (ص 7).

العلماء الذين يجعلون وجوه الإعجاز عديدة، ويدخلون الأدلة على مصدر القرآن الرباني ضمن وجوه الإعجاز ..." [1].

وقد أكد على أنّ التحدي كان بالبيان القرآني فقط، حيث يقول: "إن تحدي الكفار كان بالبيان القرآني، وهم عجزوا عن معارضة القرآن معارضة بيانية، وإن بيان القرآن هو مظهر إعجازه، وهذا البيان القرآني مُوسّع مُفصّل مُنوّع، لكنّ هذا البيان كله دليل على أن هذا القرآن كلام الله –تعالى–، وليس كلام أحد من البشر"[2].

ثم بيّن أن كثيرًا من هذه الدلائل – التي قد تكون من تعبير القرآن البياني المعجز، وقد تكون من مضامينه وموضوعاته، كالأخبار الغيبية واللفتات العلمية وغيرها – اعتبرت داخلة ضمن إعجاز القرآن، واعتبرت من وجوه الإعجاز فيه.

وقد بدأت إشارات مجملة إلى هذه النقلة الخطيرة في الماضي، ولكنها توسعت كثيرًا في العصر الحاضر.

يقول الدكتور الخالدي: " أصبحت مضامين القرآن في هذه المرحلة الخطيرة من وجوه إعجازه: أصبحت اللفتات العلمية في القرآن الإعجاز العلمي! وأصبحت أخبار الغيب في القرآن الإعجازَ الغيبي! وأصبحت تشريعات القرآن السامية الإعجاز التشريعي، وهكذا"[3].

ثم بيّن أنّ بهذه النقلة الخطيرة التبس الأمر كثيرًا في موضوع الإعجاز، واختلطت الحقائق، لذلك يجب أن نعود بإعجاز القرآن إلى مرحلته الأولى، وإن كان لا بد من تفصيل القول فيه، فلا مانع من الوقفة مع هذا العلم باعتباره علمًا يبحث في إعجاز القرآن البياني.

ودعا الدكتور الخالدي إلى الفصل بين الإعجاز البياني ودلائل صدق الوحي والنبوة، فقال: " لا بد أن نفصل علم (إعجاز القرآن البياني) عن علم (دلائل مصدر القرآن الرباني) وهما علمان ضروريان لحسن فهم القرآن، وحسن الدعوة إليه، وإقناع الآخرين – من العرب وغيرهم – لكنّ الأول (الإعجاز البياني) جزء من الثاني! وكم يخطئ من يجعلون العلم الثاني (دلائل مصدر القرآن) جزءًا من الأول، ووجوهًا معاصرة من وجوه الإعجاز! وكم يسيئون بهذا إلى حقيقة العلم وفكرة إعجاز القرآن!! ومنذ متى صار الأصل الأعم الأشمل جزءًا من الفرع المتفرع عنه؟!"[4].

---

(1) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، (ص 7).

(2) المصدر السابق، (ص 108).

(3) المصدر السابق، (ص 109).

(4) المصدر السابق، (ص 110).

ثم بيّن الدكتور الخالدي أن مضامين القرآن كالأخبار الغيبية واللفتات العلمية وغيرها ليست موضوع التحدي، فموضوع التحدي هو البيان القرآني؛ لأنه هو الذي طلب من الكفار أن يأتوا بمثله، والمثلية في التحدي مثلية بيانية.

فيقول: " قررنا أن التحدي – كان وما يزال – بالبيان القرآني، ولذلك هو الوجه الوحيد في الإعجاز، ... وقررنا نتيجة عن هذه الحقيقة، وهي أن مضامين القرآن لم تكن موضوع التحدي، وهي لا تصلح أن تكون وجوهًا للإعجاز.

فلا نقول إعجاز علمي، أو إعجاز غيبي، أو إعجاز تشريعي أو غير ذلك، ولكن نعتبرها دلائل على أن القرآن كلام الله تعالى ... "[1].

والباحث يوافق الدكتور صلاح الخالدي في نظرته للإعجاز ويقول بقوله، فالإعجاز الوحيد للقرآن هو الإعجاز البياني، وما سوى ذلك من "وجوه الإعجاز" – كما يسميها العلماء–، إنما هي دلائل على صدق الوحي والنبوة.

ثم تحدث في الفصل الثالث والأخير والذي بعنوان: (دلائل مصدر القرآن الرباني)، عن بعض الدلائل على صدق الوحي والنبوة، وقسمه إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: أنباء الغيب الصادقة في القرآن:

تحدث فيه عن بعض الأخبار الغيبية في القرآن الكريم، وقسمها إلى ثلاثة أنواع:

غيب الماضي، وغيب الحاضر، وغيب المستقبل، وتحدث عن كل نوع من الأنواع الثلاثة مع التمثيل له من القرآن، وبيّن دلالته على صدق الوحي والنبوة.

المبحث الثاني: الحقائق العلمية الثابتة في القرآن:

تحدث فيه عن بعض الحقائق العلمية الثابتة في القرآن الكريم ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

المبحث الثالث: التشريعات الحكيمة السامية في القرآن:

تحدث فيه عن تشريعات القرآن الكريم ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

المبحث الرابع: التحليلات النفسية الكاشفة في القرآن:

---

(1) إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، (ص 113–114).

ذكر فيه ما جاء في القرآن من الحديث عن النفس الإنسانية، وما جاء فيه من معلومات وتحليلات عنها، وبيّن أن هذه التحليلات النفسية الواردة في القرآن الكريم تدل على أن القرآن كلام الله تعالى، الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

المبحث الخامس: التأثير البليغ الأخّاذ للقرآن:

بيّن فيه أثر القرآن على النفس البشرية، ومثّل لذلك أمثلة من سير السابقين، وأمثلة من سير المعاصرين، وذكر أن هذا التأثير البليغ يدل على أن القرآن كلام الله تعالى.

سادسًا: الأستاذ الدكتور عبد السلام حمدان اللوح:

أصدر أستاذنا الدكتور عبد السلام اللوح كتابًا في الإعجاز بعنوان: (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم)، وهو عبارة عن رسالة ماجستير تم مناقشتها عام 1986م، حيث كان أستاذنا ممن يقولون بتعدد وجوه الإعجاز، وقد دافع في رسالته عن الإعجاز العلمي دفاعًا شديدًا، وَرَدَّ على من قال بأن الوجه المعجز الوحيد هو الوجه البياني البلاغي.

ولكن بعد بحثه وتدريسه المتواصل لمساق الإعجاز لمرحلتي البكالوريوس والماجستير، استبان له الحق في هذه المسألة، وأصبح من أوائل العلماء في غزة؛ المنظرين للقول بأن الوجه الوحيد للإعجاز هو الوجه البياني، وما سوى ذلك مما يعده العلماء أوجه إعجاز؛ هي أدلة على صدق الوحي والنبوة، وأصدر الدكتور عبد السلام اللوح طبعة جديدة ومنقحة لكتابه السابق، وسماه: (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – والأولى أن يسمى: الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة)، وذكر في مقدمته نظرته الجديدة لإعجاز القرآن.

يقول الدكتور عبد السلام اللوح في مقدمة الطبعة الثالثة من كتابه: " وقد قمت بتدريس مادة الإعجاز ... وذلك منذ كتابة هذه الرسالة العلمية إلى يومنا هذا الموافق 2017م، وأثناء تدريسي وبعد مضي ما يقارب خمسة عشر عامًا ظهرت لي أمور وقضايا إعجازية ما كنت أعلمها يوم كتبت الرسالة، ثم ترسَّخت وتجذَّرت هذه القضايا وأصبحت واضحة وضوح الشمس خلال ما يقارب خمسة عشر عامًا أخرى، ومن هذه القضايا التفريق بين الوجه المعجز في القرآن الكريم، وبين الأدلة على صدق الوحي والنبوة ..." [1].

---

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم "والأولى أن يسمى" الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، عبد السلام اللوح، (صفحة: أ).

وقد شرح الدكتور عبد السلام نظرته الجديدة للإعجاز ودلل عليها من خلال ثلاثة بحوث علمية محكمة، وهي:

البحث الأول بعنوان: " حوار مع الرماني في وجوه الإعجاز القرآني "، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، عام 2008م.

البحث الثاني بعنوان: " بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز القرآني"، تمت المشاركة به في مؤتمر بدولة المغرب بعنوان: النص القرآني بين التحليل والفهم والاستنباط، وذلك عام 2013م.

البحث الثالث بعنوان: " الإعجاز البلاغي عند أبي سليمان الخطابي – دراسة وتحليل "، بمشاركة الدكتور عبد الله الملاحي، وهو بحث مقدم لمؤتمر الإعجاز البلاغي المزمع عقده من قِبَل مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية، بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية.

ومن خلال دراسة البحوث الثلاثة، يمكننا تلخيص نظرة أستاذنا عبد السلام اللوح للإعجاز بما يأتي:

1- دعا أستاذنا إلى تأصيل وضبط وتقعيد قضايا الإعجاز عن طريق التمييز بين الوجه المعجز ودليل الإعجاز وشرط الإعجاز وأدلة صدق الوحي والنبوة، فإذا حصل التمييز بين هذه القضايا، ومعرفة حدود كل قضية مما قد يقع فيه الاشتباه والخلط، فقد تحقق التأصيل والضبط، وأُمِن اللبس والخلط[1].

2- بيّن المراد بالوجه المعجز للقرآن الكريم وهو الجانب اللغوي؛ لأنه الأمر الذي كان من جهته التحدي؛ وقد مثّل عقبة وعلة أمام الخلق جميعًا عن معارضة القرآن بمثله، وهو الأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن الكريم[2].

3- بيّن أن دليل إعجاز القرآن؛ هو عجز العرب عن معارضة القرآن بمثله؛ رغم توفر الدواعي؛ وشدة الحاجة إلى تلك المعارضة[3].

4- وضّح أشراط الإعجاز التي لا يتحقق الإعجاز إلا بها، وهي ثلاثة:

أ- التحدي وهو طلب المنازلة والمعارضة.

---

(1) ينظر: حوار مع الرماني، (ص 100).

(2) ينظر: المصدر السابق، (ص 101-103).

(3) ينظر: المصدر السابق، (ص 100-101).

ب- وجود المقتضَى الذي يدفع المتحدَّى إلى المنازلة.
ت- عدم وجود مانع من المباراة[1].

5- بيّن أن أدلة صدق الوحي والنبوة هي أمر آخر غير وجوه الإعجاز، وغير أدلة الإعجاز، لكونها غير متحدى بها أصلاً، وذلك: كالإشارات العلمية، والأخبار الغيبية، وغير ذلك[2].

6- أكد على أهمية أدلة صدق الوحي والنبوة ودورها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، خاصة مع الذين لا يتكلمون العربية، وبيّن أنها - بالإضافة للوجه المعجز - دالة على أن القرآن كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ هو رسول الله قطعًا [3].

7- أثبت أن التدرج في آيات التحدي كان متعلقًا بالكم المتحدى به، وليس بنوع الإعجاز، وذلك من خلال دراسته لآيات التحدي في القرآن الكريم[4].

8- دلل على أن العجز عن المثلية متعلق باللفظ والمعنى والنظم، ولا تتحقق المثلية الكاملة إلا بها مجتمعة، وأي وجه إعجازي يُقال منسوبًا إلى المعنى فقط، أو اللفظ فقط، أو النظم فقط، هو رأي يحتاج إلى تمحيص وإعادة نظر [5].

9- وخلص إلى أن القرآن ليس بحاجة لأن ننتصر له بكثرة وجوه الإعجاز وإن كانت ضعيفة، فالقرآن معجز بكل ما تعني كلمة الإعجاز من دلالة وعمق ومعنى، حتى لو كان الوجه المعجز واحدًا لم يتعدد، والأصل أن نسمي كل شيء باسمه الحقيقي دون تغيير أو تبديل، حتى لا نقع في الخلط واللَّبس[6].

---

(1) ينظر: حوار مع الرماني، (ص 106).
(2) ينظر: المصدر السابق، (ص 103-106).
(3) ينظر: بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز القرآني، (ص 29).
(4) ينظر: المصدر السابق، (ص 17).
(5) ينظر: المصدر السابق، (ص 19).
(6) ينظر: الإعجاز البلاغي عند أبي سليمان الخطابي- دراسة وتحليل، (ص 27).

ثانيًا: القسمُ التطبيقيٌّ للدراسةِ

وفيه: تمهيدٌ وفصلان

۞ التمهيد:

أنواعُ الغيبِ ودلالتُه على صدق الوحي والنبوةِ

۞ الفصلُ الأولُ:

نماذجُ من غيبِ الماضي والمستقبلِ

(الأخبارُ الغيبيةُ قبل البَعثة وبعدها ودلالتُها على صدق الوحي والنبوة)

۞ الفصلُ الثاني:

نماذجُ من غيبِ الحاضرِ

(الأخبارُ الغيبيةُ أثناء البَعثة ودلالتُها على صدق الوحي والنبوة)

التمهيد

أنواعُ الغيبِ ودلالتُه على صدقِ الوحيِ والنبوةِ

وفيه:

أولاً: لا يعلمُ الغيبَ إلا اللهُ تعالى

ثانيًا: أنواعُ الغيبِ

ثالثًا: وجهُ دلالةِ الغيبِ على ربانيةِ القرآنِ ونبوةِ محمدٍ ﷺ

رابعًا: زَعْمُ الكافرين تعلّم النبيِّ ﷺ الأخبار الغيبية من أحبار أهل الكتابِ

التمهيد

أولاً: لا يعلم الغيب إلا اللهُ تعالى:

خَصّ الله تعالى نفسه بعلم الغيب، فلا يعلم الغيب إلا هو، وقد كثرت الآيات القرآنية التي تُقرر هذه الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾ [النمل: ٦٥].

قال ابن كثير: " يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول مُعلِّمًا لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحدٌ من أهل السموات والأرض الغيب، وقوله: ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحدٌ ذلك إلا الله عز وجل، فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له، كما قال:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ... ﴾ [الأنعام: ٥٩] "[1].

وقد نفى الله تعالى عن خلقه معرفة الغيب، فأخبر أن الملائكة لا يعلمون الغيب، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال القرطبي: " قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ قد علمنا قطعًا أنّ الملائكةَ لا تعلم إلا ما أُعلمت ولا تسبق بالقول، وذلك عام في جميع الملائكة"[2].

ونفى سبحانه وتعالى عن الجنّ معرفة الغيب، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].

قال البغوي: " أراد الله –تعالى– بذلك أن يعلمَ الجنُّ أنهم لا يعلمون الغيب؛ لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب، لغلبة الجهل عليهم. وذكر الأزهري: أن معنى ﴿ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ ﴾، أي ظهرت وانكشفت الجنُّ للإنس، أي ظهر أمرُهم أنهم لا يعلمون الغيب؛ لأنهم كانوا قد شبَّهوا على الإنس

(1) تفسير القرآن العظيم، (207/6).

(2) الجامع لأحكام القرآن، (274/1).

ذلك"[1].

ونفى الله تعالى عن أنبيائه معرفة الغيب، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ...﴾ [الأعراف: ١٨٨]،

قال ابن كثير: " أمره الله تعالى أن يُفوض الأمور إليه، وأن يُخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله –تعالى– عليه "[2].

وكذلك نَفَتْ أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها معرفة رسول الله ﷺ للغيب، واتهمت من يزعم هذا بالكذب.

عن مسروق عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهَا، قَالَتْ: (مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الغَيْبَ، فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: **(لاَ يَعْلَمُ الغَيْبَ إِلا اللهُ –تعالى–)**[3]، وفي رواية : (وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾ [لقمان: ٣٤].)[4].

فمهما سمت وعلت مكانة النبي محمد ﷺ؛ فإنه لا يخرج عن كونه بشرًا لا علم له بالغيب باعترافه، قال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ...﴾ [الأنعام:٥٠].

فالغيب عند الله تعالى، وهو مختص به لا يعلمه غيره سبحانه، فهو يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، يعلم ما كان في غابر الأزمان، ويعلم ما سيكون من حوادث في آخر الزمان، وما سيكون بعد الموت، وما في الآخرة، ويعلم عز وجل أهل الجنة وأهل النار.

ثانيًا: أنواع الغيب:

ينقسم الغيب إلى قسمين:

---

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (675/3).

(2) تفسير القرآن العظيم، (523/3).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التوحيد/ باب قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾، (116/9)، رقم الحديث (7380).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾، (140/6)، رقم الحديث (4855).

القسم الأول: غيبٌ استأثرَ اللهُ تعالى بعلمه (الغيب المطلق):

فلا يُطْلِع الله تعالى عليه أحداً من خلقه كائناً من كان، حتى الأنبياء لا يُطلعهم عليه، من هذا الغيب؛ وقتُ قيام الساعة الكبرى، وعِلم ما في الأرحام كونه شقيًا أو سعيدًا، ومتى ينزل الغيث، وكذلك وقتُ موتِ الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

قال ابن عطية: " الآية حاصرة لمفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ولن تجد من المغيبات شيئا إلا هذه؛ أو ما يعيده النظر والتأويل إليها، وعلمُ الساعة مصدر مضاف إلى المفعول، أي كل ما شأنه أن يُعلم من أمر الساعة، ولكن الذي استأثر الله تعالى به هو علم الوقت، وغير ذلك قد أعلم ببعضٍ منه، وكذلك نزول الغيث أمرٌ قد استأثر الله تعالى بتفصيله وعلم وقته الخاص به، وأمرُ الأجنة كذلك، وأفعال البشر وجميع كسبهم كذلك، وموضع موت كل بشر كذلك ..."[(1)].

وقال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقد كان النبيُّ ﷺ يُسألُ عن وقتِ الساعة فلا يجيب عنها، ويُرجعُ عِلْمها إلى الله تعالى، وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور؛ كان مما سأله جبريل عليه السلام: " فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ ﷺ: **(مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)**[(2)].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **(مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إلا اللهُ – تعالى-: لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إلا اللهُ –تعالى-، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إلا اللهُ –تعالى-، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إلا اللهُ –تعالى-، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلا اللهُ –تعالى-)**[(3)].

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (356/4).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب معرفة الإيمان ...، (36/1)، رقم الحديث (8).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴾، (79/6)، رقم الحديث (4697).

وليست المغيبات محصورة في هذه الخمسة المذكورة في الآية، بل كل غيب لا يعلمه إلا الله تعالى داخل فيما استأثر الله تعالى بعلمه، وإنما خُصت هذه الخمسة بالذكر؛ لأنها من أهم المغيبات؛ أو لأن السؤال كان عنها[1].

شبهةٌ والردُّ عليها:

فإن زعم بعضُ المشككين من الناس أنهم يعلمون ما في الأرحام كونه ذكرًا أو أنثى – وذلك من خلال التصوير التلفزيوني للرحم – ؛ قلنا: إن الله جل جلاله لم يَقُل: ويعلم مَنْ في الأرحام، بل قال: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾، والفرق واضح بين الكلمتين لمن يفقه العربية.

حيث إن الاسم الموصول (مَن) تختص غالبًا بالعقلاء، أما الاسم الموصول (ما) فتقع في اللغة لذوات ما لا يعقل، وعلى صفات من يعقل[2].

ومعنى الآية: أن الله تعالى يعلمُ صفات ما في الأرحام، وليس المقصود معرفة جنس ما في الأرحام فقط، وهذه الصفات لا يعلمها إلا الله تعالى، فمن يستطيعُ أن يعلمَ أنَّ هذا الجنينَ سيكون عالمًا أو جاهلاً، شقياً أو سعيدًا، طويلَ العُمُر أو قصيرَ العُمُر، مُصلحًا كبيرًا أو مجرمًا خطيرًا، ما لونُ بشرتِه؟ ما لونُ عينيه؟ ما صفاتُه؟ هل سيكون كريمًا أو بخيلاً؟ من سيتزوج؟ كم سيُنجب؟ ما رزقُه؟ فمن ادّعى معرفته للغيب بمعرفة من في الأرحام من حيث الذكورة والأنوثة؛ فهذا ليس عِلم غيب.

القسم الثاني: غيبٌ أَطْلَعَ اللهُ تعالى عليه بعض خلقه (الغيب النسبي):

إنَّ الله تعالى يُطلِع بعض خلقه – من الملائكة والأنبياء والأولياء ومن شاء الله تعالى – على بعض الغيب، فقد يعلم الغيب بعض الخلق من الملائكة والرسل بإخبار الله تعالى لهم.

قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ... ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

قال ابن كثير: " هذه كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهكذا قال هاهنا: إنه يعلم الغيب والشهادة، وإنه لا يَطَّلعُ أحدٌ من خلقه على شيءٍ من عِلمه إلا مما أطلعه

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (135/11).
(2) ينظر: معاني النحو، فاضل سامرائي، (1/129-130).

تعالى عليه؛ ولهذا قال: ﴿ ... فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ... ﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري"(1).

وقال ابن حجر العسقلاني: " وأما ما ثبت بنص القرآن أن عيسى عليه السلام قال: إنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون، وأن يوسف قال: إنه ينبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتي، إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات، فكل ذلك يمكن أن يستفاد من الاستثناء في قوله –تعالى–: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ... ﴾ فإنه يقتضي اطلاع الرسول على بعض الغيب، والوليُّ التابعُ للرسول؛ عن الرسول يأخذ؛ وبه يُكرَّم، والفرق بينهما أن الرسول يطلع على ذلك بأنواع الوحي كلها، والولي لا يطلع على ذلك إلا بمنام أو إلهام. والله –تعالى– أعلم"(2).

وقال تعالى: ﴿ ... وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ... ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، قال البغوي: " وما كان الله –تعالى– ليطلعكم على الغيب؛ لأنه لا يعلم الغيب أحد غير الله –تعالى–، ولكن الله –تعالى– يجتبي من رسله من يشاء فيطلعه على بعض علم الغيب"(3).

وقد يسمعُ الغيبَ بعض الجن المسترقين للسمع عندما تتحدث الملائكة به، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(إِذَا قَضَى اللَّهُ –تعالى– الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُوا السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُوا السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ المُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقُوهَا إِلَى الأَرْضِ، فَتُلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُصَدَّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ)**(4).

وما أطلع اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ من الغيب، تأييدًا له، وتصديقًا لما جاء به، **ينقسم إلى ثلاثة أقسام:**

---

(1) تفسير القرآن العظيم، (247/8).

(2) فتح الباري، (514/8).

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (545/1).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾، (80/6)، رقم الحديث (4701).

أ- غيب الماضي (الأخبار الغيبية قبل البعثة):

ويُقصد به: ما ذكره القرآن الكريم من حوادث وقعت في الماضي، أخبر عنها القرآن كما وقعت.

فقد أخبر القرآن عن حوادث كثيرة وقعت في الماضي الغابر، مثل قصص الأنبياء عليهم السلام، وقصص من لم تثبت نبوتهم، مثل أصحاب الكهف، وذي القرنين، وغيرهم، ولم يكن النبي ﷺ يعلم من هذه الأخبار شيئًا، فقد كان أميًا -كما هو معلوم عند الكافر والمسلم- ولم يطلع على كتب السابقين، ولم يثبت أنه تعلم على يد مخلوق، فمن أين له عِلمُ هذه الأخبار؟ قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وفي هذا النوع من الغيب الماضي دليلٌ على أنّ القرآن كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا.

ب- غيب الحاضر (الأخبار الغيبية أثناء البعثة):

ويُقصد به: "ما جرى في عصر رسول الله ﷺ من حوادث لم يحضرها، ثم نزل القرآن متضمناً لها ومخبرًا بحقيقة ما جرى"[1].

فقد وقعت حوادث كثيرة في حياة النبي ﷺ، لم يكن له علم بها، ولم يحضرها، مثل مكائد الكافرين، ومؤامرات المنافقين، ومكر اليهود المفسدين، وكذلك ما كان يخفيه ويقوله بعض المؤمنين، ولكن النبي ﷺ عَلِم بها عن طريق الوحي من ربه عز وجل.

وفي هذا النوع من الغيب الحاضر دليلٌ على أنّ القرآن كلام الله تعالى حقًا، وعلى صِدق رسول الله ﷺ فيما يُبلِّغ عن ربه عز وجل، حيث لم يكن له علم بما دار في غيابه، وما خُطط له، وما جرى تنفيذه، حتى أماط القرآن الكريم اللثام عن هذه الأمور.

ج- غيب المستقبل (الأخبار الغيبية بعد البعثة):

ويقصد به: "ما ذكره القرآن الكريم من حوادث ستقع ولم تكن قد وقعت عند نزول الآيات التي تحدثت عن وقوع الحادثة "[2].

---

(1) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، (ص 267).

(2) المصدر السابق، (ص 277).

فقد أخبر القرآن الكريم عن حوادث كثيرة ستقع بعد وفاة النبي ﷺ، مثل الإخبار عن مستقبل الإسلام، والإخبار بعجز الجن والإنس عن الإتيان بمثل القرآن، والإخبار عن الاكتشافات العلمية التي ستظهر على أيدي المكذبين، وقد تحقق كثير مما أخبر به القرآن.

وفي هذا النوع من الغيب المستقبلي دليل على أنّ القرآن كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى قطعًا.

ثالثًا: وجه دلالة الغيب على ربانية القرآن الكريم ونبوة محمد ﷺ:

إن العلم البشري لا يتعدى الحاضر الذي يعيشه الإنسان، أما علم الماضي السحيق فلا يمكن الوصول إليه إلا من خلال كتب السابقين أو الأخبار الصادقة من خلال التلقي بالسند المتصل، بينما عِلم المستقبل لا يمكن التنبؤ به إلا من خلال معطيات معاصرة أو حسابات رياضية، أو من خلال التخرص والكهانة، وكثيرًا ما لا يتحقق هذا التنبؤ.

قال وحيد الدين خان: " إنّ عددًا كبيرًا من أذكياء الناس ومن العباقرة، قد جرؤوا على أن يتنبأوا عن أنفسهم أو عن غيرهم، ولكننا نعرف أن الزمان لم يُصدق هذه النبوءات مطلقًا، بل جاء يكذبها بكل قسوة ..." [1].

فإذا جاء كتاب يخبرنا بأشياء حصلت في العصور الغابرة التي طواها النسيان، وأحداث ستحصل في المستقبل القريب الحاضر أو البعيد المجهول، مع كون المعطيات الحاضرة تُنبئ بعكس ما أخبر، وتتحقق هذه الأخبار كما وردت بدون أن يتخلف منها شيء، فهذا يدل على أن هذا الكتاب ليس كأي كتاب، فلا يمكن أن تتحقق هذه الأخبار إلا إن كان قائلها محيط بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء، وليس ذلك إلا لله سبحانه وتعالى، وليس ذلك الكتاب إلا كتاب موحى به من عند الله تعالى.

"والزمن نفسه هو الذي أثبت صحة ما جاء في القرآن من التنبؤات في حين أنها جميعًا جاءت في أحوال غير مواتية، إن هذه التنبؤات– وقد وقعت فعلاً علي ما يُحدِّثنا التاريخ– تجعل علومنا المادية حائرة عند تفسيرها، وما دمنا ندرسها في ضوء علومنا المادية؛ فلن نستطيع إدراك حقائقها، إلا أن ننسبها إلي مصدر غير بشري"[2].

---

(1) الإسلام يتحدى، (ص 167).

(2) المصدر السابق، (ص 167).

إنَّ إخبارَ النبيِّ محمدٍ ﷺ عن الأنباء في العصور الغابرة، أو الأنباء الحاضرة الخافية في صدور أهلها، أو الوعود المستقبَلة، وحاله في كل ذلك حال الواثق المتيقن من الأمر، مع كونه بشرًا لم يطَّلِعْ على كُتب السابقين، ولا يملك من تصرف أمور المستقبل شيئًا، بل كان هو بذاته ينفي عن نفسه علم الغيب بقوله: ﴿... وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، إن إخباره ﷺ بذلك؛ وتصديق الوقائع لما يخبر به، وعدم تخلف الصدق عنه ولو في جزئية بسيطة، لدليل بيِّنٌ على أنه نبيٌّ يوحى إليه من عند الله تعالى(1).

"فلو لم يكن مستندًا إلى ركن قوي ما أطلق مثل هذا، وجازف بدعوته وهو الذي عُرف عنه التعقّل والحكمة ولم يُعهد منه تسرع في أمر، أو تقول بلا روية، حتى قبل أن يكرمه الله بالرسالة"(2).

فهل يمكن لذاك الرجل الأُمِّي الذي بلغ في الأُمِّيِّةِ أربعين سنة؛ أن يأتي دفعة واحدة بما لا عهد له في سالف حياته؛ من تاريخ دقيق مفصل، وعلم يقيني، وبلاغة معجزة إلا أن يكون ذلك وحيًا من الله – تعالى– يوحى؟!.

وأنّى له العلم بأخبار القرون الأولى فيسرد على وجه التمحيص والتصحيح ما خفي وتشوه في قراطيس أهل العلم؛ إلا أن يتلقى من علاّم الغيوب..؟! ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦](3).

لقد أدرك الكفار من العرب هذه الحقيقة، حيث صدّقت الحوادث الكونية كثيرًا مما أخبرهم به القرآن الكريم، كما أدرك أهل الكتاب صدق القرآن فيما أخبرهم به من الحوادث التي كانوا يعرفونها من بطون كتبهم، وكذلك أدركوا هذا الصدق المطلق من خلال كشف القرآن الكريم لمخططاتهم ومؤامراتهم على الإسلام وأهله.

رابعًا: زَعْمُ الكافرين تعلّم النبيِّ ﷺ الأخبار الغيبية من أحبار أهل الكتاب:

حاول أعداء الرسل – منذ زمن النبي ﷺ إلى زماننا هذا– إثارة الشبهات على نبينا محمد ﷺ، ليطعنوا في ربانية القرآن، وصدق النبوة، والناظرُ إلى هذه الشبهات؛ يجدها متهالكة ومتهافتة أمام حجة

(1) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص 287–288).

(2) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص 287).

(3) ينظر: المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، (ص 283–284).

القرآن، وأعتقد أن الكفار أنفسهم لم يصدقوها، ولكنه العناد والكفر والحسد، والرغبة في محاربة دين الله تعالى.

ومن الشبهات التي أثارها الكفار على النبي ﷺ، زعمهم بأنه تعلّم الأخبار الغيبية من أحبار أهل الكتاب، فقالوا: إن النبي ﷺ تأثر بأحبار اليهود، ورهبان النصارى؛ مثل بحيرى الراهب، وورقة بن نوفل، وعداس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار غلام عامر بن الحضرمي، وغيرهم، وزعموا أن النبي ﷺ جالسهم فترة زمنية، وتلقى عنهم.

وقد أثار هذه الشبهة وروّج لها كفار قريش مثل النضر بن الحارث، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۞ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤ – ٥].

قال الرازي: " قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث فهو الذي قال هذا القول، وأعانه عليه قوم آخرون يعني: عداس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار غلام عامر بن الحضرمي، وجبر مولى عامر، وهؤلاء الثلاثة كانوا من أهل الكتاب، وكانوا يقرءون التوراة، ويُحدثون أحاديث منها، فلما أسلموا وكان النبي ﷺ يتعهدهم، فمن أجل ذلك قال النضر ما قال"(1).

وكذلك روّج المستشرقون في زماننا لهذه الشبهة، أمثال : كارل بروكلمان(2)، وجولد تسيهر(3).

يقول المستشرق الألماني كارل بروكلمان: "وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد ..."(4).

---

(1) التفسير الكبير، (433/24).

(2) هو مستشرق ألماني، ولد عام 1868م، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وله في هذا المجال كتاب مشهور (تاريخ الشعوب الإسلامية)، توفي عام 1956م. [ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، (ص 98–105)].

(3) جولد تسيهر: هو مستشرق مجري، يهودي، ولد 1850م، من أسرة يهودية ذات مكانة وقدر كبير، اتجه إلى الدراسات الشرقية وهو لا يزال في سن السادسة عشرة، وكان أول أبحاثه القيمة والخطيرة في الدراسات الإسلامية كتاب "الظاهرية مذهبهم وتاريخهم"، وفيه دراسة عامة عن الفقه وأصوله مع دراسة تفصيلية عن المذاهب الظاهري، توفي عام 1923م. [ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، (ص 197–203)].

(4) تاريخ الشعوب الإسلامية، (ص 34).

ويقول جولد تسيهر: " فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثّر بها تأثرًا عميقًا، والذي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه ... "[1].

وهذا كلام ظاهر البطلان، والرد عليه من وجوه:

أولاً: عاش النبيُّ ﷺ أميًا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، فلا يمكنه قراءة ما كتبه اليهود والنصارى، وقد ثبتت أميته في القرآن، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

قال البغوي: "يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي، إذا لارتاب المبطلون، يعني لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها"[2].

وقال الشوكاني: "قال النحاس: وذلك دليل على نبوته لأنه لا يكتب، ولا يخالط أهل الكتاب، ولم يكن بمكة أهل كتاب، فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم. ﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ أي: لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة، أو من الكتب المدونة في أخبار الأمم، فلما كنت أميًا لا تقرأ، ولا تكتب لم يكن هناك موضع للريبة، ولا محل للشك أبدًا، بل إنكار من أنكر، وكفر من كفر مجرد عناد، وجحود بلا شبهة"[3].

وقال ابن كثير ردًا على هذه الشبهة: " وهذا الكلام – لسخافته وكذبه وبهته منهم – كل أحد يعلم بطلانه، فإنه قد عُلم بالتواتر وبالضرورة: أن محمدًا رسول الله ﷺ لم يكن يُعاني شيئا من الكتابة، لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله –تعالى– نحوًا من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه، وبره وأمانته ونزاهته من الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى إنهم لم يكونوا يُسَمُّونَه في صغره إلى أن بُعث إلا الأمين، لما يعلمون من صدقه وبره. فلما أكرمه الله –تعالى– بما أكرمه به، نصبوا له العداوة، ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها ..."[4].

---

(1) العقيدة والشريعة في الإسلام، (ص 12).
(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (563/3).
(3) فتح القدير، (239/4).
(4) تفسير القرآن العظيم، (94/6).

" وحتى على فرض أنه كان يعرف القراءة، فقد كانت هناك عقبة يستحيل تذليلها؛ لأن في هذا الوقت لم تكن قد وُجدت بعد توراة ولا إنجيل باللغة العربية، ووجود هذه الوثائق بلغات أجنبية جعلها حكرًا لبعض العلماء المتحدثين بأكثر من لغة ..."[1].

ثانيًا: لم يثبت أنَّ النبيَّ ﷺ التقى بأحبار أهل الكتاب وتعلم منهم، فأين كانت هذه اللقاءات؟ ومتى كانت؟ لم يأت في التاريخ؛ ولا في السيرة؛ ولا في السنة النبوية الصحيحة رواية تثبت هذا، ولو حصل ذلك لنُقل إلينا من أتباع النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، فهم "لم يتركوا شيئًا عُلم عنه أو قيل فيه ولو لم يثبت؛ إلا دونوه، ووكلوا أمر صحته أو عدمها إلى إسناده"[2].

أما ما ثبت من لقائه مع بحيرى الراهب[3]؛ فكان في طفولته أثناء رحلته إلى الشام مع عمه أبي طالب، وليس فيها دليل على أنه تعلم منه شيئًا.

عن أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، قَالَ: (خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا[4] فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلا يَلْتَفِتُ". قَالَ: " فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ "، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلا حَجَرٌ إِلا خَرَّ سَاجِدًا وَلا يَسْجُدَانِ إِلا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ[5] كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ؛ وَكَانَ هُوَ[6] فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ، قَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ، فَإِنَّ الرُّومَ

---

(1) مدخل إلى القرآن الكريم – عرض تاريخي وتحليل مقارن–، محمد عبد الله دراز، (ص 140–141).

(2) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (154/11).

(3) بَحِيرى: بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المُثناة التحتية آخره راء مقصورة، وقيل ممدودا: وهو جرجيس (بكسر الجيمين). ويقال: جرجس. وكان حبرًا من أحبار يهود تيماء، كما قيل إنه كان نصرانيًا من عبد القيس. [ينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الزرقاني، (364/1)، الروض الأنف، أبو القاسم السهيلي، (140/2)]

(4) هبطوا: من الهبوط، أي نزل أبو طالب ومن معه في ذلك الموضع وهو بصرى من بلاد الشام [ينظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري، (64/10)].

(5) غُضرُوف: بضم الغين المعجمة والراء بينهما ضاد معجمة، وهو رأس لوح الكتف [ينظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري، (64/10)].

(6) يعني النبي ﷺ.

إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ[1]، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ فَبُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ: هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ)[2].

والصواب يمنعنا من الأخذ بهذه المقابلة العارضة واعتبارها مصدرًا لتعليم النبي محمد ﷺ، فعند أخذ كل الوقائع التي تذكرها القصة في الحسبان، نجد أن القصة تذكر أن هذه المقابلة كانت في حضور جميع أفراد القافلة؛ وأن محمدًا ﷺ كان بدوره مسئولاً لا مستمعًا؛ وبانتهاء الاستجواب خلص الراهب إلى نبوءة مضمونها توقع بعثة هذا الشاب رسولاً في المستقبل، فالفكرة إذن تفند نفسها[3].

وكذلك لقاؤه ﷺ مع ورقة بن نوفل[4] لم يكن طويلاً ليصلح أن يتلقى عنه شيئًا، وقد توفي ورقة بعد لقائه الأول مع النبي ﷺ بأيام قليلة.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: (... فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ)**، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ)[5].

---

(1) يعني خارج إلى الشام.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب أبواب المناقب/ باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ، (590/5)، رقم الحديث (3620)، قال الألباني: صحيح.

(3) ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم – عرض تاريخي وتحليل مقارن–، محمد عبد الله دراز، (ص 133–134).

(4) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرءًا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب. [ينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الزرقاني، (397/1–398)، المعارف، ابن قتيبة الدينوري، (59/1)]

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الوحي/ باب كيف كان بدء الوحي ...؟ (7/1)، رقم الحديث(3).

وقال القاضي عبد الجبار[1] في ثنايا رده على من زعم أن النبي ﷺ تلقى هذه الأخبار عمن سبقه من اليهود والنصارى، سواء كان التلقي قراءة أو مشافهة: " ... ونحن وإن لم نكن في زمانه ﷺ، فقد علمنا انه ما قرأ هذه الكتب، ولا اكتتبها، ولا اختلف إلى أهلها، ولا اختلفوا إليه، ولا تلقى ذلك عن أحد من الناس؛ لأنه ما من أحد يطلب فناً من الفنون إلا وله في ذلك تارات وطبقات؛ فأول ذلك أن يكون طالبًا وسائلاً عمن عنده هذا الأدب، وهذا الفن من العلم والأدب، ثم يختلف إلى أهله ويصحبهم، فيكون تارة مبتدئًا، ثم متوسطًا، ثم ماهرًا متقدمًا. وكل هذه الأحوال معروفة معلومة لأهل زمانه، لا يجوز أن يذهب عليهم، ولا يجوز أن يخفى، ولا يُكتم عن أحد كائنًا من كان.

ولو جاز أن يُخفى ذلك ويتستر على أحد من الناس، لما استتر ذلك على محمد ﷺ؛ لأن عدوَّه، وطالبَه، والمتتبعَ لأمرهِ، والمفتشَ عن أحواله من قريش والأقربين من أهله ومن دهاة اليهود والنصارى وغيرهم كثيرٌ، والطلبُ منهم شديد، ودعواه النفسية عظيمة، وقد ادّعى عليهم الفرية والكذب، ولنفسه الصدق، وحجته عليهم ألا يكذب في شيء ولا يناقض ..."[2].

ثالثًا: إن القرآن الكريم فضح اليهود والنصارى، ورد عقائدهم الفاسدة، وتحريفهم لكتبهم، وتوعدهم بالعذاب الأليم، ولو كان النبي ﷺ تلقى هذه الأخبار منهم لمدحهم القرآن، وأثنى عليهم، وأخفى ما يعيبهم.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۞ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٢ – ٧٣].

قال سيد قطب: " ... ويستوفي القرآن الحكم على سائر مقولاتهم الكافرة: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾، ويقرر الحقيقة التي تقوم عليها كل عقيدة جاء بها رسول من عند الله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾، ويهددهم عاقبة الكفر الذي ينطقون به ويعتقدونه : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا

---

(1) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني، العلاّمة، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، ولي قضاء القضاة بالري، مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مائة. [ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (17/244-245)].

(2) تثبيت دلائل النبوة، (1/87-88).

﴿ يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، والكافرون هم الذين لا ينتهون عن هذه المقولات التي حكم عليها اللّه بالكفر الصراح"[1].

رابعًا: القرآن الكريم كان ينزل منجمًا، وكانت أحكام الشريعة تنزل متدرجة، وكان النبي ﷺ يتوقف في بعض الأحكام حتى ينزل عليه القرآن، ولو كان تلقى هذه الأخبار والأحكام من أحبار اليهود والنصارى لأخبر بها جملة واحدة.

وقد ورد في أكثر من حديثٍ توقُّف النبيِّ ﷺ في بعض الأحكام؛ حتى ينزل عليه فيها قرآن، منها ما ثبت عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ[2]، إِذْ مَرَّ اليَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ: مَا رَأْيُكُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي فَلَمَّا نَزَلَ الوَحْيُ، قَالَ: (﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٨٥]) [3].

خامسًا: لو وقع ما ذُكر من تلقي النبي ﷺ هذه الأخبار من اليهود والنصارى لاتخذه أعداؤه من كبار المشركين شبهة يحتجون بها على أن ما يدعيه من الوحي قد تعلمه في الشام من النصارى، فإنهم كانوا يوردون عليه ما هو أضعف وأسخف من هذه الشبهة وهو أنه كان يتعلم في مكة من حدّاد رومي يصنع السيوف وغيرها[4].

فلما فشلت كل محاولات الكافرين في التشكيك بربانية القرآن؛ لجأوا إلى حرب النبي ﷺ بالسيف والسنان، وهذا من أظهر الأدلة على زيف افتراءاتهم على النبي ﷺ، وعلى القرآن الكريم؛ لأن صاحب الحجة يقارع الحجة بالحجة، أما الضعيف الذي لا حجة له أو انقطعت حجته، فإنه يلجأ إلى القوة لفرض رأيه، وهذا ما كان من العرب زمن نزول القرآن.

---

(1) في ظلال القرآن، (945/2).

(2) العسيب: جريدة من النخل، وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (234/3)].

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الوحي/ باب كيف كان بدء الوحي ...؟ (7/1)، رقم الحديث(3).

(4) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (154/11).

الفصلُ الأولُ

نماذجُ من غيبِ الماضي والمستقبلِ

(الأخبارُ الغيبيةُ قبل البَعثة وبعدها ودلالتُها على صدق الوحي والنبوة)

وفيه مبحثان:

المبحثُ الأولُ:

نماذجُ من غيبِ الماضي (الأخبارُ الغيبيةُ قبل البَعثة)

المبحثُ الثاني:

نماذجُ من غيبِ المستقبل (الأخبارُ الغيبيةُ بعد البَعثة)

المبحثُ الأولُ

نماذجُ من غيبِ الماضي

(الأخبارُ الغيبيةُ قبل البَعثة)

وفيه مطلبان:

المطلبُ الأولُ:

إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن قَصَصِ الأنبياءِ السابقين

المطلبُ الثاني:

إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن قَصَصِ السابقين غير الأنبياء

المبحثُ الأولُ

نماذجُ من غيبِ الماضي

(الأخبارُ الغيبيةُ قبلَ البعثةِ)

لقد سمى الله تعالى الأخبار عن الأمم السابقة غيبًا، وجعلها دليلاً على صدق نبوة محمد ﷺ، وأنّ القرآن مُنزّل من عند عالم الغيب والشهادة سبحانه وتعالى، " فكثيرًا ما يفتتح القرآن القصة أو يختمها بالإشارة إلى أن هذه الأمور ما كان لرسول الله ﷺ طريقٌ إلى العلم بها إلا عن طريق الوحي من الله تعالى"(1).

فعلى سبيل المثال، بعد ذِكْر قصة مريم الصدِّيقة وكفالة زكريا عليه السلام لها، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤].

أي أنّ هذه الأنباء من أخبار الغيب – من خفيّ أخبار القوم التي لم تطَّلع أنت يا محمد عليها ولا قومُك، ولم يعلمها إلا قليلٌ من أحبار أهل الكتابين ورهبانهم – حجةٌ على نبوتك، وتحقيقًا لصدقك، وقطعًا لعذرَ منكري رسالتك من كفار أهل الكتابين، الذين يعلمون أنّك لم تصل إلى عِلم هذه الأنباء مع خفائها، ولم تُدرك معرفتها مع خُمولها عند أهلها، إلا بإعلام الله تعالى ذلك لك (2).

قال الجمل: " وهذا الكلام ونحوه كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾، ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ ﴾، وإن كان معلومًا انتفاؤه بالضرورة جارٍ مجرى التهكم بمنكري الوحي، يعني أنه إذا عُلم أنك لم تُعاصر أولئك، ولم تدارس أحدًا في العلم، فلم يبق اطلاعك عليه إلا من جهة الوحي"(3).

ويلاحظ أن الآية نفت المشاهدة، ولم تنف السماع، وقد أجاب الزمخشري على هذه المسألة فقال: "فإن قلتَ: لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة؟ وترك نفى استماع الأنباء من حُفاظها وهو موهوم؟ قلتُ: كان معلومًا عندهم علمًا يقينًا أنه ليس من أهل السماع والقراءة، وكانوا منكرينَ للوحي، فلم يبق

---

(1) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، (ص 261).

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (6/404-405).

(3) الفتوحات الإلهية لتوضيح دقائق تفسير الجلالين، (1/287).

إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة، فنُفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة"[1].

كل ما سبق إشارة إلى عدم معرفة النبيِّ ﷺ وقومِه بهذه الأخبار، فمن أين جاء النبيُّ ﷺ بها؟

فلولا أنه رسول من عند علام الغيوب؛ لما استطاع أن يُخبرَ الناسَ بهذه الأحداث والتفاصيل، وقد كان معلومًا عند القوم أنّ رسول الله ﷺ أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ولم يكن له صلة بغيره من أهل الكتاب ليخبروه عن هذه الأخبار، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

قال ابن عاشور: "هذا استدلالٌ بصفة الأُميّة المعروف بها الرسول ﷺ، ودلالتها على أنه مُوحَى إليه من الله –تعالى– أعظم دلالة"[2].

وقال القاضي عبد الجبار: " من دلائله وأعلامه ﷺ، وهو إخباره عما في الكتب المنزلة وما تضمنته من: خلق آدم ﷺ، وما كان له مع الملائكة صلوات الله عليهم، ومع ولده، ومع إبليس، وما كان لنوح مع قومه، ثم إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، والأسباط، وعيسى، وأيوب، وموسى، وهرون، وغيرهم من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، وهو ما قرأ تلك الكتب، ولا عرف ما فيها، ولا اختلف إلى أهلها، ولا اختلفوا إليه، فتعلم أنه ما علم ذلك إلا بوحي الله –تعالى– إليه، وإطلاعه عليه، وهي أخبار كثيرة لا يقع الصدق فيها إلا بالوحي من الله عز وجل"[3].

لقد نبّه الله تعالى إلى عدم معرفة نَبِيِّنا ﷺ شيئًا من هذه الأخبار، وامتنَّ عليه بما أوحى إليه من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

قال محمد سيد طنطاوي : " والمعنى: نحن نقص عليك أحسن القَصَصِ بسبب ما أوحيناه إليك من هذا القرآن، والحال أنك كنت قبل إيحائنا إليك بهذا القرآن؛ من الغافلين عن تفاصيل هذا القَصَص، وعن دقائق أخباره وأحداثه، شأنك في ذلك شأن قومك الأُميين"[4].

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (362/1).
(2) التحرير والتنوير، (10/21).
(3) تثبيت دلائل النبوة، (86/1–87).
(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (317/7).

" لا جرم أنّ تلك الأنباء الغيبية الدافقة على لسان النبي الأُمِّي -ﷺ-؛ دليلٌ بالغٌ على نبوته وتلقيه عن علاّم الغيوب.

كفاك بالعلم في الأُمِّيِّ معجزةً   في الجاهلية والتأديب في اليتم"[1].

ومن خلال هذا المبحث سيذكر الباحث نماذج من قصص الماضي الغابر الواردة في القرآن الكريم، ويقوم بدراستها لبيان وجه دلالتها على صدق الوحي والنبوة.

(1) المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، (ص 286).

المطلبُ الأولُ: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن قَصَصِ الأنبياء السابقين:

من أبرز الدلالات على نبوة محمد ﷺ، ذكر قصص الأنبياء السابقين، فلم يكن لأحد علمٌ بهذه القصص سوى بعض أحبار أهل الكتاب، وكثير من قَصَصهم دخل عليها التحريف والتبديل، ولكن جاء القرآن بالبيان الكافي، والدواء الشافي، والحقيقة الناصعة، والحجة الدامغة، يُبين زيف كثير من أكاذيب أهل الكتاب، ويستخرج الحقيقة الخالصة، من بين فرثِ ودمِ الافتراءاتِ والأكاذيبِ، لتكون القصة القرآنية معنى سائغًا للمعتبرين.

قال ابن جُزَيّ: " إنّ أخبار الأنبياء قُصد بذكرها مقاصد، فتعدّد ذكرها بتعدّد تلك المقاصد، فمن المقاصد: ... إثبات النبوة لمحمد ﷺ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلّم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ [هود: ٤٩] "(1).

وقد ذكر الله تعالى لنا قصص بعض الأنبياء والرسل، ولم يذكر لنا قصصهم كلهم، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

ومن لم يذكر الله تعالى قصصهم من الأنبياء والرسل أضعاف من ذكرهم، وقد ذكر القرآن منهم خمسةً وعشرين نبيًا، والأنبياء المذكورون في القرآن لم تُذكر قصصهم مفصلة، بل المذكور جزء يسير من قصصهم، ومشاهد ولقطات مختارة منها، تحقق الهدف والعبرة(2).

وفي هذا المطلب سيذكرُ الباحثُ بعض قصص الأنبياء، ويبين دلالتها على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله قطعًا.

أولاً: قصة خلق آدم عليه السلام:

وردت قصة خلق آدم عليه السلام في أكثر من موضع في القرآن الكريم(3)، وذُكر في القصة أمْرُ الله تعالى للملائكة ومعهم إبليس بالسجود لآدم عليه السلام، فسجد الملائكة كلهم، وامتنع إبليس عن السجود، وسأكتفي بما ورد في سورة "ص" عن قصة خلق آدم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، (15/1).

(2) ينظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، (27/1).

(3) ينظر: [سورة البقرة: 30–39]، [سورة الأعراف:11–25]، [سورة الحجر: 26–44]، [سورة الإسراء: 60–65]، [سورة الكهف:50]، [سورة طه: 115–123]، [سورة ص: 67–85].

عَظِيمٌ ۝ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ۝ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ۝ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٦٧ – ٨٣]

لقد بدأ الحديث في القصة بإخبار النبي ﷺ بأن يقول لقومه: إنه ما كان ليعلم سبب اختصام الملأ الأعلى في شأن آدم عليه السلام إلا بما أوحى الله تعالى إليه، وهذا دليل على أن القرآن من عند الله تعالى، وأنه رسول الله تعالى إليهم.

قال الطبري: " يقول – تعالى– لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ في شأن آدم من قبل أن يُوحِي إليّ ربّي فيُعلمني ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أنّ هذا القرآن وحي من الله –تعالى– وتنزيل من عنده؛ لأنكم تعلمون أنَّ علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعاينته، ولكني علمت ذلك بإخبار الله – تعالى– إياي به"(1).

وقال ابن كثير: " وقوله –تعالى–: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي: لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى؟ يعني: في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له، ومحاجته ربه في تفضيله عليه"(2).

ومما يثبت ربانية القرآن ونبوة محمد ﷺ في الإخبار بقصة آدم عليه السلام، وورود كثير من الحقائق في هذه القصة في نصوص التوراة، فمثلاً: ذُكِر في سفر التكوين في الإصحاح الثاني ابتداءً من العدد سبعة إلى نهاية الإصحاح: " (7) وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْض وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسمَةَ حَيَاةٍ فَصارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً. (8) وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلَهُ جَنَّة عَدْنٍ قَرْشاً ووضعَ هُنَاكَ آدَمَ الذي جَبَلَهُ. (9) وأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْض كُلَّ شَجَرَةٍ شهيَّةٍ لِلنَّظَرِ، وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الحياة في وسطِ الجنة، وشجرَةَ

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (236/21).
(2) تفسير القرآن العظيم، (80/7).

مَعْرِفَةِ الخير وَالشر ...

(15) وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوضعَهُ في جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا. (16) وَأَوْصى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائلاً: (مِنْ جَمِيعِ شجَرِ الجنة تَأْكُلُ أَكْلاً. (17) وأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الخير وَالشر فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تموت). (18) وَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: (لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ فَأَصنَعَ لَهُ مُعِيناً نَظِيرَهُ). (19) وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْض كُلَّ حَيَوَانَاتِ البريّة وَكُلَّ طُيُورِ السمَاءِ فأحضرها إِلى آدَمَ لِيَرى مَاذَا يَدْعُوهَا وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسمُهَا. (20) فَدَعَا آدَمُ بِأسمَاء جَمِيع الْبَهَائِمِ وَطُيُور السمَاءِ وَجَمِيع حَيَوَانَات البريةِ. وَأَمَّا لِنَفْسهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِيناً نَظِيرَهُ. (21) فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ سُبَاتاً عَلَى آدَمَ فَنَامَ فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا مَحلا. (22) وَبَنَى الرَّبُّ الإِلَهُ الضلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضرها إِلى آدَمَ. (23) فَقَالَ آدَمُ: (هَذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي ومَحلٌ مِنْ مَحلي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِن امْرِئٍ أُخِذَتْ). (24) لِذَلِكَ يترك الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسدًا وَاحِدًا. (25) وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ"[1].

لقد اخترتُ هذا النص؛ لأنه من أقرب النصوص الواردة في التوراة التي بين أيدينا لِمَا جاء في القرآن الكريم، مع وجود نصوص أخرى فيها مغالطات ومخالفات لما جاء في القرآن، ولا يقولنّ مشككٌ أنَّ هذا دليلٌ على أنَّ النبيَّ ﷺ تلقى هذه القصة من اليهود، فقد ثبت بالدليل أنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن له صلة باليهود، ولم يتعلم منهم، وهذا يُقرُّ به المسلمُ والكافرُ، وقد بيّنْتُ في فصلٍ سابقٍ بطلانَ هذه الدعوى؛ من خلال الرد على شبهات الكافرين على الأدلة الغيبية على صدق الوحي والنبوة[2]، بالإضافة إلى أنَّ عداوةَ اليهودِ للنبيِّ ﷺ ثابتةٌ وواضحةٌ، فكيف يخبرونه بقصص يستخدمها دليلاً على نبوته؟

وكيف يعطونه الدليل الذي يحاججهم به؟

بالإضافة إلى أنَّ القرآن صحح كثيرًا مما جاء في التوراة المحرفة من هذه القصص[3].

وبهذا يكون ذكرُ هذه القصة دليلاً على ربانية القرآن الكريم حقًا، ونبوة محمد ﷺ قطعًا.

---

(1) قصة آدم بين القرآن الكريم والتوراة، دراسة مقارنة، غسان عاطف بدران (ص 299-300).

(2) ينظر في هذا البحث: زَعْمُ الكافرين تعلّم النبيِّ ﷺ الأخبار الغيبية من أحبار أهل الكتاب، ص (103).

(3) لمزيد من التفصيل والأمثلة ينظر: قصة آدم بين القرآن الكريم والتوراة، دراسة مقارنة، غسان عاطف بدران، المطلب الثالث: وجوه الاختلاف في قصة آدم بين القرآن الكريم والتوراة، (ص 302 إلى آخر البحث).

ثانيًا: قصة نوح عليه السلام:

وردت قصة نوح عليه السلام في أكثر من موضع في القرآن(1)، وسيكتفي الباحث بما ورد في سورة هود عليه السلام، فقد ورد فيها أكثر من عشرين آيةٍ تحدثت عن قصة نوح عليه السلام مع قومه، وفي ختام القصة، قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

قال ابن كثير: " يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ هذه القصة وأشباهها ﴿ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾ يعني: من أخبار الغيوب السالفة نوحيها إليك على وجهها وجليتها، كأنك شاهدها، ﴿ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ أي: نعلمك بها وحيًا منا إليك، ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ أي: لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها، حتى لا يقول من يكذبك: إنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله –تعالى– بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك ... "(2).

وقال ابن تيمية: " فذكر سبحانه أنَّ هذا الذي أوحاه إليه من أنباء الغيب، ما كان يعلمه هو ولا قومه من قبل هذا، فإذا لم يكن قومه يعلمون ذلك لا من أهل الكتاب، ولا من غيرهم، وهو لم يعاشر إلا قومه، وقومه يعلمون ذلك منه، ويعلمون أنهم لم يكونوا يعلمون ذلك، ويعلمون – أيضًا – أنه هو لم يكن تعلم ذلك، وأنه لم يكن يعاشر غيرهم، وهم لا يعلمون ذلك، صار هذا حجة على قومه، وعلى من بلغه خبر قومه"(3).

وكثير مما ورد في هذه القصة لا يعرفه العرب، وهو غير موجود في كتب أهل الكتاب فمن أين عرفه النبي ﷺ ؟

قال الطاهر بن عاشور: " فهذه الأنباء مُغَيَّبة بالنسبة إلى العرب كلهم لعدم علمهم بأكثر من مجملاتها، وهي أنه قد كان في الزمن الغابر نبيٌّ يقال له: نوح– عليه السلام– أصاب قومه طوفان، وما عدا ذلك فهو غيب كما أشار إليه قوله: ﴿ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾، فإنهم لم ينكروا ذلك ولم يدعوا علمه، على أنّ فيها ما هو غيب بالنسبة إلى جميع الأمم مثل قصة ابن نوح الرابع وعصيانه أباه وإصابته بالغرق، ومثل كلام الرب مع نوح– عليه السلام– عند هبوطه من السفينة، ومثل سخرية قومه

---

(1) ينظر: [سورة يونس:71–73]، [سورة هود: 25–48]، [سورة الشعراء: 105–122]، [سورة الصافات:75–82]، [سورة القمر: 9–17]، [سورة نوح:1–28].

(2) تفسير القرآن العظيم، (328/4).

(3) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (323/5).

منه وهو يصنع الفلك، وما دار بين نوح- عليه السلام- وقومه من المحاورة، فإن ذلك كله مما لم يذكر في كتب أهل الكتاب"[1].

وفي هذا أعظم دليلٍ على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا.

ثالثًا: ما جاءَ في القرآنِ الكريمِ بشأنِ يعقوبَ عليهِ السلام:

ويعقوب هو نبي الله تعالى ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وهو المسمّى بإسرائيل، وينتسب بنو إسرائيل إليه.

وسيكتفي الباحث بذكر قصتين من قصص يعقوب عليه السلام وردتا في القرآن الكريم.

أ- قصةُ تحريمِ يعقوبَ عليه السلامُ لحومَ الإبلِ وألبانَها على نفسه:

ورد في القرآن الكريم أن يعقوب عليه السلام حرّم بعض الطعام على نفسه، فقال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وقد ورد في السنة أنَّ الطعامَ الذي حرَّمه يعقوب عليه السلام على نفسه هو لحومُ الإبل وألبانُها، وسببُ ذلك أنه مرض مرضًا شديدًا، وطال عليه المرض والألم، فنذر إن شفاه الله تعالى أن يُحرِّم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه.

جاء في مسند الإمام أحمد، عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلَالٍ نَسْأَلُكَ عَنْهَا، لا يَعْلَمُهُنَّ إلا نَبِيٌّ، فَكَانَ فِيمَا سَأَلُوهُ أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ؟ قَالَ: **(فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ -يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ- مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَطَالَ سَقَمُهُ، فَنَذَرَ للهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللهُ مِنْ سَقَمِهِ، لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، فَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، لُحْمَانُ الإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟)، فَقَالُوا: اللهُمَّ نَعَمْ** [2].

وجاء في سنن الترمذي بيان مرض يعقوب عليه السلام، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أَقْبَلَتْ

---

(1) التحرير والتنوير، (92/12).

(2) المسند، أحمد بن حنبل، ومن مسند بني هاشم/ مسند عبد الله بن العباس، (4/277-278)، رقم الحديث (2471)، قال محققو المسند: حسن.

يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: ... فَأَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: **(اشْتَكَى عِرْقَ النَّسَى[1] فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلائِمُهُ إِلا لُحُومَ الإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا فَلِذَلِكَ حَرَّمَهَا)**، قَالُوا: صَدَقْتَ[2].

وهذا من أعظم الأدلة على ربانية القرآن الكريم؛ ونبوة محمد ﷺ، إذ كيف لمحمد ﷺ معرفة هذه الأخبار؟ لا يمكن هذا إلا لمن كان نبيًا يوحى إليه من عالم الغيب والشهادة.

قال الزجاج: " وأعلم اللهُ –نبيه ﷺ– أنَّ الذي حرَّمه إسرائيلُ على نفسه كان من قبل أن تُنزل التوراة، وفيه أعظم آية للنبي ﷺ؛ لأنه أنبأهم بأنهم يدَّعون أن في كتابهم ما ليس فيه، ودعاهم مع ذلك إِلى أن يأتوا بكتابهم فيتلوه لِيُبَينَ لهم كذبهم فأبوا.

فكان إِبَاؤُهم دليلاً على علمهم أن النبي ﷺ قد صدق فيما أنبأهم به، ولو أَتَوْا بها لم يَكونوا يَخْلونَ من أحد أمرين: إما أن يزيدوا فيها ما ليس فيها في ذلك الوقتْ؛ فيعلم بعضهم أنه قد زيد، أو يُنزل الله بهم عقوبة تُبين أمرهم، أو أن يأتوا بها على جملتها فيُعلم بطلان دعواهم منها"[3].

ب– قصةُ وصيةِ يعقوبَ عليهِ السلامُ لأبنائهِ عند موته:

زعمَ اليهودُ أنَّ نبي الله تعالى يعقوب عليه السلام أوصى بنيه يوم مات باليهودية[4]، فجاء القرآن ليبطل هذا الكذب والافتراء، قال تعالى: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٣].

قال ابن جرير: " وتأويل الكلام: أكنتم –يا معشر اليهود والنصارى، المكذبين بمحمد ﷺ، الجاحدين نبوته–، حضورَ يعقوبَ وشهودَه إذ حضره الموت؟ أي إنكم لم تحضروا ذلك، فلا تدّعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل، وتَنحلوهم اليهوديةَ والنصرانية، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم – وولده إسحاق وإسماعيل وذريتهم– بالحنيفية المسلمة، وبذلك وصَّوْا بنيهم، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم.

---

(1) عرق النَّسَى: بفتح النون والألف المقصورة، هو وجع يبتدئ من مفصل الورك، وينزل على الفخذ، وربما امتد إلى الركبة وإلى الكعب، وسمي المرضُ باسم المحل؛ لأن النَّسَى –بالفتح والقصر– وريد يمتد من الفخذ إلى الكعب، وجرت العادة بأن يُسمى وجعُ النَّسَى بعرق النَّسَى، وتقدير الكلام وجعُ العِرق الذي هو النَّسَى. [ينظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري، (431/8)].

(2) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب أبواب تفسير القرآن/ باب ومن سورة الرعد، (294/5)، رقم الحديث (3117)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: صحيح.

(3) معاني القرآن وإعرابه، (444/1).

(4) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (171/1).

فلو حضرتموهم فسمعتم منهم، علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم"(1).

" ومراد يعقوب عليه السلام من هذا السؤال أخذ الميثاق عليهم بالثبات على ملة أبيهم إبراهيم من بعده، لكي يسعدوا في دنياهم وأخراهم، وقد أجابوه بما يدل على رسوخ إيمانهم إذ قالوا: ﴿ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾، وهذا الجواب يتضمن أنهم متمسكون بملة إبراهيم عليه السلام- وهي ملة لا تثليث فيها، ولا تشبيه بمخلوق، وإنما هي إفراد لله- تعالى- بالعبودية والاستسلام له بالخضوع والانقياد"(2).

إن هذه الحادثة وقعت في الماضي البعيد، ولم يشهدها رسول الله ﷺ، وكانت محرفة في كتب اليهود والنصارى، فكيف عرفها النبي ﷺ؟

لا يمكن معرفة مثل هذه القصص إلا من خلال الوحي، وهذا دليلٌ بيّنٌ على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى قطعًا.

رابعًا: قصة يوسف عليه السلام:

لقد وردت قصة يوسف عليه السلام كاملة بأدق تفاصيلها من خلال سورة يوسف، وكل ما ورد من أخبار في هذه السورة ما كان النبي ﷺ يعلمها ولا قومه، ولذلك قال الله تعالى بعد ذِكر القصة: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٢].

قال ابن كثير: " هذا وأمثاله يا محمد من أخبار الغيوب السابقة، ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ ونُعلمك به لما فيه من العبرة لك والاتعاظ لمن خالفك، ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾ حاضرًا عندهم ولا مشاهدًا لهم ﴿ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ ﴾ أي: على إلقائه في الجب، ﴿ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ به، ولكنا أعلمناك به وحيًا إليك، وإنزالاً عليك"(3).

فمن أين أتى النبي ﷺ بكل هذه التفاصيل الدقيقة؛ وهو الذي لم يقرأ كتابًا؛ ولم يتلق العلم عن أحبار اليهود؟ ويستحيل أن يكون النبي ﷺ قد انتقل عبر الزمان إلى الماضي السحيق، وشاهد هذه الأحداث رأي العين، ثم جاء ليخبرنا بها، فمن تدبّر هذا علِم أن هذه الأخبار لا يمكن معرفتها إلا من خلال الوحي.

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (3/97-98).

(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (1/277).

(3) تفسير القرآن العظيم، (4/417).

قال الزمخشري: " والمعنى: أن هذا النبأ غيبٌ لم يحصل لك إلا من جهة الوحي؛ لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر، ... وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه؛ لأنه لم يخفَ على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه، ولا لقي فيها أحدًا ولا سمع منه. ولم يكن من عِلْمِ قومه، فإذا أَخبَرَ به وقصّ هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته، لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي، فإذا أنكروه تهكم بهم. وقيل لهم: قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدًا لمن مضى من القرون الخالية ..." [1].

وهذا كله دليل على أن القرآن كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى قطعًا.

خامسًا: قصةُ موسَى عليهِ السلامُ:

قصة موسى عليه السلام من أكثر القصص ورودًا في القرآن[2]، وقد فصّلت حال موسى عليه السلام مع قومه، فلم تترك صفة أو خُلقًا لليهود إلا وبينته، وذلك للخطر الكبير الذي يمثله اليهود على الإسلام والمسلمين، وفي سورة القصص بعد أن ذكر الله تعالى قصة ميلاد موسى عليه السلام، ونشأته، وقتله للمصري وهروبه إلى مَدْين، وكلام الله تعالى له عند جبل الطور، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٤ – ٤٦].

قال الزمخشري: " والخطاب لرسول الله ﷺ يقول: وما كنت حاضرًا المكان الذي أوحينا فيه إلى موسى عليه السلام، ولا كنت مِنَ جملة الشَّاهِدِينَ للوحى إليه، أو على الوحى إليه، وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات، حتى تقف من جهة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى عليه السلام في ميقاته، وكتبة

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (507/2).

(2) ينظر: [سورة البقرة:40-105]، [سورة النساء: 153-162]، [سورة المائدة: 20-26]، [سورة الأعراف:103-162]، [سورة يونس: 75-93]، [سورة هود: 96-100]، [سورة إبراهيم: 5-8]، [سورة الإسراء: 2-8]، [سورة الكهف: 60-82]، [سورة مريم: 51-53]، [سورة طه: 9-98]، [سورة المؤمنون: 45-49]، [سورة الشعراء: 10- 68]، [سورة النمل:7-14]، [سورة القصص: 3-46]، [سورة الصافات: 114-122]، [سورة غافر:23-46]، [سورة الزخرف: 46-56]، [سورة الذاريات:38-40]، [سورة النازعات:5-26].

التوراة له في الألواح، وغير ذلك"[1].

وهذا دليل آخر على نبوة محمد ﷺ، إذ كيف يتسنى له معرفة هذه الغيوب الماضية وهو لم يشهدها، ولم يكن له سابق علمٍ بها؟

قال ابن كثير: " يقول تعالى منبهًا على برهان نبوة محمد، صلوات الله وسلامه عليه، حيث أخبر بالغيوب الماضية، خبرًا كأن سامعه شاهد وراء لما تقدم، وهو رجل أمي لا يقرأ شيئًا من الكتب، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئًا من ذلك"[2].

فالوقوف على ما فُصّل من الأحوال السابقة لا يتسنى إلا بالمشاهدة، أو التعلم ممن شاهدها، وحيث انتفى كلاهما – يعني: المشاهدة والتعلم– تبيّن أنه بوحي من علام الغيوب لا محالة [3].

والترتيب القرآني للآيات الثلاث لم يُراعِ تسلسل أحداث القصة، فذكر أولاً عدم حضور النبي ﷺ وقت كلام الله تعالى لموسى عليه السلام عند الجانب الغربي من جانب الطور، ثم ذكر بعده عدم حضور النبي ﷺ وقت إقامة موسى عليه السلام بين أهل مدين، وهي سابقة لحادثة جبل الطور، وذلك للدلالة على أن كل حادثة برهان مستقل على نبوة محمد ﷺ، وأنه يوحى إليه من عند الله عز وجل [4].

كل ما سبق أدلة واضحة بينة على نبوة محمد ﷺ قطعًا، وأن القرآن وحي من عند العليم الخبير حقًا.

سادسًا: قصةُ ولادةِ عيسى عليه السلامُ:

لم يتوقف القرآن في دلالته على صدق الوحي والنبوة من خلال القصص القرآني على الإخبار المحض، بل تخطاه إلى بيان التحريف الذي وقع في التوراة والإنجيل، وتحدّى أهل الكتاب أن يكذّبوه إن استطاعوا.

فقد رد الله تعالى على زَعْمِ النصارى أنَّ عيسى عليه السلام ابن الله – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا– فقال تعالى بعد ذِكر قصة ميلاد عيسى عليه السلام، ودعوته لقومه، وما آتاه الله تعالى من المعجزات، ثم رفعه إلى السماء: ﴿ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ۞ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ [آل عمران:

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (417/3).

(2) تفسير القرآن العظيم، (240/6).

(3) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، (293/10).

(4) ينظر: المصدر السابق، (296/10).

[٥٨ – ٦٠]

أي: هذا الذي ذكرت من الخبر عن عيسى عليه السلام؛ ومريم الصديقة؛ والحواريين؛ نخبرك به بتلاوة جبريل عليك؛ من أكبر العلامات الدالة على نبوتك وصدقك فيما تبلغه عن ربك؛ لأنها أخبار لا يعلمها إلا قارئ كتاب الله، أو من يُوحى إليه، وأنت أُمِّيٌّ لا تقرأ، وكذلك لم تعاصر هؤلاء الذين ذكرنا لك قصصهم وأحوالهم(1).

ثم بيّن الله تعالى قدرته في خلق عيسى عليه السلام من غير أب، بأنه مثل آدم من حيث كونه خُلِق من غير أب وأم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، " فالآية الكريمة ترد ردًا منطقيًا حكيمًا يهدم زعم كل من قال بألوهية المسيح أو اعتبره ابن الله، وكأن الآية الكريمة تقول لمن ادعى ألوهية عيسى –عليه السلام–؛ لأنه خُلق من غير أب: أنه إذا كان وجود عيسى –عليه السلام– بدون أب يُسوِّغ لكم أن تجعلوه إلهًا أو ابن إله؛ فأولى بذلك ثم أولى آدم –عليه السلام–؛ لأنه خُلق من غير أب ولا أم. ومادام لم يدَّعِ أحدٌ من الناس ألوهية آدم –عليه السلام– لهذا السبب؛ فبطل حينئذ القول بألوهية عيسى –عليه السلام– لانهيار الأساس الذي قام عليه وهو خلقه من غير أب"(2).

ولذلك جاءت الآية: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾، أي: هذا القول هو الحق في عيسى، الذي لا محيد عنه، ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال(3).

وقد تحدى الله تعالى أهل الكتاب من النصارى بأن ينكروا هذه الحقيقة، وقال لنبيه: إن حاجوك بعد هذه الدلائل الواضحة، والجوابات اللائحة، فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند، وهو أن تدعوهم إلى المباهلة(4)، فقال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل

---

(1) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (449/1)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (126/2).

(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (126/2).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (49/2).

(4) معنى المباهلة: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا، فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. [ينظر: الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي، (228/1)]

عمران: ٦١][1].

قال ابن كثير: " وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران، أن النصارى حين قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى، ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية، فأنزل الله –تعالى– صدر هذه السورة ردًا عليهم، كما ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن يسار وغيره"[2].

ودعا النبي ﷺ أهله ليُلاعِنَ وفد نجران من النصارى، فعن سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿... فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: "**اللهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلِي**)[3].

ولكنهم نكصوا عن المباهلة بعد دعوتهم إليها، لخوفهم من تحقق لعنة الله تعالى عليهم، وقد جاء في صحيح البخاري طرفٌ من قصة هذه المباهلة، فعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: (جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لاَ تَفْعَلْ، فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالاَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلا أَمِيناً ...)[4].

قال الرازي: " إنها – أي: حادثة المباهلة– دلت على صحة نبوته عليه السلام من وجهين:

أحدهما: وهو أنه عليه السلام خوفهم بنزول العذاب عليهم، ولو لم يكن واثقًا بذلك، لكان ذلك منه سعيًا في إظهار كذب نفسه؛ لأن بتقدير: أن يرغبوا في مباهلته، ثم لا ينزل العذاب، فحينئذ كان يظهر كذبه فيما أخبر، ومعلوم أن محمدًا ﷺ كان من أعقل الناس، فلا يليق به أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه، فلما أصر على ذلك علمنا أنه إنما أصر عليه لكونه واثقًا بنزول العذاب عليهم.

وثانيهما: أن القوم لما تركوا مباهلته، فلولا أنهم عرفوا من التوراة والإنجيل ما يدل على نبوته، وإلا لما أحجموا عن مباهلته"[5].

فكيف للنبي ﷺ معرفة هذه الأخبار التي تبطل العقائد الفاسدة المسطرة في كتب النصارى المحرفة؟

---

(1) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (245/8).

(2) تفسير القرآن العظيم، (49/2–50).

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ/ باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، (1871/4)، رقم الحديث (2404).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي/ باب قصة أهل نجران، (171/5)، رقم الحديث (4380).

(5) التفسير الكبير، (249/8).

إن هذا وحده كفيل بأن يرجع النصارى عن اعتقادهم الفاسد، ولكنه الكِبْرُ والجهل والتقليد الأعمى، وما أجمل كلام الإمام القرافي في وصف هؤلاء القوم، حيث يقول: " فإن النصارى أمة عُميا، وطائفة جُهَلا، قد غلب عليهم التقليد، وتجنبوا محجة النظر السديد، حتى لا يبحثون عن صحة ما يلقيه إليهم أساقفتهم، ولا يتأملون ما يعتمده في دينهم أكابرهم وطغاتهم، ولولا ذلك لم يبق لدين النصرانية وجود لظهور فساده، وناهيك من قوم يعتقدون أن إلههم خلق أمه، وأن أمه قد ولدت خالقها ... "[1].

إن إبطال عقائد أهل الكتاب من النصارى وتحديهم بالملاعنة، لا يمكن أن يحصل إلا لمن يتلقى الخبر الصحيح من الله تعالى عالم الغيب والشهادة، وذلك من خلال الوحي، وهذا من أعظم الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله عز وجل قطعًا.

---

(1) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، (ص 53-54).

المطلب الثاني: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن قَصَصِ السابقين غير الأنبياء:

تحدث القرآنُ الكريمُ كثيرًا عن قصص السابقين، وكان الإخبارُ بهذه القصص لتثبيت قلب النبي ﷺ؛ وقلوب أصحابه من المؤمنين، ولتحذير المشركين من الإصرار على عنادهم وكفرهم، وذلك من خلال النظر في سنن الله النافذة في هذا الكون، فالعاقبة دائمًا للمتقين، والخزي دائمًا على الظالمين، وكذلك لإثبات نبوة محمد ﷺ؛ من خلال إخباره بهذه القصص التي لم يطلع عليها قبل ذلك، ومن خلال كشف وبيان ما كان يخفيه أحبار ورهبان أهل الكتاب مما ورد في كتبهم، وما كانوا يحرفون ويبدلون.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ... ﴾ [المائدة: ١٥].

قال ابن عطية: "وفي الآية الدلالة على صحة نبوته ﷺ؛ لأن إعلامه بخفيّ ما في كُتبهم وهو أميٌّ لا يقرأ ولا يصحب القراءة؛ دليلٌ على أن ذلك إنما يأتيه من عند الله تبارك وتعالى"(1).

وكان أحبار ورهبان أهل الكتاب يسألون النبي ﷺ عن بعض قصص السابقين مثل قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، للتثبت من نبوته ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴾ [الكهف: ٨٣].

وكان النبي ﷺ يجيبهم عما يسألون؛ بما ينزل عليه من الوحي، ومع علمهم بأن هذه القصص غيب بالنسبة لرسول الله ﷺ فلم يطَّلع عليها من قبل؛ وليس للنبي ﷺ وسيلة عادية للعلم بها؛ فلم يستطيعوا إلا الإقرار بصحة ما جاء به النبي ﷺ.

ولم يؤثر عن أهل الكتاب تكذيبُهم للنبي ﷺ في شيء مما أخبر به، بل هو الذي كان يُكذِّبهم فيما حرّفوه وبدلوه من الكتاب، ويتحداهم ﷺ بأن ما في كتبهم يُصدِّق ما جاء به، وقد جاء في صحيح السنة أن النبي ﷺ تحداهم بما في التوراة عندما ادّعوا أن الرجم ليس في دينهم.

فعَن ابْنِ عُمَر رضي الله عنهماَ: (أَنَّ الْيَهُودَ، أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنْهُمْ قَدْ زَنَيَا، فَقَالَ: **(مَا تَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمْ؟**)، فَقَالُوا: نُسَخِّمُ وُجُوهَهُمَا، وَيُخْزَيَانِ فَقَالَ: **(كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ، فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**، فَجَاءُوا بِالتَّوْرَاةِ، وَجَاءُوا بِقَارِئٍ لَهُمْ أَعْوَرَ، يُقَالُ لَهُ: ابْنُ صُورِيَا، فَقَرَأَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ، فَإِذَا هِيَ تَلُوحُ فَقَالَ، أَوْ قَالُوا:

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (170/2).

يَا مُحَمَّدُ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَتَكَاتَمُهُ بَيْنَنَا، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَرُجِمَا، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُجَانِئُ[1] عَلَيْهَا يَقِيهَا الْحِجَارَةَ بِنَفْسِهِ)[2].

إن هذه الأخبار الصادقة ما كانت لتُعلم إلا لمن شاهدها أو قرأها في كتب السابقين، والنبي ﷺ لم يشاهد أحداثها، وكان ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، فمن أين جاء النبي ﷺ بهذه القصص الحق؟

قال الرازي: " هذه القصص دالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام؛ لأنه عليه السلام كان أميًا، وما طالع كتابًا، ولا تلمذ أستاذًا، فإذا ذَكَرَ هذه القصص على الوجه من غير تحريف ولا خطأ، دل ذلك على أنه إنما عرفها بالوحي من الله وذلك يدل على صحة نبوته"[3].

إنَّ هذا يدل – بما لا يدع مجالاً للشك– على أن القرآنَ الكريم كلام الله العزيز الحكيم علاّم الغيوب صدقًا، وأنَّ محمدًا ﷺ رسول الله حقًا، وهذا ما يعرف بدليل صدق الوحي والنبوة.

ولن يستوفي الباحث في هذا المطلب جميع قصص السابقين من غير الأنبياء الواردة في القرآن الكريم، فهذا يحتاج إلى دراسة خاصة، ولكن سيذكر بعضًا منها ليُبين دلالتها على صدق الوحي والنبوة.

أولاً: قصة طالوت وجالوت:

وردت قصة طالوت وجالوت في القرآن في سورة البقرة، في ما لا يزيد عن سبع آيات (من الآية السادسة والأربعين بعد المائتين إلى الآية الثانية والخمسين بعد المائتين).

ملخص القصة:

تُخبر القصةُ أنَّ قومًا من بني إسرائيل كانوا قد انهزموا أمام أعدائهم هزيمة منكرة جعلتهم يولون الأدبار تاركين ديارهم وأبناءهم، فقالوا لنبي لهم بعد أن ذاقوا مرارة الهزيمة: ابعث لنا ملكًا يقودنا للقتال في سبيل الله، فقال لهم نبيهم بعد أن حذرهم من عاقبة الجبن والكذب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فاعترضوا على هذا الاختيار، ونقّصوا من شأن من اختاره الله قائدًا لهم، ولكن نبيهم ساق لهم من الحجج التي تدل على صلاحية طالوت لهذا المنصب ما أخرس

---

(1) يُجانئ: مفاعلة، من جانأ يجانئ، أي يكب ويميل عليها ليقيها الحجارة. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (302/1)].

(2) المسند، أحمد بن حنبل، (87/8–88)، رقم الحديث (4498)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(3) التفسير الكبير، (293/14).

ألسنتهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ثم سار طالوت بجنوده لقتال أعدائه، وفي الطريق قال لمن معه: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ ...﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وبعد هذه المخالفة؛ جبُن أكثرهم عن قتال أعدائهم وقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وبقي عدد قليل منهم يساوي عدة أصحاب بدر.

فعَنِ البَرَاءِ ﷺ، قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ: (أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاَثَ مِائَةٍ)(1).

هذه الفئة القليلة المؤمنة منهم استطاعت أن تنتصر على كل عقبة في طريقها، وأن تقاتل أعداءها بشجاعة وصبر واعتماد على الله، فكانت النتيجة أن انتصرت الفئة القليلة المؤمنة بقيادة طالوت على الفئة الكثيرة الكافرة بقيادة جالوت، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ...﴾ [البقرة:٢٥٠-٢٥١](2).

وبعد ذكر القصة بيّن الله تعالى أن إيتاء النبيِّ الأُمي ﷺ أمثال هذه القصص من دلائل نبوته فقال: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾، يشير إلى قصة الذين خرجوا من ديارهم، وقصة بني إسرائيل التي بعدها، ﴿نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّ﴾، فيه تعريض بأن ما يقوله بنو إسرائيل مخالف لهذا فهو باطل، ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، إذ لولا الرسالة لما عرفتَ شيئًا من هذه القَصَص، وأنت لم تكن في أزمنة وقوعها، ولا تعلمت شيئًا من التاريخ، ولو تعلمته لجئت بها على النحو الذي عند أهل الكتاب أو غيرهم من القصاصين(3).

وهذا من أعظم الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى قطعًا.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي/ باب عدة أصحاب بدر، (73/5)، رقم الحديث (3958).

(2) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (563/1).

(3) ينظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (390/2).

ثانيًا: قصة أصحاب السبت:

وردت قصة أصحاب السبت في سورة الأعراف، فيما لا يزيد عن أربع آيات (من الآية الثالثة والستين بعد المائة إلى الآية السادسة والستين بعد المائة).

قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣ – ١٦٦].

ملخص القصة:

كان أصحاب السبت من بني إسرائيل يسكنون بقرية على ساحل البحر الأحمر تسمى (أيلة) – وقيل: مدين – وكان الله عز وجل ابتلاهم بعدم صيد الحيتان يوم السبت تعظيماً له لمَّا ابتدعوه وتركوا يوم الجمعة، فكانت الحيتان تخرج يوم السبت ظاهرة على سطح الماء في كل مكان، فإذا ذهب يوم السبت غاصت في البحر فلم يقدروا عليها، فاعتدوا بأخذها يوم السبت، بدأ بذلك رجل كان يحفر الحفيرة، ويجعل لها نهرًا إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة، فيريد الحوت أن يخرج، فلا يطيق من أجل قلة ماء النهر، فيمكث؛ فإذا كان يوم الأحد جاء فأخذه، فجعل الرجل يشوي السمك فيجد جاره ريحه فيسأله فيخبره، فيصنع مثل ما صنع جاره، حتى فشا فيهم أكل السمك.

وهذا من التحايل الذي نهى عنه الشرع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللهِ بِأَدْنَى الْحِيَلِ)** [1].

وبناء على ما سبق؛ انقسم الناس ثلاث طوائف:

الأولى: الطائفة التي اعتدت في السبت.

الثانية: الطائفة التي لم تعتد في السبت؛ ونهت الذين اعتدوا فيه.

الثالثة: الطائفة التي لم تعتد؛ ولكنها لم تنه الذين اعتدوا.

---

(1) إبطال الحيل، ابن بطة، (ص 46)، قال ابن كثير في تفسيره (493/3) : "وهذا إسناد جيد"، وحسنه الألباني في كتاب صفة الفتوى، (ص28).

أما الطائفة التي لم تعتد وكانت تنهى عن الاعتداء، فنصحت المعتدين قائلة: ويحكم! إنما تصطادون يوم السبت، وهو لا يحل لكم، فقالوا: إنما صدناه يوم الأحد حين أخذناه.

وأما الطائفة التي لم تعتد ولم تنه الذين اعتدوا، فقالت للذين نهوهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، فأجابهم الذين نهوا: ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي: نحن ننهاهم حتى نُعذر عند الله بأنا نهيناهم عن المنكر، ولعلهم يتوبون ويرجعون للصواب ويتقون عذاب الله وسخطه.

فلما أقام المعتدون على عملهم ولم يلتفتوا لنصح الناصحين وعتوا عن أمر الله؛ قال الآمرون بالمعروف: والله لا نُبَايتكم الليلة في مدينتكم.

ثم أنزل الله تعالى عذابه على الطائفة المعتدية بأن مسخهم قردة تَعَاوَى لها أذناب، يعرفون نسبهم من بني آدم، وبنو آدم لا يعرفونهم، وظلوا ثلاثة أيام، ثم ماتوا جميعًا، وأنجى الله تعالى الذين ينهون عن السوء(1).

واختُلف في مصير الطائفة التي سكتت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قولين:

الأول: أنها نجت مع الناجين. الثاني: أنها هلكت مع الهالكين.

والراجح – والله أعلم– أنها كانت من الناجين؛ لأنها أنكرت المنكر في قلبها، بدليل قولهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، فتبين أنهم كانوا غيرَ راضين عن فعل المعتدين.

وإنكار المنكر في القلب من أضعف الإيمان، فقد ثَبَتَ في صَحيحِ مُسلم عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)**(2).

وقال الزمخشري: " فإن قلت: الأمة الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ من أي الفريقين هم؟ أمن فريق الناجين أم المعذبين؟ قلت: من فريق الناجين؛ لأنهم من فريق الناهين. وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه، حيث لم يروا فيه غرضًا صحيحًا، لِعِلمهم بحال القوم. وإذا علم الناهي حال المَنْهِي، وأن النَّهْيَ لا يؤثر فيه، سقط عنه النهى، وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث، ألا ترى

---

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (2/168–170)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (3/493–495).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ...، (1/69)، رقم الحديث (49).

أنك لو ذهبت إلى المكَّاسين القاعدين على المآصر[1]؛ والجلادين المُرَتَّبِين للتعذيب لتعظهم، وتكفهم عما هم فيه، كان ذلك عبثًا منك، ولم يكن إلا سببًا للتلهي بك"[2]. والله أعلم بالصواب.

إن إخبار النبي ﷺ عن هذه القصة من غير تعلّم، من العلامات البينة على أن الله تعالى أطلعه عليها من خلال الوحي، وهذا من أظهر الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى.

قال القرطبي: " وكان ذلك علامة لصدق النبي ﷺ، إذ أطلعه الله على تلك الأمور من غير تعلم"[3].

ثالثًا: قصة أصحاب الكهف[4]:

وردت قصة أصحاب الكهف بتفاصيلها الدقيقة في سورة الكهف، في ما لا يزيد عن ثمانية عشر آية (من الآية التاسعة إلى الآية السادسة والعشرين)، وهي من القصص التي سُئل عنها النبي ﷺ لإثبات صدق نبوته.

وقد كانت هذه القصة من علم العرب – وإن لم يكونوا عالميها على وجهها الصحيح– بدليل ورود ذكرها في بعض أشعارهم، قال أمية ابن أبي الصلت:

وليس بها إلا الرّقيمُ مجاورًا وَصِيدَهُمُ والقومُ في الكهف هُمّدُ[5].

ولعل العرب سمعوا بهذه القصة من أهل الكتاب، لكن لمّا كانت روايات أهل الكتاب مبنيةٌ على التخرص والرجم بالغيب؛ لأن القصة لم ترد في التوراة والإنجيل، جاء القرآن الكريم بالجواب الكافي، والبيان الشافي، ليُبين القول الحق في هذه القصة العجيبة.

---

(1) المآصر: جمع مَأْصَر، وهو موضع الحاجز. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (289/4)].

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (171/2–172).

(3) الجامع لأحكام القرآن، (304/7).

(4) أصحاب الكهف: هم فتية من الروم دخلوا الكهف قبل المسيح ﷺ، وضربَ الله سبحانه على آذانهم فيه، فلما بُعث المسيح ﷺ أخبر بخبرهم، ثم بعثهم الله بعد المسيح ﷺ، في الفترة بينه وبين النبي محمد ﷺ. [ينظر: المعارف، ابن قتيبة الدينوري، (ص 54)].

(5) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (704/2)، قال ابن المنير في حاشيته على الكشاف: الرقيم: كلب أصحاب الكهف، والوصيد: فناء البيت وبابه وعتبته، وهُمَّدُ: جمع هامد، أي: راقد، والقوم: عطف على الرقيم، والمعنى: ليس في تلك الصحراء إلا الكلب حال كونه مجاورًا لفناء غارهم، وإلا القوم حال كونهم رقودًا في الكهف: أى الغار [ينظر: حاشية تفسير الكشاف (704/2)].

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ۝ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ٩ – ١٣].

قال ابن عاشور: " لمّا اقتضى قوله: ﴿ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١٢]، أن في نبأ أهل الكهف تخرصات ورجمًا بالغيب؛ أثار ذلك في النفس تطلعًا إلى معرفة الصدق في أمرهم من أصل وجود القصة إلى تفاصيلها؛ من مخبر لا يُشكُ في صدق خبره؛ كانت جملة: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: ١٣]، استئنافًا بيانيًا لجملة: ﴿ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾"(1).

ملخص القصة:

يخبر الله تعالى عن أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم، فاعترفوا له بالوحدانية، وشهدوا أنه لا إله إلا هو، فصبرهم على مخالفة قومهم، حيث كان لقومهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت، ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد يأمر الناس بذلك، ويحثهم عليه، ويدعوهم إليه.

فخرجوا يومًا في بعض أعياد قومهم، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، فعرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها، لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والأرض.

فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه، وينحاز منهم، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة، فاتخذوا لهم معبدًا يعبدون الله فيه، فعرف بهم قومهم، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم، وما هم عليه، فأجابوه بالحق، ودعوه إلى الله عز وجل؛ ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٤]، أي: لا يقع منا هذا أبدا؛ لأنا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً وكذبًا وبهتانًا.

ثم قالوا: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف: ١٥]، أي: هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحًا

(1) التحرير والتنوير، (271/15).

صحيحًا؟! بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك.

فيقال: إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله، أبى عليهم، وتهددهم وتوعدهم، وأجّلهم لينظروا في أمرهم، لعلهم يراجعون دينهم الذي كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم، فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه، والفرار بدينهم من الفتنة.

ولجأ الفتية مع كلبهم إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين الله تعالى رحمته ولطفه بهم: ربنا هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها، وتسترنا عن قومنا، واجعل عاقبتنا رشدًا.

فألقى الله تعالى عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف، فناموا سنين كثيرة، وذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم، لم تنطبق أعينهم؛ لئلا يسرع إليها البلى، فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها؛ وكذلك كان يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، حتى لا تأكلهم الأرض، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف كما جرت به عادة الكلاب لحراستهم، وألقى الله تعالى عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم، لئلا يدنو منهم أحد، ولا تمسهم يد لامس، حتى يبلغ الكتاب أجله، وتنقضي رقدتهم التي شاء الله تبارك وتعالى فيهم.

قال تعالى: ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾ [الكهف: ١٨].

وكما أرقدهم الله تعالى، فقد بعثهم صحيحةً أبدانُهم وأشعارُهم وأبشارُهم، لم يفقدوا من أحوالهم وهيئاتهم شيئًا، وذلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين؛ ولهذا تساءلوا بينهم: كم رقدتم؟ قالوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم، حيث كان دخولهم إلى الكهف في أول نهار، واستيقاظهم كان في آخر نهار؛ ولهذا استدركوا فقالوا: ربكم أعلم بأمركم، وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم، فالله أعلم.

ثم عدلوا إلى الأهم في أمرهم إذ ذاك، وهو احتياجهم إلى الطعام والشراب، فقالوا: فابعثوا أحدكم بفضتكم هذه إلى مدينتكم التي خرجتم منها، فلينظر أيها أطيب طعامًا، وليتلطف في خروجه وذهابه، وشرائه وإيابه، ولا يُعلمنّ بكم أحدًا، فإنَّهم إنْ علموا بمكانكم، يعذبوكم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوكم في ملتهم التي هم عليها، أو تموتوا.

ولما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة، في شراء شيء لهم ليأكلوه، تنكر وخرج يمشي في غير الجادة، حتى انتهى إلى المدينة، وهو يظن أنه قريب العهد بها، وكان الناس قد تبدلوا قرنًا بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة، وتغيرت البلاد ومن عليها.

فجعل لا يرى شيئًا من معالم البلد التي يعرفها، ولا يعرف أحدًا من أهلها، لا خواصها ولا عوامها،

فجعل يتحير في نفسه ويقول: وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة.

ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام، فدفع إليه ما معه من النفقة، وسأله أن يبيعه بها طعامًا، فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها، فدفعها إلى جاره، وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون: لعل هذا قد وجد كنزًا، فسألوه عن أمره، ومن أين له هذه النفقة؟ لعله وجدها من كنز، ومن أنت؟

فجعل يقول: أنا من أهل هذه المدينة، وعهدي بها عشية أمس.

فحملوه إلى وليِّ أمرهم، فسأله عن شأنه وعن أمره حتى أخبرهم بأمره، وهو متحير في حاله، وما هو فيه، فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف: حاكم البلد وأهلها، حتى انتهى بهم إلى الكهف، فقال: دعوني حتى أتقدمكم في الدخول؛ لأُعلِمَ أصحابي.

ودخلوا عليهم، ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم، وكان مسلمًا ففرحوا به، وآنسوه بالكلام، ثم ودعوه وسلموا عليه، وعادوا إلى مضاجعهم، وتوفاهم الله عز وجل، والله أعلم(1).

لا شك أن قصة أصحاب الكهف دليلٌ على ربانية القرآن الكريم ونبوة محمد ﷺ، فمن أين للنبي ﷺ عِلمُ هذه القصة وقد حصلت في الماضي البعيد، إن هذا من أعظم الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله حقًا، وأن محمد ﷺ رسول الله قطعًا، وهذا ما يُعرف بدليل صدق الوحي والنبوة.

رابعًا: قصة ذي القرنين(2):

وردت قصة ذي القرنين بتفاصيلها الدقيقة في سورة الكهف، في ما لا يزيد عن خمس عشرة آية (من الآية الثالثة والثمانين إلى الآية الثامنة والتسعين)، وهي من القصص التي سئل عنها النبي ﷺ لإثبات صدق نبوته.

قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣].

وسُمِّي ذو القرنين؛ لأنه بلغ قرنَي الشمسِ غربًا وشرقًا، من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب، وملَك ما بينَهما مِن الأرضِ(3)، واختُلفَ في نبوة ذي القرنين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَا**

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (140/5- 147).

(2) ذو القرنين: هو رجل من الإسكندرية، اسمه الإسكندروس، وكان حلم حلمًا رأى فيه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها، فقص رؤياه على قومه، فسموه: ذا القرنين. وكان في الفترة بعد عيسى ﷺ. [ينظر: المعارف، ابن قتيبة الدينوري، (ص 54)].

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (189/5)، البداية والنهاية، ابن كثير، (538/2).

أَدْرِي تُبَّعٌ أَنَبِيًّا كَانَ أَمْ لا؟ وَمَا أَدْرِي ذُو الْقَرْنَيْنِ أَنَبِيًّا كَانَ أَمْ لا؟ ...)[1].

ملخص القصة:

كان ذو القرنين ملكًا عادلاً، مكّن الله تعالى له في الأرض، فأعطاه مُلكًا عظيمًا، فيه من جميع ما يؤتى الملوك، من التمكين والجنود، وآلات الحرب، ولهذا دانت له البلاد، وخضعت له ملوك العباد، وخدمته الأمم، من العرب والعجم.

فسلك طريقًا حتى وصل إلى أقصى ما يُسلك فيه من الأرض من ناحية مغرب الأرض، فوجد أمة من الأمم، ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم، مكَّنه الله تعالى منهم، وحكَّمه فيهم، وأظفره بهم، وخيَّره: إن شاء قتل وسبى، وإن شاء منَّ أو فدى.

فعُرِف عدلُه وإيمانُه فيما أبداه في هذا الموقف، بقوله: أما من ظلم باستمراره على كفره وشركه بربه فسوف نعذبه بالقتل، ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابًا شديدًا بليغًا وجيعًا أليمًا.

وأما من آمن وتابعنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، فله جزاء الحسنى في الدار الآخرة عند الله، عز وجل، وسنقول له من أمرنا معروفا.

ثم سلك طريقًا فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها، وكان كلما مر بأمة قهرهم، وغلبهم، ودعاهم إلى الله عز وجل، فإن أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم أنوفهم، واستباح أموالهم وأمتعتهم، واستخدم من كل أمة ما يستعين به مع جيوشه على أهل الإقليم المتاخم لهم، ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض؛ وجدها تطلع على أمة ليس لهم بناء يُكنّهم، ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس.

ثم سلك طريقًا من مشارق الأرض، حتى إذا بلغ بين السدين – وهما جبلان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك، فيعيثون فيهم فسادًا، ويهلكون الحرث والنسل – وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولاً، وذلك لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس.

قالوا: يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك أجرًا عظيمًا نجمعه لك من أموالنا، حتى تجعل بيننا وبينهم سدًا.

فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير: إن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي

---

(1) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الإيمان/ باب أما حديث معمر، (92/1)، رقم الحديث (104)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، السنن الكبرى، البيهقي، كتاب الأشربة والحد فيها/ باب الحدود كفارات، (570/8)، رقم الحديث (17595)، ولفظه: (مَا أَدْرِي تُبَّعٌ أَلَعِينًا كَانَ أَمْ لا؟ ...)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (969/2)، رقم الحديث (5524).

من الذي تجمعونه، ولكن ساعدوني بعملكم وآلات البناء، أجعل بينكم وبينهم ردمًا، آتوني قطع الحديد، ووضع قطع الحديد بعضها على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رءوس الجبلين طولاً وعرضًا؛ قال: أججوا عليه النار، فلما صار كله نارًا، قال: آتوني أفرغ عليه النحاس، فلما فعلوا وأصبح سدًا قويًا عاليًا، لم يقدر يأجوج ومأجوج على الصعود فوقه، ولا قدروا على نقبه من أسفله.

فقال ذو القرنين: هذا رحمة من ربي بالناس، حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلاً يمنعهم من الفساد في الأرض، فإذا اقترب الوعد الحق، ساواه بالأرض، وكان وعد ربي كائنًا لا محالة[1].

وقد ثبت في صحيح السنة أنَّ يأجوج ومأجوج لا يزالون إلى زماننا هذا يحاولون نقب هذا السد، حتى يأتي اليوم الموعود لخروجهم في آخر الزمان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحفِرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْتَثْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيُنَشِّفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا[2] فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا** "، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ[3] شَكَرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ**) [4].

قال تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٩٦ – ٩٧].

إن إخبار النبي ﷺ بهذه القصة، وهي من غيب الماضي، الذي لم يطلع عليه من قبل، لدليل ظاهر، وبرهان قاهر، على أن القرآن الكريم كلام الله حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله صدقًا، وهذا ما يُعرفُ بدليل صدق الوحي والنبوة.

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (189/5– 197).

(2) النَّغَفُ بفتحتين: دُودٌ يَكُون في أنوفِ الإبل والغنم، واحدتُها: نَغَفَة. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (87/5)].

(3) وتَشْكَرُ بالشين المعجمة وفتح الكاف: أي تمتلئ، ومنه قيل: شكِرت –بالكسر– الإبل: إذا أصابت مرعى فسمنت عليه. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (493/2)، غريب الحديث، ابن قتيبة، (400/1)].

(4) المسند، أحمد بن حنبل، (369/16–370)، رقم الحديث، (10632)، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

خامسًا: قصةُ أصحابِ الأخدودِ:

لقد وردت هذه القصة في سورة البروج، في ما لا يزيد عن ثماني آيات (من الآية الرابعة إلى الآية الحادية عشر).

قال تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۞ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۞ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [البروج: ٤ – ١١].

ملخص القصة:

لقد وردت تفاصيل قصة أصحاب الأخدود في السُّنة النبوية، عَنْ صُهَيْبٍ بن سنانٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: (كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ، وكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِالله دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِالله فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلامِ، فَجِيءَ بِالْغُلامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ،

فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ)[1].

إن إخبار النبي ﷺ بهذه القصة وهي من غيب الماضي الذي لم يطلع عليه من قبل، من أعظم الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا.

سادسًا: إنجاءُ بدنِ فرعون:

أخبر الله تعالى بنجاة بدن فرعون بعد غرقه ليكون آية لمن خلفه، فقال تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢].

قال البيضاوي: " ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ ﴾، ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً، أو نلقيك على نجوة[2] من الأرض ليراك بنو إسرائيل ... ﴿بِبَدَنِكَ ﴾ في موضع الحال، أي: ببدنك عاريًا من

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق/ باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، (2299/4)، رقم الحديث (3005).

(2) النجوة: هي المُرتَفَعُ من الأرض. [المصباح المنير، الفيومي، (595/2)].

الروح، أو كاملاً سويًا، أو عريانًا من غير لباس ... أو بدرعك، وكانت له درع من ذهب يُعرف بها، ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ لمن وراءك علامة ..."[1].

"وكان إنجاءُ بدن فرعون بعد موته آيةً من آيات الله، فالله –تعالى– أمر ماء البحر ألا يسحب فرعون إلى قعر البحر، فنفذ الماء الأمر. والله –تعالى– أمر الأسماك ألا تأكل جثته، فنفذت الأسماك الأمر. والله –تعالى– أمر الموج أن يلقي الجثة على الشاطئ فنفذ الموج الأمر، ... ولنتصور جثة فرعون ملقاة على الشاطئ يمر بها قومه معجبين مندهشين"[2]، أهذا الذي كان يقول: أنا ربكم الأعلى!! أهذا الذي كان يقول: ما علمت لكم من إله غيري !!.

رأى الناس هذه الجثة وعليها آثار الموت والغرق، وظهر لقوم فرعون بأنه ليس إلهًا كما كان يزعم، فلو كان إلهًا لاستطاع أن يمنع عن نفسه الغرق، وكان ذلك أيضًا دليلاً واضحًا على نبوة موسى عليه السلام، حيث نجاهُ الله تعالى وقومَه من فرعون وجنوده[3].

ماذا فعلَ قومُ فرعونَ بجثته؟

يقول الدكتور صلاح الخالدي: " أخذ قومُه جثتَه، وحنطوها[4]، ووضعوها في مدافن الأسرة الفرعونية، بجانب جثث الملوك الفراعنة الذين ماتوا قبله ... " [5].

كان القرآن يتنزل على رسول الله ﷺ، ويقرؤه على الناس، في الوقت الذي كانت فيه أبدان كل الفراعنة موجودة في قبور وادي الملوك في (طيبا) في الضفة المقابلة للأقصر من النيل، فلم تكن جثث الفراعنة قد اكتشفت بعد، حتى تم اكتشافها في القرن التاسع عشر، وكان من جملة تلك الجثث التي عثروا عليها جثة فرعون، فقد اكتشف عالم الآثار لوريت؛ الفرعون المحنط (منفتاح ابن رمسيس الثاني) سنة 1898م، وهو الفرعون الذي يتوقع أن موسى وهارون عليهما السلام أرسلا إليه، وورد ذكر غرقه في القرآن الكريم، والجثة اليوم موجودة في صالة المومياءات الملكية في المتحف المصري في القاهرة يراها الناس عيانًا [6].

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (123/3).

(2) القصص القرآني، صلاح الدين الخالدي، (105/3).

(3) ينظر: المصدر السابق، (106/3).

(4) التحنيط: "عند قدماء المصريين؛ حفظ هيكل جسم الميت بتخليصه من المواد الرخوة من جلد وغشاء، وتطهير جوفه بمواد خاصة" [المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (1/ 202)].

(5) القصص القرآني، (106/3).

(6) ينظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، (ص 277–278).

وتحقق قول الله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ... ﴾ [يونس: ٩٢]، فكان آية لمعاصريه من المصريين ومن بني إسرائيل، وآية لمن جاء من بعدهم إلى زماننا هذا.

إن هذا الاكتشاف جعل الطبيب الجراح الفرنسي المشهور "موريس بوكاي"[(1)] يعلن إسلامه، بعد أن فحص جثة الفرعون فحصًا دقيقًا محاولاً معرفة سبب موته، فوجد بقايا الملح العالق في جسده، وكان هذا أكبر دليل على أن الفرعون مات غريقًا، ثم استخرجت جثته من البحر، وتم تحنيطها [(2)].

إن مثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث، وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة، فهل يُعقل أن يعرف النبي ﷺ هذا قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، كيف للنبي ﷺ أن يُخبر بنجاة بدن فرعون؟

كيف يكون هذا، وهذه المومياء لم تكتشف أصلاً إلا في عام 1898م، أي: قبل قرنٍ من الزمان تقريبًا، بينما القرآن موجود قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟!

وكيف يستقيم في العقل هذا، والبشرية جمعاء –وليس المسلمين فقط– لم يكونوا يعلمون شيئًا عن قيام قدماء المصريين بتحنيط جثث فراعنتهم إلا قبل عقود قليلة من الزمان فقط؟!

إنّ اكتشاف جثة فرعون، وبقاءها في المتحف المصري يراها الناس، ليؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا، وهذا ما يعرف بدليل صدق الوحي والنبوة.

تناقض رواية التوراة مع القرآن:

في التوراة المحرفة يوجد فرق بين فرعون الذي كان يُعذب اليهود؛ وربّى موسى عليه السلام؛ وفرعون الذي بُعث له موسى وهارون عليهما السلام، فهما فرعونان مختلفان، فالأول عندهم هو رمسيس الثاني، ويسمونه: (فرعون الظالم)، الذي كان يستعبد اليهود ويعذبهم، ومات زمن وجود موسى عليه السلام في مدين، أما الثاني فهو الذي تبع موسى عليه السلام وقومَه وغرق في البحر، وهو منفتاح، ويسمونه: (فرعون الخروج)[(3)].

وهذا كلام باطل ترده آيات القرآن الكريم، ويرده الباحثون والمفسرون، فالقرآن الكريم لم يُفرّق بين

---

(1) موريس بوكاي: طبيب فرنسي، رئيس قسم الجراحة في جامعة باريس، اعتنق الإسلام عام 1982م، يعتبر كتابه "التوراة والقرآن والعلم" من أهم الكتب التي درست الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، [ينظر: نماذج حية للمهتدين إلى الحق "علماء ومفكرون وأدباء وفلاسفة أسلموا"، الحسيني معدى، (11/2)].

(2) ينظر: قصة إسلامه كاملة في كتاب: نماذج حية للمهتدين إلى الحق ...، الحسيني معدى، (13/2–14).

(3) ينظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، (ص 266–268).

فرعون الذي ربى موسى عليه السلام وفرعون الذي غرق في البحر، وقد ورد في السنة النبوية الصحيحة ما يؤكد هذه الحقيقة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو يشرح لسعيد بن جبير رحمه الله معنى قوله تعالى: ﴿ **وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا** ﴾ [طه: ٤٠]: " ... فَلَمَّا سَمِعَ الذَّبَّاحُونَ بِأَمْرِهِ أَقْبَلُوا بِشِفَارِهِمْ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ لِيَذْبَحُوهُ – يعني : موسى عليه السلام–، وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَتْ لَهُمْ: أَقِرُّوهُ، فَإِنَّ هَذَا الْوَاحِدَ لا يَزِيدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَتَّى آتِيَ فِرْعَوْنَ فَأَسْتَوْهِبَهُ مِنْهُ، فَإِنْ وَهَبَهُ لِي كُنْتُمْ قَدْ أَحْسَنْتُمْ وَأَجْمَلْتُمْ، وَإِنْ أَمَرَ بِذَبْحِهِ لَمْ أَلُمْكُمْ، فَأَتَتْ فِرْعَوْنَ فَقَالَتْ: ﴿ **قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ** ﴾ [القصص:٩]، فَقَالَ فِرْعَوْنُ: يَكُونُ لَكِ، فَأَمَّا لِي فَلا حَاجَةَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتِ امْرَأَتُهُ لَهَدَاهُ اللهُ كَمَا هَدَاهَا، وَلَكِنَّ اللهَ حَرَمَهُ ذَلِكَ" ...)**[1].

فقول النبي ﷺ : **(لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتِ امْرَأَتُهُ لَهَدَاهُ اللهُ كَمَا هَدَاهَا...)** يفيدُ بدلالة العبارة أنه نفسُ الفرعون الذي أُرسل إليه موسى عليه السلام، وإلا لما كان مناسبًا ذكر حرمانه من الهداية. والله أعلم.

ومن الباحثين الذين ينفون كون فرعون هو رمسيس الثاني الدكتور سعيد ثابت، الذي أصدر كتابين عن فرعون وموسى، وذكر في دراسته أن خصائص وصفات فرعون موسى التي أوردها القرآن تجعلنا نستبعد تمامًا أن يكون هو رمسيس الثاني، وذلك للأسباب الآتية[2]:

الأول: فرعون موسى ادعى الألوهية، وأمر الناس بعبادته، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ** ﴾ [القصص: ٣٨]، أما رمسيس فلم يدَّعِ الألوهية وكان مشركًا، وهذا يظهر في الصور المرسومة في معابده.

الثاني: ثبت في القرآن الكريم تدمير ما كان يصنع فرعون، قال تعالى: ﴿ **... وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، أما رمسيس الثاني فلا تزال آثاره قائمة.

---

(1) السنن الكبرى، النسائي، كتاب التفسير/ سورة طه، حديث الفتون، (172/10)، رقم الحديث (11263)، قال مصطفى العدوي: إسناده حسن، [ينظر: الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، (ص 43)].
(2) ينظر: الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن، سعيد أبو العينين، (ص 74).

إن هذا يثبت بجلاء ربانية القرآن الكريم ونبوة محمد ﷺ، ويثبت كذلك أن النبي ﷺ لم يتلق هذه الأخبار من أحبار اليهود كما يزعم بعض المستشرقين الحاقدين، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥].

المبحث الثاني
نماذجُ من غيبِ المستقبلِ
(الأخبارُ الغيبية بعدَ البَعثة)

وفيه أربعةُ مطالب:

المطلبُ الأولُ:

إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن مستقبلِ الإسلامِ

المطلبُ الثاني:

إخبارُ القرآنِ الكريمِ بعجزِ الإنسِ والجنِ عن معارضته والإتيانِ بمثله

المطلبُ الثالثُ:

الإخبارُ بتكفُّلِ اللهِ تعالى حفظَ القرآنِ الكريمِ

المطلبُ الرابعُ:

الإخبارُ عن كشوفٍ علميةٍ ستظهرُ في المستقبل

المبحثُ الثاني

نماذجُ من غيبِ المستقبلِ

(الأخبارُ الغيبيةُ بعدَ البَعثة)

إذا أراد إنسان أن يتنبأ بشيء سيحصل في المستقبل، فإنه يتنبأ بذلك من خلال تجاربه وخبرته، ومع هذا فلا يمكنه الجزم بما تنبأ به، ويعلّق هذا المُتنبئ حصول توقعه ما لم تحدث مفاجآت ليست في الحسبان، كالراصد الجوي الذي يتنبأ بأحوال الجو، ونزول المطر، لا يملك أن يجزم بشيء مما يقول، ويُرجع الأمر إلى مشيئة الله تعالى.

فإذا جاء من يجزم بأمر سيحصل في المستقبل، فهو أحد رجلين: إما أن يكون رجلاً متهورًا لا يهمه بيان كذبه للناس، وهذا ديدن العرافين والمنجمين والكهان، وإما أن يكون صادقًا واثقًا بما يقول، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا لرجل يُوحَى إليه من علاَّم الغيوب، الذي يعلم ما كان وما سيكون، ولا يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى.

وقطعًا رسول الله ﷺ هو الرجل الثاني، فقد جاء بأعظم دين، وأفضل رسالة، وخير كتاب موحى به من عند الله تعالى، ولم يثبت أن رسول الله ﷺ كان يتعاطى الكهانة والتنجيم، كيف وهو الذي حذر منهما أيما تحذير، وعدها من الشرك بالله تعالى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)**[1].

وعَنْ صَفِيَّةَ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)**[2].

وما كان للنبي ﷺ أن يذر الكذب على الناس، ويكذب على الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ** ﴾ [الحاقة:٤٤ – ٤٧].

---

(1) المسند، أحمد بن حنبل، (15-331)، رقم الحديث (9536)، قال محققو المسند: حديث حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1155/7)، رقم الحديث (3387).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب السلام/ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (1751/4)، رقم الحديث (2230).

وقد نفى النبي ﷺ عن نفسه علم الغيب، إلا ما يُعلِمه الله تعالى به، قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧].

ومع هذه الحقيقة: فقد ورد في القرآن الكريم آيات صريحة تتحدث عن أخبار مستقبلية.

وعند حديث القرآن عن غيب المستقبَل، كان حديثه عنه على عدّة مراحل:

أ- مرحلة المستقبل القريب (غيب الحاضر): لكي يتبين لأصحابِ الرسالةِ والمؤمنين به وغير المؤمنين أنّه الحقّ.

وهذا الغيب سيتحدث عنه الباحث في الفصل الثالث من هذه الرسالة بإذن الله تعالى.

ب- مرحلة المستقبل البعيد: لكي يتبين لأصحاب كلّ عصر من العصور التي ستأتي أنّ القرآن كلام الله تعالى، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى.

والحديث عمّا سيحدث بعد مئات السنين وآلافها؛ واضحٌ أنّه فوق طاقة البشر المحدودة، وإخباره ﷺ بهذه المغيبات المستقبلة إخبار الواثق، وتحقق بعضٍ مما جاء منها في القرآن الكريم؛ دليل على أن باقي الأخبار الواردة في القرآن الكريم ستتحقق، وهذا مثال الأدلة العلمية التي تتحقق بين الحين والآخر على امتداد الزمان، لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

وهذا من أعظم الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى قطعًا، وسيظهر لنا ذلك بوضوح من خلال المطالب الآتية:

المطلبُ الأولُ: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن مستقبلِ الإسلامِ:

أخبر القرآن عن مستقبل الإسلام، وبيّن أن التمكين كائنٌ للمسلمين، وقد نزلت آيات البشرى بالتمكين في وقت كان فيه المسلمون تحت نير الظلم، ونار التعذيب، فقد كانوا ضعفاء، ولم يكن هناك بارقة أمل في النجاة والظفر، خاصة أنّ الظروف المحلية والإقليمية في ذلك الوقت ضد المسلمين.

فقد " كان على النبي ﷺ مواجهة ثلاث جبهات في وقت واحد:

أولاها: القبائل المشركة، بعد أن أصبحوا أعداء حياته.

وثانيتها: الرأسمالية اليهودية.

وثالثتها: أولئك المنافقون الذين تسربوا داخل المسلمين للقضاء علي حركتهم، من داخل معاقلهم"[(1)].

بالإضافة إلى أعتا دولتين في ذلك الزمان، وهما دولتا الفرس والروم القائم خطرهما بمجرد قيام دولة الإسلام وظهورها في شبه الجزيرة العربية.

ومن خلال هذا الليل البهيم من الفتن والمحن والألم، يبزغ شعاع البشرى والأمل، ليس تخرّصًا ولا ظنونًا، ولكن يقينًا مؤكدًا.

قال تعالى في سورة الصافات وهي من السور المكية: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣].

قال ابن كثير: " أي: تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١]"[(2)].

قال صاحب الظلال: "والوعد واقع وكلمة اللّه قائمة. ولقد استقرت جذور العقيدة في الأرض وقام بناء الإيمان، على الرغم من جميع العوائق، وعلى الرغم من تكذيب المكذبين، وعلى الرغم من التنكيل بالدعاة والمتبعين"[(3)].

وقال الله تعالى في سورة الرعد، وهي من السور المكية: ﴿... كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ

---

(1) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، (ص 170).

(2) تفسير القرآن العظيم، (45/7).

(3) في ظلال القرآن، (3001/5).

﴿ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

فإذا اجتمع الحق والباطل؛ فلا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب حين يُسبك بالنار، فكذلك الباطل، يذهب جفاءً متفرقًا ويضمحل ويزول، ويبقى الحقُّ المتمثلُ بأهلِ الحقِّ المتمسكين به.

قال البغوي: "هذا تسلية للمؤمنين، يعني: أن أمر المشركين كالزبد يُرى في الصورة شيئًا، وليس له حقيقة، وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له البقاء والثبات"[1].

وفي سورة مكية أخرى، " ضرب الله –تعالى– مثلاً لكلمة الإيمان؛ يُعبر عن رسوخها وبقائها، ومثلاً لعقيدة الكفر والزور؛ يُنبئ بمحقها وتلاشيها"[2]، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۞ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۞ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٧].

كل هذا دليل على نبوة محمد ﷺ، وأن القرآن الكريم كلام الله تعالى، إذ كيف لرجل ضعيف، أتباعه قليل، وأعداؤه كثير، ويتكلم بكل ثقة أن النصر والتمكين لهذه القلة المستضعفة؟

وقد تأكد هذا الوعد في السور المدنية، فقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

قال ابن عاشور: " واللام في ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ ﴾ لتعليل فِعْل أرسل ومتعلقاته، أي: أرسله بذلك ليظهر هذا الدين على جميع الأديان الإلهية السالفة، ولذلك أكد ب ﴿ كُلِّهِۦ ﴾؛ لأنه في معنى الجمع. ومعنى يظهره يُعْليه "[3].

قال الزمخشري: " وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح، وتوطين لنفوس المؤمنين على أنّ الله تعالى

---

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (14/3).

(2) المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، (ص 289).

(3) التحرير والتنوير، (202/26).

سيفتح لهم من البلاد؛ ويُقيض لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه [1] فتح مكة، وكفى باللهِ شهيدًا على أنّ ما وعده كائن"[2].

وقد بشَّر النبيُّ ﷺ بنصر الله تعالى الذي وعده وهو في أحلك الظروف، ففي غزوة الأحزاب؛ عندما حاصر المشركون المدينة المنورة، وتعرض المسلمون لخيانة اليهود من داخل المدينة، أصبح المؤمنون في كرب وشدة، وكان حالهم كما وصفهم الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۞ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب: ٩ – ١١].

في ظل هذه الأحداث والظروف، جاءت البشريات الصادقة بنصر الله تعالى.

أخرج النسائي بسنده عَنْ رَجُلٍ، مَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، عَرَضَتْ لَهُمْ صَخْرَةٌ حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَفْرِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، وَوَضَعَ رِدَاءَهُ نَاحِيَةَ الْخَنْدَقِ، وَقَالَ: **(تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً، لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**، فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَائِمٌ يَنْظُرُ، فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ بَرْقَةٌ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ، وَقَالَ: **(تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً، لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**، فَنَدَرَ الثُّلُثُ الآخَرُ، فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ فَرَآهَا سَلْمَانُ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ، وَقَالَ: **(تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً، لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)**، فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْبَاقِي، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ وَجَلَسَ، قَالَ سَلْمَانُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ، مَا تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلَّا كَانَتْ مَعَهَا بَرْقَةٌ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(يَا سَلْمَانُ، رَأَيْتَ ذَلِكَ؟)** فَقَالَ: إِي وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **(فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الأُولَى رُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنُ كَثِيرَةٌ، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ)** قَالَ لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلادَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، **(ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثَّانِيَةَ، فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ قَيْصَرَ وَمَا حَوْلَهَا، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ)**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَفْتَحَهَا عَلَيْنَا وَيُغَنِّمَنَا دِيَارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينَا بِلادَهُمْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، **(ثُمَّ ضَرَبْتُ الثَّالِثَةَ، فَرُفِعَتْ لِي مَدَائِنُ**

---

(1) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: يستقلون به، أي أن المسلمين سيفتح الله لهم من البلاد ما يستقلون به فتح مكة، يعني: يكون فتح مكة بجواره قليلاً. والله أعلم.

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (346/4).

الْحَبَشَةِ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْقُرَى، حَتَّى رَأَيْتُهَا بِعَيْنَيَّ)[1].

فهذا رجل محاصر، اجتمعت الدنيا ضده، ولا يجد ما يسد جوعه، ولا يأمن أصحابُه على أنفسهم، ولا ملجأ له إلا الله سبحانه وتعالى، يخبر الناس بهذه الفتوحات لأقوى الدول في زمانه!! هذا لا يقوله إنسان ظنًا وإلا جعل مصداقيته على المحك، لا يمكن أن يقول هذا إلا من كُشف له غيب المستقبل من خلال الوحي، وهذا دليل على صدق الوحي والنبوة.

وتصديقًا لهذه الوعود الربانية " كان أبو بكر ﷺ إذا أغزى جيوشه عرّفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه، وليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنُّجْحِ، وكان عمر يفعل ذلك: فلم يزل الفتح يتوالى شرقًا وغربًا، برًا وبحرًا"[2].

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢ – ٣٣].

قال ابن كثير: " يقول تعالى: يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ ﴾ أي: ما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق، بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس، أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل الله –تعالى– به رسوله لا بد أن يتم ويظهر؛ ولهذا قال تعالى مقابلاً لهم فيما راموه وأرادوه: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾"[3].

وقال البغوي: " يعني: الذي يأبى إلا إتمام دينه هو الذي أرسل رسوله محمدًا ﷺ، بالهدى"[4].

وقد تحقق وعد الله تعالى، وانتشر الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ بسنوات معدودات، قال ابن عاشور: "وظهور الإسلام على الدين كله حصل في العالم باتباع أهل الملل إياه في سائر الأقطار، بالرغم على[5] كراهية أقوامهم وعظماء مللهم ذلك، ومقاومتهم إياه بكل حيلة، ومع ذلك فقد ظهر وعلا وبان فضله

---

(1) سنن النسائي، النسائي، كتاب الجهاد/ غزوة الترك والحبشة، (43/6)، رقم الحديث (3176)، قال الألباني: حسن.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (75/1).

(3) تفسير القرآن العظيم، (136/4).

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (340/2).

(5) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: بالرغم من. والله أعلم.

على الأديان التي جاورها وسلامته من الخرافات والأوهام التي تعلقوا بها، وما صلحت بعض أمورهم إلا فيما حاكوه من أحوال المسلمين وأسباب نهوضهم، ولا يلزم من إظهاره على الأديان أن تنقرض تلك الأديان"[1].

إن إخبار النبي ﷺ عن هذه المغيبات لهو من أعظم الأدلة على نبوته، وأنه يوحى إليه من عند الله تعالى، فلا يمكن لمصلح أن يخبر بهذه الآمال إلا إذا كان جازمًا بها، وهذا الجزم لا يأتي إلا من خلال الوحي.

قال الدكتور حسن عتر: " إنَّ المصلح العاقل إذا انقدحت في نفسه بارقة أمل بانتصار دعوته على الرغم من تخلف الظروف ومصادمة الحوادث، فإنه لا يملك أن يقلب الأمل حُكمًا قاطعًا يعلنه على مسامع الملأ؛ فكيف يجعله ركنًا في كتاب يتلى ودستور يخلد !؟ فإنه بذلك يثير حنق القوم، ويؤجج سخطهم ويكثِّر الأعداء، ويؤلب عليه القرباء والبعداء ... "[2].

وقال وحيد الدين خان: " وليس بوسعنا تفسير هذه التنبؤات في ضوء المصطلحات المادية، إلا أن نُسلِّم بأن صاحب هذا الإخبار بالغيب لم يأت به من عند نفسه، وإنما كان خليفة عن الله؛ فلو أنه كان إنسانًا عاديًا لاستحال كل الاستحالة أن تصنع كلماته أقدار التاريخ، وكما قال البروفيسور (ستوبارت): (إنه لا يوجد مثال واحد في التاريخ الإنساني بأكمله يقارب شخصية محمد –ﷺ–)" [3].

ولا نقول إن رسول الله ﷺ نبيٌّ يوحى إليه لتحقق هذه الأخبار فقط، فهذا مما لا شك فيه، ولا يماري فيه إلا جاهل، ولكن يُدلل على ذلك أيضًا قيام النبي ﷺ وحده في مكة يدعو إلى الله تعالى، ويخبر الناس بانتصار دينه، والناس حوله ما بين مكذب ومستهزئ، حتى دان له العرب والعجم، فلا يجرؤ على هذا الوقوف إلا من يلجأ إلى ركن ركين، وحصن متين، لا يمكن هذا إلا لمن كان الله تعالى له مؤيدًا ونصيرًا.

ولقد فهم هذا الأمر سهيل بن عمرو ﷺ، وهو أحد رجال قريش وعقلائها وخطبائها ومن أصحاب الرأي فيها، وهو الذي فاوض النبي ﷺ يوم الحديبية، وكان ممن أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وكان له الموقف الجليل يوم وفاة النبي ﷺ حين ارتد العرب، وكاد أهل مكة أن يرتدوا عن دين الله تعالى، فوقف ﷺ موقفًا خلّده له التاريخ، وحفظه له المسلمون، وثبّت أهل مكة على دين الإسلام.

" لما توفي – النبي ﷺ – وارتدت العرب، جال أهل مكة جولة، وهمّوا بالردة، فاستخفى عتّاب بن أسيد

(1) التحرير والتنوير، (10/173-174).

(2) المعجزة الخالدة، (ص 290).

(3) الإسلام يتحدى، (ص 171-172).

عامل رسول الله ﷺ على مكة، فقام سهيل بن عمرو فيهم خطيبًا ونهاهم عن ذلك، فقالوا: محمد قد مات والناس قد رجعوا عن دينه، فقال لهم سهيل: إن يكن محمد قد مات فإن الله –تعالى– لم يمت. وقد علمتم أني أكثركم قتبًا [1] في برّ، وجاريةً في بحر، فأقرُّوا أميركم، وأنا ضامن إن لم يتم هذا الأمر أن أردّها عليكم جذعة، وإن كنت أعلم أن هذا الدين سيمتد من طلوع الشمس إلى غروبها. قالوا: ومن أين علمت، قال: إني رأيت رجلاً واحدًا وحيدًا لا مال له ولا عزّ، قام في ظلّ هذا البيت فقال: إني رسول الله –تعالى–، وإني سأظهر، فكنا بين ضاحك وهازل وراجم ومستجهل، فما زال أمره ينمى ويصعد حتى دِنّا له طوعًا وكرهًا، والله لو كان من عند غير الله –تعالى– لكان كالكسرة في يدي أي فتى من فتيان قريش، وإن هذا، وأشار إلى أبي سفيان، ليعلم من هذا الأمر مثل ما أعلم، ولكن قد ختم على قلبه حسد بني عبد المطلب"[2].

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

قال البغوي: "﴿ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أدخل اللام لجواب اليمين المضمرة، يعني: والله ليستخلفنهم، أي: ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها، كما استخلف الذين من قبلهم"[3].

وقال الرازي: " دلت الآية على صحة نبوة محمد ﷺ؛ لأنه أخبر عن الغيب في قوله: ﴿ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ... ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ وقد وُجد هذا المخبَرُ موافقًا للخبر ... "[4].

وقد أخبر النبي ﷺ عن هذا التمكين، فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: **(يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟)** قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: **(فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ**

---

(1) القتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير، والجمع: أقتاب [ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (714/2)].

(2) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار الهمداني، (317/2).

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (425/3).

(4) التفسير الكبير، (413/24).

تَخَافُ أَحَدًا إِلا اللَّهَ –تعالى–)، – قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ[1] الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ –، **(وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى)**، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: **(كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ)**[2].

وقد تحقق هذا الوعد في عهد الخلفاء من بعد رسول الله ﷺ، ففتح الله تعالى لهم مشارق الأرض ومغاربها، واحتازوا جميع الممالك، ودانت لهم جميع الدول، وكسروا كسرى، وقصروا قيصر، وسلبوهما كنوزهما، وأنفقت في سبيل الله تعالى، كما أخبرهم بذلك نبيهم ﷺ عن ربهم تعالى[3]، ووصلت الفتوحات الإسلامية إلى الصين شرقًا وإلى المحيط الأطلسي غربًا، وخضعت الشعوب والأمم للإسلام، وعم ضياؤه أرجاء المعمورة، وسارت الظعينة من حضرموت إلى صنعاء لا تخشى إلا الله تعالى والذئب على غنمها، وكان الناس في أمن وأمان، وكل ذلك كان في العهود اللاحقة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهذا من أعظم الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى قطعًا.

---

(1) الدعارة: الفساد والشر، ورجل داعر: خبيث مفسد، وقوله: " دُعَّارُ طَيِّئٍ "، أراد بهم قطاع الطريق. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (119/2)]

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، (197/4)، رقم الحديث (3595).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (48/2).

المطلبُ الثاني: إخبارُ القرآنِ الكريم بعجزِ الإنسِ والجنِّ عن معارضتهِ والإتيانِ بمثلهِ:

وقف النبي ﷺ أمام كفار مكة، وأعلن نبوته، وعاب آلهة قومه، وسفه أحلامهم، وضلل آباءهم، وقال لهم: إنّ آية نبوته؛ ودليلَ صدقه؛ القرآن الكريم، فهو كلام رب العالمين، ووحيه إلى رسوله ﷺ الصادق الأمين، وتحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا وهم أهل الفصاحة والبيان، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة فعجزوا.

قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣ – ٢٤].

ففي قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ إخبار بغيب الحاضر والمستقبل، حيث أخبر أنهم لم يستطيعوا الإتيان بسورة من مثل القرآن الكريم، ولن يستطيعوا في المستقبل الإتيان بسورة من مثل القرآن؛ لأن "لم" تنفي الفعل المضارع وتجزمه، والنفي هنا مستمر لم ينقطع ولا ينقطع، أما "لن" فتفيد توكيد النفي في المستقبل(1)، فالتحدي باق إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

فلما بان عجزهم وتأكد فشلهم، أخبرهم عند ذلك أنهم لو اجتمعوا كلهم، واستعانوا بالجن – حيث كانوا يعتقدون أن الجن يقدرون على الأعمال العظيمة – (2) فلن يتمكنوا من الإتيان بمثله.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

هذه الآية مفحمة للثقلين في التحدي بإعجاز القرآن؛ لأن الشرط وقع ماضيًا؛ أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله(3).

فكيف يعلق النبي ﷺ أمره وأمر دعوته كلها على القرآن بهذا التحدي الجريء المُهيّج على المعارضة؟ هل يصنع هذا دونما تأييد إلهي؟ أي عاقل يفعل هذا فضلاً عن أرجح الناس عقلاً؟

---

(1) ينظر: معاني النحو، فاضل سامرائي، (366/3–367)، (189/4).

(2) قال ابن عاشور: " لأن المُتَحدين بإعجاز القرآن كانوا يزعمون أن الجن يقدرون على الأعمال العظيمة" [ينظر: التحرير والتنوير (203/15)]

(3) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور،(203/15)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (276/2).

كيف يجزم النبي ﷺ بعجز الثقلين إلى أبد الدهر إلا أن يكون نبؤه إلهيًا؛ وقرآنه قولاً ربانيًا؟[1].

قال الرازي: "إنه عليه السلام لو لم يكن قاطعًا بصحة نبوته لما قطع في الخبر بأنهم لا يأتون بمثله؛ لأنه إذا لم يكن قاطعًا بصحة نبوته كان يجوز خلافه، وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه، فالمبطل المزور البتة لا يقطع في الكلام ولا يجزم به، فلما جزم دل على أنه عليه الصلاة والسلام كان قاطعًا في أمره"[2].

وقال القاضي عبد الجبار: " وفي هذا إخبار عن غيوب كثيرة؛ لأنه قال لكل واحد من الإنس والجن: إنك لا تأتي بمثل هذا القرآن ولا أحد يأتي بمثله في كل حال منفردين ولا مجتمعين، فما أتوا به مع حاجتهم إلى ذلك وشدة حرصهم عليه، أفمن هذا تعجب؟ أم من إقدامه على الإخبار بذلك وهو لا يعرف العرب كلها ولا يحصى قبائلها ورجالها ونساءها، والفصاحة والبلاغة مبثوثة في رجالها ونسائها وعبيدها وإمائها وعقلائها ومجانينها، وقد علم ﷺ أنهم في اللغة والبلاغة قبله، وهو منهم تعلم، وهو عاقل، فلولا أنه قد تيقن أنهم لا يأتون بذلك لما أقدم على الإخبار بذلك، سيما والذي ادّعاه أمر عظيم وخطب جسيم، وهو النبوة والصدق والعصمة، ونفاذ أمره في النفوس والأموال، ووجوب طاعته على كل أحد إلى أن تقوم الساعة، وحجته في ذلك كله هذا القرآن"[3].

وقد مر على هذا التحدي أربعة عشر قرناً ولم يتمكن أحد من الإتيان بمثل سورة من القرآن الكريم ولو بحجم سورة الكوثر، ولن يتمكن أحد من ذلك، فإخباره ﷺ أن هذا القرآن لا يُعارض بمثله أبدًا؛ وعجز الخلائق عن ذلك؛ من الأدلة البينة، والبراهين الواضحة على ربانية القرآن الكريم، ونبوة محمد ﷺ.

---

(1) ينظر: المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، (ص 294-295).

(2) التفسير الكبير، (2/351-352).

(3) تثبيت دلائل النبوة، (1/85-86).

المطلبُ الثالثُ: الإخبارُ بتكفلِ اللهِ تعالى حفظَ القرآنِ الكريمِ:

كان حفظُ الكتبِ السابقةِ متروكًا لأتباع الرسل، فقد استحفظ الله تعالى اليهود والنصارى كتبهم، واستودعهم إياها، ولكنهم خانوا الأمانة ولم يحفظوها، بل غيّروا وبدّلوا وحرّفوا عمدًا، وكان الله تعالى يبعث الرسل والأنبياء ليجددوا الدين الذي حرفه الأحبار والرهبان، فلما كان نبينا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين؛ وكانت شريعتنا آخر الشرائع؛ اقتضى ذلك أن يتكفل الله تعالى بحفظ هذا القرآن وهذه الشريعة، فلم يكل الله حفظه إلى أحد، بل تولى حفظه سبحانه وتعالى بنفسه الكريمة المقدسة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ولقد يسّر الله تعالى من يحفظ كتابه، فكان الجمع الأول للقرآن الكريم زمن أبي بكر الصديق ﷺ بمشورة عمر بن الخطاب ﷺ(1).

فعن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ، قَالَ: (أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ ﷺ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، "فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ"، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟»، قَالَ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، " فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ ﷺ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ ﷺ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما)(2).

---

(1) قال الرازي: فإن قيل: فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله فلا خوف عليه؟ والجواب: أن جمعهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه، فإنه تعالى لمّا أن حفظه قيضهم لذلك. [ينظر: التفسير الكبير، (123/19)].

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل القرآن/ باب جمع القرآن، (183/6)، رقم الحديث (4986).

ثم كان الجمع الثاني للقرآن زمن عثمان بن عفان ﷺ، بمشورة حذيفة بن اليمان ﷺ، وذلك بسبب الخلاف الذي وقع بين الناس في قراءة القرآن.

فقد حدّث أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ: (أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ ﷺ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ رضي الله عنها إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ. فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ)[1].

وبقي القرآن محفوظًا إلى زماننا هذا، في الصدور، وفي السطور، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وقد حاول أعداء الله تعالى طبع نسخ محرفة من القرآن الكريم؛ ونشرها بين المسلمين، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل، فقد قيض الله تعالى من عباده من يحفظ القرآن، ويُبين ما حاول أعداء الله تزييفه، وبقي القرآن محفوظًا بحفظ الله تعالى.

وكان من محاولات أعداء الله تعالى لتحريف القرآن: ما قام به الاحتلال الفرنسي من طباعة أعداد هائلة من المصاحف المحرفة، وتوزيعها في الجزائر أيام احتلاله لها، وقد جاءت الآيات فيه صحيحة كاملة إلا كلمة واحدة من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

فقد حُذفت من الآية كلمة ﴿ مِنكُمۡ ﴾ في نسخ المصحف الذي طبع بأمر الاحتلال الفرنسي، وذلك تآمرًا من الكفار على الإسلام والمسلمين؛ بغية حملهم على طاعتهم، لقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾، وترك حربهم باسم الدين وتنفيذًا لأمر الله تعالى، وسرعان ما افتُضح التآمر، واكتُشف التزييف والتلاعب، وجُمعت المصاحف وأحرقت، وأصبحت أثرًا بعد عين، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا[2].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل القرآن/ باب جمع القرآن، (183/6)، رقم الحديث (4987).

(2) ينظر: المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، (ص 317-318).

وقد شهد المحققون من علماء النصارى بأن القرآن الكريم محفوظ من التحريف والتبديل، فقال العالم النصراني (لوبلوا): " إن القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير يذكر"، وكان (و. موير) قد أعلن ذلك قبله إذ قال: " إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد، حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حُفِظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة ..." [(1)].

ويلزم من حفظ الله تعالى للقرآن أن يحفظ حملة هذا القرآن، ولذلك في الآية دليل وعَلَم من أعلام النبوة على أن الله تعالى سيحفظ هذه الأمة من مؤامرات أعداء الدين.

نزلت هذه الآية في مكة المكرمة والنبي ﷺ يعاني أذى المشركين، " فمن يكفل له في حياته وبعد موته سلامة دعوته وحمايتها من لظى ألسنة الحقد المضطرم، ولهيب العداء المتصاعد !؟ "[(2)].

والناظر لحال الأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ يجدها قد تعاقب عليها أحداث كبيرة، ومصائب مبيرة[(3)]، لو نزلت بأي أمة من الأمم لاندثر تاريخها، ولطُمست معالم ثقافتها، ولبادت حضارتها كما بادت حضارات كثيرة في تاريخ البشرية، إلا أننا نجد أن كتاب الله تعالى محفوظ، ونجد الأمة بعد كل كبوة تستعيد فتوتها، وتجدد نشاطها، لتقوم بدورها الحضاري مرة أخرى، وما ذاك إلا تحقيقاً لوعد الله تعالى الذي تكفل بحفظ كتابه[(4)].

فمهما حاول أعداء الله تعالى المكر بهذه الأمة؛ فمكرهم إلى بوار، ومهما حاولوا استئصالها والكيد لها؛ فكيدهم إلى خسار، ولن يحققوا مرادهم، فالله تعالى تكفل بحفظ هذه الأمة، وحفظ كتابها.

وهذا من الدلائل الظاهرة، والآيات الباهرة على صدق الوحي والنبوة.

---

(1) مدخل إلى القرآن الكريم – عرض تاريخي وتحليل مقارن–، محمد عبد الله دراز، (ص 40).

(2) المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، (ص 316).

(3) مبيرة: مُهلكة. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (86/4)]

(4) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص 280).

المطلبُ الرابعُ: الإخبارُ عن كشوفٍ علميةٍ ستظهرُ في المستقبل:

ومن الأدلة على صدق الوحي والنبوة؛ إخبار القرآن الكريم عن كشوف علمية ستظهر على أيدي الأمم اللاحقة، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ [فصلت: ٥٣].

أي سنطلع الناس على دلائل وحدانيتنا وقدرتنا في أقطار السموات والأرض، من شمس وقمر ونجوم، وليل ونهار، ورياح وأمطار، وزرع وثمار، ورعد وبرق وصواعق، وجبال وبحار.

سنطلعهم على مظاهر قدرتنا في هذه الأشياء الخارجية التي يرونها بأعينهم، كما سنطلعهم على آثار قدرتنا في أنفسهم عن طريق ما أودعنا فيهم من حواس وقوى، وعقل، وروح، وعن طريق ما يصيبهم من خير وشر، ونعمة ونقمة.

صدق الله تعالى وعده، ففي كل يوم بل في كل ساعة، يطَّلع الناس على أسرار جديدة في هذا الكون الهائل، وفي أنفسهم، وكلها تدل على وحدانيته، تعالى وقدرته، وعلى صحة دين الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ[1].

يقول موريس بوكاي: " بالنظر إلى مستوى المعرفة في أيام محمد -ﷺ- فإنه لا يمكن تصور الحقائق العلمية التي وردت في القرآن على أنها من تأليف بشر، لذا فمن الإنصاف تمامًا ألا ينظر فقط إلى القرآن على أنه التنزيل الإلهي فحسب، بل يجب أن تعطى له منزلة خاصة جدًا للأصالة التي تقدمها المعطيات العلمية التي وردت فيه، والتي إذا ما درست اليوم تبدو وكأنها تتحدى تفسير البشر"[2].

قبل عصر النهضة الحديثة، لم تكن العلوم متقدمة ومتطورة كما هي الآن، وكثيرٌ من النظريات التي كان يعتقدها الناس حقائق علمية أصبحت باطلة، وهذا يدل صراحة على أنه لا يوجد كلام إنساني تدوم صحته كليًا؛ لأن الإنسان يتكلم عما هو معروف من المعتقدات والعلوم في عصره، ولذلك لا نجد كتابًا مضى عليه حين من الدهر إلا وهو مملوء بالأخطاء والأغلاط[3].

ولكن هذه المسألة مختلِفة مع القرآن الكريم، فمع أنه أُنزل قبل عصر النهضة الحديثة، وتكلّم عن حقائق علمية كثيرة، ولكنّ أحدًا من الناس لم يستطع إبطال شيء مما جاء به، وهذا يثبت أن مصدر القرآن

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (366/12).

(2) نماذج حية للمهتدين إلى الحق، الحسيني معدى، (17/2)، نقلاً عن دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، (ص 222).

(3) ينظر: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، (ص 186).

ليس بشريًا، وإنما من عند خالق الكون، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، الذي يعلم مثاقيل الجبال، وعدد حبات الأمطار، وعدد أوراق الأشجار، ويلزم من هذا إثبات نبوة محمدٍ ﷺ، وأنه رسول يوحى إليه من الله تعالى.

والحقائق العلمية الواردة في القرآن الكريم؛ وأثبتها العلم الحديث كثيرة، واستقصاؤها يحتاج إلى رسالة خاصة، ولذلك سيذكر الباحث في هذا المطلب نموذجًا واحدًا فقط للحقائق العلمية الواردة في القرآن الكريم، وأثبتها العلم الحديث، وهو طور النطفة من أطوار خلق الجنين في بطن أمه.

أطوار خلق الجنين في بطن أمه:

مر خلق الإنسان بمراحل متعددة، قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٣ – ١٤]، قال ابن عاشور: " والأطوار: جمع طَوْر بفتح فسكون، والطور: التارة، وهي المرة من الأفعال أو من الزمان، فأريد من الأطوار هنا ما يحصل في المرات والأزمان من أحوال مختلفة؛ لأنه لا يقصد من تعدد المرات والأزمان إلا تعدد ما يحصل فيها، فهو تعدد بالنوع لا بالتكرار"[1].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ في موضع الحال كأنه قال: ما لكم لا تؤمنون بالله، والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان به، وقد خلقكم حالاً بعد حال، خلقكم أولاً ترابًا، ثم خلقكم نُطفًا، ثم خلقكم علقًا، ثم خلقكم مضغًا، ثم خلقكم عظامًا ولحمًا، ثم أنشأكم خلقًا آخر[2].

وقد جاء في القرآن الكريم، تفصيل دقيق لمراحل تكوين الجنين في بطن أمه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤].

---

(1) التحرير والتنوير، (201/29).

(2) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (653/30).

فالآيات السابقة تُبين مراحل خلق الإنسان وهي كالتالي:

طور الطين، طور النطفة، طور العلقة، طور المضغة، طور العظام، طور كسوة العظام لحمًا، طور النشأة خلقًا آخر.

إن هذه الحقائق لم تُعرف إلا في العصر الحديث، في نهاية القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين.

يقول الدكتور محمد علي البار: "إن الإنسانية بعلومها التجريبية لم تعرف أن الجنين (الإنساني أو الحيواني) يمر بأطوار مختلفة متباينة، وأن جسمه يُبنى من البسيط إلى المركب المعقد إلا في القرن التاسع عشر، ولم يتأكد ذلك إلا في أوائل القرن العشرين"[1].

وعندما درس علماء الغرب مراحل خلق الجنين في بطن أمه التي وردت في القرآن، توقفوا مبهورين أمام هذه الحقائق التي لا يمكن أن يعرفها أحد الناس زمن نزول القرآن؛ ثم جاء العلم الحديث موافقًا لها، يقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي: " إن وصف مراحل تطور الجنين كما هو في القرآن، يتجاوب مع كل ما نعرفه اليوم عن ذلك، وهو لا يحتوي أي عبارة ينتقدها العلم الحديث"[2].

فكيف لرجل يعيش في البادية، في زمان لا يعرف الناس فيه شيئًا عن هذه الأطوار، ولا يوجد عندهم من الأدوات والتقنيات ما يمكنه من معرفتها، ثم يخبر بها بهذا التفصيل الدقيق، ويثبت العلم الحديث صدق هذه الأخبار!!

إن هذا لا يكون إلا ممن لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وهذا يُثبت بجلاء ربانية القرآن الكريم، ونبوة محمد ﷺ.

وفي هذا المطلب، سيقوم الباحث بدراسة الآيات القرآنية التي تحدثت عن أطوار النطفة، وبيان صدق الوحي والنبوة، من خلال موافقة الكشوف العلمية الحديثة لما جاء في هذه الآيات.

---

(1) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، (ص 188).

(2) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، (ص 243).

الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة من خلال دراسة أطوار النطفة:

النطفة في اللغة: هي الماء الصافي قلَّ أو كثر، جاء في الحديث: قول النبي ﷺ: **(فَهَلْ مِنْ وَضُوءٍ؟)** قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ بِإِدَاوَةٍ لَهُ فِيهَا نُطْفَةٌ – يعني ماءً قليلاً–، فَأَفْرَغَهَا فِي قَدَحٍ، فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا ...[1].

وسُمِّي ماءُ الرجل نطفةً لِقلته، والجمع: نُطف، ونِطاف بالكسر[2].

والنطفة أنواع ثلاثة:

1– النطفة المذكرة: وهي الحيوانات المنوية الموجودة في المني، والتي تفرزها الخصية.

2– النطفة المؤنثة: وهي البويضة التي يفرزها المبيض مرة في الشهر.

3– النطفة الأمشاج: وهي النطفة المختلطة من ماء الرجل (الحيوان المنوي) الذي يُلقح ماء المرأة (البويضة)، أي (البويضة الملقحة) [3].

وقد ورد ذكر النطفة في اثنتي عشرة آية من القرآن الكريم[4]، وكل آية منها دليل على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا.

وسيذكر الباحث بعضًا من الآيات، ويبين دلالتها على صدق الوحي والنبوة:

أ– المسافة البعيدة بين طور الطين وطور النطفة:

جاء التعبير القرآني في الآيتين الكريمتين في سورة الحج وسورة المؤمنون، يُبين طور الطين وطور النطفة، بـــ ﴿ ثُمَّ ﴾، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾، وهي حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، ومعنى التراخي المهلة[5]؛ وذلك لأن النقلة

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب اللقطة/ باب استحباب خلط الأزواد إذا قلّت ...، (3/ 1354)، رقم الحديث (1729).

(2) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص 811)، مختار الصحاح، الرازي، (ص 313)، لسان العرب، ابن منظور، (335/9).

(3) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، (ص 110).

(4) ينظر: [سورة النحل: 4]، [سورة الكهف: 37]، [سورة الحج: 5]، [سورة المؤمنون: 13–14]، [سورة فاطر: 11]، [سورة يس: 77]، [سورة غافر: 67]، [سورة النجم: 46]، [سورة القيامة: 37]، [سورة الإنسان: 2]، [سورة عبس: 19].

(5) ينظر: معاني النحو، فاضل سامرائي، (237/3).

بين طور الطين وخلق آدم، ثم طور النطفة وخلق الجنين نقلة بعيدة في الزمان، ونقلة بعيدة في الأذهان.

وكذلك جاء التعبير في النقلة بين النطفة والعلقة بـــ ﴿ ثُمَّ ﴾؛ لأن المسافة بين النطفة والعلقة مسافة كبيرة في ميزان الخلق، وإن كانت غير بعيدة في حساب الزمان، فالبون شاسع بين النطفة سواء كانت نطفة الذكر (الحيوان المنوي) أو نطفة الأنثى (البويضة)، أم منهما معا، وهي النطفة الأمشاج، والتي تتحرك في قناة الرحم لتصل إلى الرحم (القرار المكين) فتستقر فيه، ولكن النقلة فيما بين العلقة والمضغة قريبة، وتدلف العلقة إلى المضغة دون أن يكون هناك فارق زمني ولا فارق خلقي كبير، ولذا جاء التعبير عنها بالفاء دلالة على الاتصال بينهما، قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَـةً ﴾، وكذلك النقلة من المضغة إلى العظام نقلة سريعة دون فاصل زمني ولا خلقي، ولذا جاء التعبير القرآني المعجز ﴿ فَخَلَقْنَـا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا ﴾، واستمر التعبير القرآني المذهل والمعجز لينقلنا من العظام إلى اللحم يكسوها، قال تعالى: ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ﴾ دون فارق زمني ولا خلقي، وإنما هي مراحل متتابعة متلاحقة، ثم يبطئ النبض ويأتي فارق زمني وخَلْقي، ولذا يعبر عنه مرة أخرى بـــ ﴿ ثُمَّ ﴾، قال تعالى: ﴿ فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًـا ءَاخَرَ ﴾ [1].

فمن أين علم النبي ﷺ بهذه الحقائق؟ إن هذا لدليل واضح على صدق الوحي والنبوة.

ب- ليس من كل الماء يكون الولد:

ميز القرآن الكريم بين النطفة والمني، فجعل النطفة جزءًا من المني، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ [القيامة: ٣٧]، وقد ورد في السنة النبوية ما يؤيد هذا، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁، قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَنِ الْعَزْلِ، فَقَالَ: **(مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ)**[2].

"والمني: يُطلق على الإفرازات التناسلية للرجل، والتي تفرزها الخصية والبروستاتا والحويصلة المنوية، وهو يتكون من شقين:

الأول: هو الحيوانات المنوية التي تتكون من القنوات المنوية في الخصية، وهي ذاتها المسماة بالنطفة.

---

(1) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" آيات الله في الإنسان"، محمد راتب النابلسي، (86/1)، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، (ص 244-245).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب النكاح/ باب حكم العزل، (1064/2)، رقم الحديث (1438).

والثاني: هو السائل المنوي الذي يحمل هذه الحيوانات ويغذيها والتي تسبح فيه لتصل إلى الرحم"[1].

وما دامت النطفة التي يُخلق منها الولد جزء من المني، فليس من كل ماء الرجل (المني) يكون الولد، بل من بعضه، وهذا الذي بينته آيات سورة السجدة، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ** ﴾ [السجدة: ٨]، والسلالة كما يقول المفسرون هي الخلاصة، ومعنى الآية: أي جعل نسل بني آدم من خلاصة من الماء المهين وهو المني.

ونحن نعلم الآن أنّ جزءًا يسيرًا جدًا من المني هو الذي يخلق الله منه الولد، فالدفقة الواحدة من المني تحمل مائتي مليون حيوان منوي، والذي يلقح البويضة هو حيوان منوي واحد فقط[2].

وقد أثبت العلم الحديث هذه الحقيقة، فيقول الدكتور ليزلي آري: " إن التجارب على الثدييات تدل على أن واحدًا في المائة من دفقة المني تكفي للتلقيح "[3].

فكيف للنبي ﷺ معرفة هذه الحقائق؟ إن هذا لدليل بيّن على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا.

ج- تلقيح الحيوان المنوي (نطفة الرجل) للبويضة (نطفة المرأة):

أخبر القرآن الكريم أنّ الجنين يُخلق من اختلاط نطفة الرجل ونطفة المرأة، فقال تعالى: ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا** ﴾ [الإنسان: ٢]، وقد قال بهذا جماهير المفسرين من القدامى والمُحدَثين.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إنا خلقنا ذرّية آدم من نطفة، يعني: من ماء الرجل وماء المرأة، ... وقوله: ﴿ **أَمْشَاجٍ** ﴾ يعني: أخلاط، واحدها: مشج ومشيج، مثل خدن وخدين"[4].

وقال ابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد والربيع بن أنس، في قوله تعالى ﴿ **أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ** ﴾ : يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد[5].

---

(1) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، (ص 109) بتصرف.

(2) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" آيات الله في الإنسان"، محمد راتب النابلسي، (1/88-89).

(3) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، (ص 111).

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (24/88).

(5) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي (5/189)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (8/285)، فتح القدير، الشوكاني، (5/415)، تفسير المراغي، المراغي، (29/160).

وقال سيد قطب: " والأمشاج : الأخلاط، وربما كانت هذه إشارة إلى تكون النطفة من خلية الذكر وبويضة الأنثى بعد التلقيح، وربما كانت هذه الأخلاط تعني الوراثات الكامنة في النطفة، والتي يمثلها ما يسمونه علميًا (الجينات) وهي وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميزة لجنس الإنسان أولاً، ولصفات الجنين العائلية أخيرًا"[1].

وهذا لم يتم اكتشافه إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

" ففي عام 1875م، تمكن (هيرتويج) من ملاحظة كيف يلقح الحيوان المنوي البويضة وأثبت بذلك أن كلاً من الحيوان المنوي والبويضة يسهمان في تكوين البويضة الملقحة (الزيجوت) وكان بذلك أول إنسان يشاهد عملية التلقيح هذه ويصفها.

وفي عام 1883م، تمكن (فان بندن) من إثبات أن كلاً من البويضة والحيوان المنوي يساهمان بالتساوي في تكوين البويضة الملقحة.

وقد أثبت (بوفري) عام 1888م، وعام 1909م، بأن هذه الكروموسومات تنقسم وتحمل خصائص وراثية مختلفة، واستطاع (مورجان) عام 1912م، أن يحدد دور الجينات في الوراثة وأن هذه الجينات موجودة في مناطق محددة من الكروموسومات.

وهكذا يبدو بوضوح أن الإنسانية لم تعرف بواسطة علومها التجريبية أن الجنين الإنساني (أو الحيواني) يتكون بامتشاج واختلاط نطفة الذكر ونطفة الأنثى إلا في القرن التاسع عشر، ولم يتأكد لها ذلك إلا في القرن العشرين"[2].

فكيف للنبي ﷺ معرفة هذه الحقائق؟ إن هذا لا يمكن إلا من خلال الوحي من الله تعالى، خالق الإنسان ومكونه في رحم أمه، وبهذا التطابق بين الحقيقة العلمية والآيات القرآنية، يثبت لنا بجلاء أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا.

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/3779-3780).

(2) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار،(ص 188)، وينظر أيضًا: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، (ص 101)، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله المصلح وآخرون، (ص 51).

الفصلُ الثاني

نماذجُ من غيبِ الحاضرِ

(الأخبارُ الغيبيةُ أثناءَ البَعثةِ ودلالتُها على صدق الوحي والنبوة)

وفيه مبحثان:

المبحثُ الأولُ:

أخبارٌ غيبيةٌ عامةٌ

المبحثُ الثاني:

أخبارٌ غيبيةٌ خاصةٌ

المبحث الأول
أخبارٌ غيبيةٌ عامةٌ

وفيه ثمانية مطالب:

المطلبُ الأولُ: : إخبارُ القرآنِ الكريمِ بانتصاراتِ المسلمين وفتوحاتهم

المطلبُ الثاني: إخبارُ القرآنِ الكريمِ بانتصار الروم على الفرس

المطلبُ الثالثُ: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن دخول المسلمين مكة في عمرة القضاء

المطلبُ الرابعُ: إخبارُ القرآنِ الكريم عن إسلام بعض رؤساء قريش

المطلبُ الخامسُ: إخبارُ القرآنِ الكريم عمَّا كان يُخفيه بعضُ المؤمنين

المطلبُ السادسُ: جزمُ القرآنِ الكريم بعصمة النبي ﷺ

المطلبُ السابعُ: كشفُ مؤامرات المنافقين وإبراز دخيلتهم الفاسدة

المطلبُ الثامنُ: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن كلام اليهود عند تحويل القبلة

المبحثُ الأولُ

الأخبار الغيبية أثناء البعثة ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

(أخبارٌ غيبيةٌ عامة)

المطلبُ الأولُ: إخبارُ القرآنِ الكريمِ بانتصاراتِ المسلمين وفتوحاتهم:

بشر القرآن الكريم بالكثير من الانتصارات والفتوحات التي ستكون للمسلمين زمن بعثة النبي ﷺ، مثل انتصار المسلمين في غزوة بدر، وفتح خيبر، ودخول مكة المكرمة فاتحين، وقد تحقق وعد الله تعالى بالنصر والفتح، وهذا من أعظم الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله قطعًا.

أولاً: إخبار القرآن الكريم في مكة بانتصار المسلمين في غزوة بدر:

تعرض النبي ﷺ وأصحابه في مكة لأذى المشركين، وكان النبي ﷺ مستضعفًا، وأكثر أتباعه من الضعفاء والفقراء، ولا يملك ﷺ أن يدفع عنهم عذاب الكفار، فنزلت آيات سورة القمر في مكة المكرمة[1] كالبلسم الشافي على قلب رسول الله ﷺ، تُبين مصائر الأقوام السابقين، الذين تكبروا وتجبروا وطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، وحاربوا دعوة الأنبياء وآذوهم.

وسورة القمر " مقسمة إلى حلقات متتابعة، كل حلقة منها مشهد من مشاهد التعذيب للمكذبين، يأخذ السياق في ختامها بالحس البشري فيضغطه ويهزه ويقول له: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾، ثم يرسله بعد الضغط والهز ويقول له :﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ "[2].

وبينت السورة أن العاقبة للمتقين، وأن نصر الله آتيهم لا محالة، وأن مصير الكفار المعاندين هو الهزيمة والخزي والعار، فكما أهلك الله تعالى المكذبين السابقين، سيهلك المكذبين المعاصرين، قال

---

(1) مما يدل على أن هذه الآيات نزلت في مكة المكرمة؛ ما ثبت عن أُمِّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: (لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ، ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾). [صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾، (143/6)، رقم الحديث (4876)].

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، (3424/6).

تعالى: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۞ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۞ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۞ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٣ – ٤٦].

قال ابن كثير: "﴿ أَكُفَّارُكُمْ ﴾ أي: أيها المشركون من كفار قريش ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ ﴾ يعني: من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل، وكفرهم بالكتب: أأنتم خير أم أولئك؟ ﴿ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ أي: أم معكم من الله براءة ألا ينالكم عذاب ولا نكال؟ "(1).

ثم تغير أسلوب الكلام من الخطاب إلى الغيبة ليُشعر بأن هذا هو ظنهم واغترارهم، فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾، قال ابن عاشور: " والكلام بشارة للنبي ﷺ، وتعريض بالنذارة للمشركين؛ مبني على أنهم تُحدثهم نفوسهم بذلك، وأنهم لا يحسبون حالهم وحال الأمم التي سيقت إليهم قصصها متساوية، أي نحن منتصرون على محمد ﷺ؛ لأنه ليس رسول الله فلا يؤيده الله"(2).

فجاء الرد الحاسم القوي، بأن هزيمة الكفار متحققة لا محالة، قال تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾.

قال البغوي: " أخبر الله أنهم يولون أدبارهم منهزمين، فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر"(3).

جاء هذا الوعد والنبي ﷺ في حال الضعف، والمؤمنون يُسامون سوء العذاب، فصدع النبي ﷺ بهذا الوعد مبشرًا أصحابه، ومحذرًا الكفار بأن هزيمتهم متحققة، ولا يمكن أن يصدر مثل هذا الكلام إلا ممن كان نبيًا يوحى إليه من الله تعالى.

قال القاضي عبد الجبار: " فتأمل الأمر في ذلك تجده عظيمًا؛ لأنه توعدهم بالحرب قبل الحرب وقبل الجماعة وفي حال الضعف، وهو معهم وفي أسرهم وفي قبضتهم، فبعثهم على قتله واستئصاله، وهيّجهم على بذل المجهود واستفراغ الوسع في مكارهه، وهذا لا يقع من عاقل إلا أن يكون واثقًا بالله، ساكنًا إلى تنزيله ووحيه"(4).

---

(1) تفسير القرآن العظيم، (481/7).

(2) التحرير والتنوير، (212/27).

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (327/4).

(4) تثبيت دلائل النبوة، (83/1).

وكان المؤمنون ينتظرون يوم النصر والفرج إلى أن جاء ذلك يوم بدر، فعن عكرمة، قال: " لما نزلت ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ قال عمر ﷺ: أي جمع يُهزَم؟ أي جمع يُغلب؟ قال عمر ﷺ: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ فعرفت تأويلها يومئذ"[1].

ويوم بدر وقف النبي ﷺ يبتهل إلى الله تعالى، ويسأله تحقيق الوعد، فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لاَ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ**)، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[2].

"وعند نزول الآية الكريمة؛ ما كان أحد يتوقع أن تكون للمسلمين شوكة وجيش يواجهون به جموع المشركين، فكان أن تحققت النبوءة بعد سنوات عديدة في السنة الثانية من الهجرة النبوية"[3].

" فهُزِمت جموعُهم –أي الكفار–، وكانت العقبى له –ﷺ– كما أخبر وفصّل، وقد كان في ظاهر الرأي والحزم وموجب التدبير أن تكون العقبى لهم لا له، وهم الغالبون لا هو؛ لأنهم واليهود والنصارى وتلك القبائل يد واحدة عليه وفي العداوة له، والكثرة والثروة والبأس والنجدة والكراع والسلاح معهم لا معه، فلن يغلبهم إلا أن يكون من قبل الله؛ ورسولاً لله كما أخبر"[4].

فكيف لرجلٍ مستضعف، أتباعه من الضعفاء، أن يجزم بانتصاره على مُعذِّبيه؟ لا يقول هذا إلا من أيده الله تعالى، وقد تحقق وَعْدُ الله تعالى، وكان النصر للمؤمنين يوم بدر، يوم الفرقان، وهذا يُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن كلام الله تعالى، وأن محمدًا ﷺ رسول الله، وهذا هو دليل صدق الوحي والنبوة.

ثانيًا: إخبار القرآن الكريم بفتح خيبر:

ومن أعلام نبوته ﷺ ما أخبر به صحابتَه ﷺ أنهم يفتحون خيبرَ، وأن غنيمتها ستكون لمن خرَج معه في غزوة الحديبية فقط، وقد وقَع الأمر كما حدَّث به رسول الله ﷺ.

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(7/481-482).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله: ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾، (6/143)، رقم الحديث (4875).

(3) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، (ص 279).

(4) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، (2/313).

لما رجع الصحابة ﷺ من الحديبية والحزنُ يملأ قلوبَهم، والكآبةُ تغشاهم، وذلك بسبب منعهم من دخول مكة المكرمة، نزلت سورة الفتح تبشرهم بالنصر والغنيمة، فقال النبي ﷺ: **(لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا)**(1)، يعني قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ [الفتح: ١].

(فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: (**نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ**)، فَقُسِمَتْ خَيْبَرُ عَلَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ ...)(2).

وجاء في سورة الفتح قوله تعالى: ﴿ **سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [الفتح: ١٥].

قال البغوي: " قوله تعالى: ﴿ **سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ** ﴾ يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية، ﴿ **إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ** ﴾، سرتم وذهبتم أيها المؤمنون، ﴿ **إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا** ﴾، يعني غنائم خيبر، ﴿ **ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ** ﴾، إلى خيبر لنشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضًا عن غنائم أهل مكة، إذ انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئًا، قال الله تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ** ﴾، أي: يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة، ﴿ **قُل لَّن تَتَّبِعُونَا** ﴾، إلى خيبر، ﴿ **كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ** ﴾، أي من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب"(3).

فكيف للنبي ﷺ معرفة هذا الغيب ؟

إن إخباره ﷺ بذلك الفتح قبل أن يتوجَّه إلى خيبر، وإخباره أيضًا بما سيقوله المخلفون، ووقوع الأمر كما حدَّث النبي ﷺ تمامًا، لدليل واضح على نبوة محمد ﷺ، وأنه يوحى إليه من عالم الغيب والشهادة.

وقد أخبر النبي ﷺ بأن الذي سيفتح الله عز وجل خيبر على يديه؛ هو علي بن أبي طالب ﷺ.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير/ باب صلح الحديبية في الحديبية، (1413/3)، رقم الحديث (1786).

(2) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب قسم الفيء/ باب والأصل من كتاب الله عز وجل، (143/2)، رقم الحديث (2593)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(3) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (226/4)، بتصرف.

فَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِب ﷺ، تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ رَمِدًا، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَحِقَ بِهِ، فَلَمَّا بِتْنَا اللَّيْلَةَ الَّتِي فُتِحَتْ قَالَ ﷺ: (**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يُفْتَحُ عَلَيْهِ)** [1]، (فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ[2] لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: **(أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ)**. فَقَالُوا: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ)**. فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: **(انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ[3])**[4].

فلما قدم المسلمون خيبر خرج ملكهم "مَرْحب"، يتحدى المسلمين ويقول:

(قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ   شَاكِي السِّلاحِ[5] بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ   كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ[6].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي/ باب غزوة خيبر، (134/5)، رقم الحديث (4209)، صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ/ باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، (1872/4)، رقم الحديث (2407).

(2) يدوكون: أي يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه. يقال: وقع الناس في دَوكةٍ ودُوكة: أي في خوض واختلاط. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (140/2)].

(3) حُمْرُ النَّعَم: بسكون الميم من حمْر، وبفتح النون والعين المهملة، وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل: المرادُ خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل: تقتنيها وتملكها، وكانت مما تتفاخر العرب بها. [فتح الباري، ابن حجر، (478/7)].

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ/ باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، (18/5)، رقم الحديث (3701)، صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ/ باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، (1872/4)، رقم الحديث (2406).

(5) شاكي السلاح: أي جامع لها، يقال: شاك وشائك، والشكة: السلاح التام، وقيل: أصله شائك السلاح، ومعنى شائك: ذو شوكة، فهو من المقلوب. [ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (140/1)].

(6) السندره: مكيال واسع، وقوله: "أوفيهم بالصاع كيل السندره" أي: أقتلكم قتلاً واسعًا ذريعًا، وقيل: يُحتمل أن يكون اتُخذ من السندرة، وهي شجرة يُعمل منها النبل والقسى. [ينظر:النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (408/2)].

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ)[1].

وتحقق الفتح كما وعد الله تعالى في القرآن الكريم، وقُسِّمت غنائم خيبر على المسلمين الذين شاركوا في غزوة الحديبية، وكان من سَبْيِ خيبر، أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.

فعن أنس ﷺ، قال: " ... وَجُمِعَ السَّبْيُ، فَجَاءَهُ دِحْيَةُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ. فَقَالَ: **(اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً)**، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ سَيِّدِ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ؟ مَا تَصْلُحُ إِلا لَكَ، قَالَ: **(ادْعُوهُ بِهَا)**، قَالَ: فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: **(خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا)**[2]، قَالَ: وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا ... "[3].

وبهذا يثبت لكل ذي لُبٍّ، وكل صاحبِ قلبٍ، أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا.

ثالثًا: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن عودة الرسول ﷺ إلى مكة فاتحًا:

مكث النبي ﷺ يدعو قومه في مكة ثلاثة عشر سنة، مستخدمًا كل الوسائل المتاحة لدعوتهم، ولكن مكة أجدبت، وأصبح من الصعب بمكان أن يُبلِّغ النبيُّ ﷺ دعوة ربه، بالإضافة إلى التضييق الشديد عليه وعلى أصحابه، فأمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة، لتكون مركزًا جديدًا للدعوة، ونواة لدولة الإسلام، وخرج النبي ﷺ من مكة المكرمة مهاجرًا إلى المدينة المنورة، والحزن يملأ قلبه ﷺ لفراق مكة المكرمة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ، قَالَ: **(أَمَا وَالله، لأَخْرُجُ مِنْكِ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ بِلادِ الله إِلَيَّ وَأَكْرَمُهُ عَلَى الله، وَلَوْلا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مَا خَرَجْتُ ...)** [4].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير/ باب غزوة ذي قرد وغيرها، (1433/3)، رقم الحديث (1807).

(2) قال النووي: " قال المازري وغيره: يُحتمل ما جرى مع دحية وجهين، أحدهما: أن يكون رد الجارية برضاه وأذن له في غيرها، والثاني: أنه إنما أذن له في جارية له من حشو السبي لا أفضلهن، فلما رأى النبي ﷺ أنه أخذ أَنْفَسَهُن وأَجْوَدَهُن نسبًا وشرفًا في قومها وجمالاً؛ استرجعها لأنه لم يأذن فيها، ورأى في إبقائها لدحية مفسدة لتميزه بمثلها على باقي الجيش، ولما فيه من انتهاكها مع مرتبتها وكونها بنت سيدهم، ولما يخاف من استعلائها على دحية بسبب مرتبتها، وربما ترتب على ذلك شقاق أو غيره، فكان أَخْذُه ﷺ إياها لنفسه قاطعًا لكل هذه المفاسد المتخوفة، ومع هذا فعوَّضَ دحية عنها" [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (220/9)].

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب النكاح/ باب فضيلة إعتاقه أمته، ثم يتزوجها، (1043/2)، رقم الحديث (1365).

(4) مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، (69/5)، رقم الحديث (2662)، قال حسين سليم أسد: رجاله رجال الصحيح.

وفي رواية، قال ﷺ: (**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**)[1].

فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ... ﴾ [القصص: ٨٥]، وذلك لتبشيره ﷺ بأنه سيعود إلى مكة فاتحًا.

وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾، فقال: "إلى مكة"[2].

وهو ما رجحه الطبري في تفسيره، فقال: " والصواب من القول في ذلك عندي: قول من قال: لرادّك إلى عادتك من الموت، أو إلى عادتك حيث وُلدت، وذلك أن المعاد في هذا الموضع: المفعل من العادة، ليس من العود، إلا أن يوجه موجه تأويل قوله: ﴿ لَرَآدُّكَ ﴾ لمُصَيِّرُك، فيتوجه حينئذ قوله: ﴿ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ إلى معنى العَوْد، ويكون تأويله: إن الذي فرض عليك القرآن لمُصَيِّرُك إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك"[3].

وقال القرطبي: " قال مقاتل: خرج النبي ﷺ من الغار ليلاً مهاجرًا إلى المدينة في غير طريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق ونزل الجحفة[4] عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها، فقال له جبريل إن الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ... ﴾ أي إلى مكة ظاهرًا عليها"[5].

وقال الرازي: "وهذا أقرب؛ لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه، وفارقه وحصل العود، وذلك لا يليق إلا بمكة، وإن كان سائر الوجوه محتملاً لكن ذلك أقرب"[6].

---

(1) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب/باب في فضل مكة،(723/5)، رقم الحديث (3926)، قال الألباني: صحيح.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾، (113/6)، رقم الحديث (4773).

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (641/19).

(4) الجُحْفَةُ: بالضم ثم السكون، والفاء: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام، وسُميت الجحفة؛ لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام. [ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (111/2)].

(5) الجامع لأحكام القرآن، (321/13).

(6) التفسير الكبير، (19/25-20).

وقد تحقق وعد الله تعالى، ورجع النبي ﷺ إلى مكة فاتحًا، بعد أن خرج منها ضعيفًا لا شوكة له، وهذا يدل على أن القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا؛ لأنه أخبر عن أمر غيبي لا يمكن لأحد أن يعلمه أو يجزم به، إلا من خلال الوحي، خاصة إذا كان الواقع يخالف هذا الوعد.

قال الرازي: "قال أهل التحقيق: وهذا أحد ما يدل على نبوته؛ لأنه أخبر عن الغيب ووقع كما أخبر"[1].

---

(1) التفسير الكبير، (20/25).

المطلبُ الثاني: إخبارُ القرآنِ الكريمِ بانتصار الروم على الفرس:

كان النظام العالمي في العهد القديم يقوم بصفة عامة على توازن قوتين عظيمتين هما: الإمبراطورية الرومانية التي كانت تضم كل حوض البحر الأبيض المتوسط من ناحية، والإمبراطورية الفارسية التي كانت تمتد من نهر الفرات حتى حدود الهند من ناحية أخرى، وكانت العلاقة بين الإمبراطوريتين عدائية بصفة عامة، وذلك بسبب المناطق المتنازع عليها على الحدود(1).

وفي سنة 611 م بدأ هجوم الفرس على الشرق الأدنى – بلاد الشام– وهزموا الجيش البيزنطي بالقرب من مدينة أنطاكية(2) سنة 613م، ونتيجة لهذا الانتصار اندفع الفرس في كل اتجاه، وبعد الاستيلاء على أنطاكية؛ تقدم الفرس جنوبًا حيث استولوا على دمشق، وشمالاً حيث استولوا على طَرَسوس(3)، وبعد دمشق دخل الفرس إلى فلسطين حيث استولوا على بيت المقدس سنة 614م.

وزادت الكوارث التي أصابت بيزنطة؛ حين بدأ الفرس سنة 619م غزو مصر، أغنى ولايات الإمبراطورية، ومصدر إمداد العاصمة بالقمح(4).

كانت هزيمة نكراء أذلت الروم، وجعلتهم يفقدون الكثير من أراضيهم، وأصبح الفرس يسيطرون على كل بلاد الشام.

وسعى هرقل إمبراطور الروم طلبًا للصلح مع فارس ولكن دون جدوى، إذ كان الرد الوحيد الذي تلقاه الإمبراطور من الملك الفارسي كسرى الثاني أبارويز هو: (لن أدعك حتى تتبذ وتتبرأ من هذا المصلوب الذي تقول إنه الله، وحتى تخر ساجدًا أمام الشمس) (5).

هذه الأحداث الكبيرة حصلت عندما كان النبي ﷺ يدعو قومه قريش في مكة المكرمة إلى دين الله تعالى، وكان النبي ﷺ مستضعفًا وأتباعه قليلون، ووصلت أخبار هذه الهزيمة إلى أسماع الناس في

---

(1) ينظر: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، وسام فرج، (ص 147).

(2) أَنْطاكيَة: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، مدينة تاريخية، بينها وبين حلب يوم وليلة، بناها انطيغونيا في السنة السادسة من موت الإسكندر ولم يتمها، فأتمها بعده سلوقوس، هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير [ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (266/1)].

(3) طَرَسُوس: بفتح أوله وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة، هي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، كانت موطنًا للصالحين والزهّاد؛ يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين. [ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (28/4)].

(4) ينظر: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، وسام فرج، (ص 149–150).

(5) ينظر: المصدر السابق، (ص 151).

الجزيرة العربية، وفرح المشركون بهذا الانتصار؛ لأن الفرس كانوا أقرب إليهم في العقيدة بسبب وثنيتهم، والروم أهل كتاب فهم أقرب إلى النبي ﷺ وأتباعه من الفرس الوثنيين.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما، فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ... ﴾، قَالَ: (... كَانَ المُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ؛ لأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ أَوْثَانٍ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ؛ لأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ ...)[1].

وفي ذلك الوقت نزلت الآيات القرآنية تتحدى الكفار، وتُخبر بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم: ١ – ٥].

واتفق المفسرون على أنّ سورة الروم مكية، قال القرطبي: "سُورةُ الرومِ مَكيةٌ كُلُّهَا من غَيرِ خِلافٍ"[2]، وقال ابن عطية:" هذه السورة مكية، ولا خلاف أحفظه في ذلك"[3].

والناظر لواقع الروم في ذلك الوقت، يكاد يجزم بأن انتصارهم على الفرس من سابع المستحيلات، فقد بلغ الروم من الضعف حدًا كبيرًا كما سبق ذكره، حتى غُزوا وهُزِموا في عقر دارهم، وهذا يجعل المتنبئ يُحجم عن الكلام في انتصارهم على الفرس[4]، حتى إنّ المؤرخين النصارى لم يتوقعوا انتصار الروم مرة أخرى، بل كانوا يجزمون بأن نهاية الإمبراطورية الرومانية ليست بعيدة.

يقول المؤرخ النصراني إدوارد جيبون[5]: " في ذلك الوقت حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعًا؛ لأن السنين الاثنتي عشرة الأولي من حكومة (هرقل) كانت تؤذن بانتهاء

---

(1) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب القراءات/ باب ومن سورة الروم، (343/5)، رقم الحديث (3193)، قال الألباني: صحيح.

(2) الجامع لأحكام القرآن، (1/14).

(3) المحرر الوجيز، (327/4).

(4) ينظر: إعجاز القرآن الكريم في الإخبار عن الغيبيات، محمد أمحزون، (ص 142).

(5) إدوارد جيبون (Edward Gibbon): مؤرخ إنجليزي، ولد عام 1737 م، كان نَهِما في القراءة، تعلم في أكسفورد ولوزان، وهو صاحب كتاب (اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها)، وتوفي عام 1794م. [ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، حسين محمد نصار وآخرون، (ص 1280)].

الإمبراطورية الرومانية"[1].

وقد راهن أبو بكر الصديق ﷺ الكفارَ على انتصار الروم على الفرس في بضع سنين، وذلك قبل تحريم الرهان، فعَنْ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الأَسْلَمِيِّ ﷺ[2]، قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ... ﴾ فَكَانَتْ فَارِسُ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ قَاهِرِينَ لِلرُّومِ، وَكَانَ المُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ ظُهُورَ الرُّومِ عَلَيْهِمْ؛ لأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ ... وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهُورَ فَارِسَ؛ لأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ وَلا إِيمَانٍ بِبَعْثٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ: ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ... ﴾، قَالَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ لأَبِي بَكْرٍ ﷺ: فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، زَعَمَ صَاحِبُكَ أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، أَفَلا نُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ، فَارْتَهَنَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَالمُشْرِكُونَ وَتَوَاضَعُوا الرِّهَانَ، وَقَالُوا لأَبِي بَكْرٍ: كَمْ تَجْعَلُ البِضْعُ ثَلاثُ سِنِينَ إِلَى تِسْعِ سِنِينَ، فَسَمِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ، قَالَ: فَسَمَّوْا بَيْنَهُمْ سِتَّ سِنِينَ، قَالَ: فَمَضَتِ السِّتُّ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرُوا، فَأَخَذَ المُشْرِكُونَ رَهْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ السَّابِعَةُ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَعَابَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ تَسْمِيَةَ سِتِّ سِنِينَ؛ لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾، قَالَ: وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ)[3].

وقد وقع ما أخبر به القرآن، ودارت رحى الحرب مرة أخري بين الفرس والروم، ففي خريف سنة 627م بدأ الإمبراطور هرقل هجومه الكبير والحاسم جنوبًا في اتجاه قلب الإمبراطورية الفارسية، ومع بداية ديسمبر كان هرقل قد وصل أمام نينوى، وهناك دارت المعركة الفاصلة الهامة بين القوتين الكبيرتين، وحَسَمت نتيجتها إلى الأبد ذلك الصراع الطويل بين الفرس والبيزنطيين، وفي هذه المعركة قضى هرقل على الجيش الفارسي وألحق به أعنف هزيمة، وحقق لبيزنطة أعظم انتصار[4].

وقد اختُلِف في تاريخ انتصار الروم على الفرس، قال الماوردي: " واختلف في السنة التي غلبت الروم

---

(1) تاريخ سقوط واندحار الإمبراطورية الرومانية، (74/5)، نقلا عن: الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، (ص 179).

(2) نيار بن مكرم الأسلمي (أبو مكرم الأسلمي) لَهُ صحبة ورواية، وهو أحد الَّذِينَ دفنوا عثمان بن عفان ﷺ، . [ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، (351/5)، (292/6)]

(3) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب القراءات/ باب ومن سورة الروم، (344/5)، رقم الحديث (3194)، حسنه الألباني.

(4) ينظر: دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، وسام فرج، (ص 155).

أهل فارس على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنها عام بدر، ظهر الروم على فارس فيه، وظهر المسلمون على قريش فيه، قاله أبو سعيد، قال: فكان يوم بدر.

الثاني: أن ظهور فارس على الروم كان قبل الهجرة بسنتين، وظهور المسلمين على قريش كان في عام بدر بعد الهجرة بسنتين، ولعله قول عكرمة.

الثالث: عام الحديبية ظهرت الروم على فارس، وكان ظهور المسلمين على المشركين في الفتح بعد مدة الحديبية، قاله عبيد الله بن عبد الله" [1].

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية الرأي الثالث، بأن انتصار الروم على الفرس وقع يوم الحديبية، فقال: "وذهبت طائفة من العلماء إلى أنَّ الخبرَ جاء بظهور الروم على فارس يوم بدر، وذهب آخرون أنه يوم الحديبية، وهذا هو الصحيح، وهرقلُ كان قد مشى شكرًا لله من حمص إلى بيت المقدس لمّا نصره على الفرس، فوافاه كتاب النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام عقب نصر الله –تعالى– للروم على فارس، ففرح النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين "[2].

وقد فرح المؤمنون بإحراز الروم النصر؛ لِمَا في ذلك من الآيات الباهرات الشاهدات بصحة النبوة، وكونِ القرآن من عند الله عز وجل، ولِمَا فيه من الإخبار عن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله العليم الخبير، ولقد ظهرت هذه الآيات الخارقة لأولي البصائر فأسلم ناس كثير.

كان انكسار الروم كبيرًا، فلا يتصور العقل أن تقوم لهم قائمة إلا بعد عشرات السنين، ولا يمكن لأي خبير عسكري أن يتوقع غير ذلك، وقد اعتمد المشركون على دلالة هذا الواقع فتطاولوا وتفاءلوا وراهنوا.

إنّ إخبارَ القرآن بوقوع نقيض ما تدل عليه الظروف والوقائع الحاضرة مما هو مستبعد أشد الاستبعاد لدى أهل الخبرة من الناس؛ ثم يتحقق خبره؛ فذلك دليل بليغ على أنه نبأ إلهي عظيم، ووعد رباني صادق، أخبر به نبي موحى إليه من رب العالمين، وهذا هو صدق الوحي والنبوة [3].

---

(1) النكت والعيون، (298/4).

(2) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (278/1).

(3) ينظر: المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، (ص 300–302).

المطلبُ الثالثُ: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن دخول المسلمين مكة في عمرة القضاء:

رأى رسول الله ﷺ رؤيا في المنام – ورؤيا الأنبياء حق- أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، وكان ذلك في العام السادس من الهجرة، فلما ساروا إلى مكة لم يشك أحد منهم أن هذه الرؤيا ستفسر هذا العام(1)، ولكنَّ الكفار منعوا رسولَ الله ﷺ والمؤمنين دخول مكة المكرمة عندما جاؤوا معتمرين، ونزل النبي ﷺ بالحديبية(2) عند بئر ماء، ومكث النبي ﷺ وأصحابُه أيامًا ينتظرون دخول مكة، ويستقبلون مبعوثي كفار قريش، وكان آخرهم سهيل بن عمرو رضي الله عنه الذي فاوض النبي ﷺ على الصلح، ووضع شروطًا مجحفة على النبي ﷺ، ولكن النبي ﷺ قبل بالشروط، وسُمي الصلح بينهم "صلح الحديبية".

وقد ورد في صحيح البخاري مفاوضة سهيل بن عمرو رضي الله عنه للنبي ﷺ، وجاء فيها: (فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)**، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ؛ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ المُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لاَ نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ)** ثُمَّ قَالَ: **(هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ)**، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ)**، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **(عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ)**، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لاَ تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، ...) (3).

فلما وقع ما وقع من قضية الصلح، ورجع النبي ﷺ وأصحابه عامهم ذلك على أن يعودوا في العام المقبل، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (... فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا، قَالَ: **(بَلَى)**، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ، قَالَ: **(بَلَى)**، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ ﷺ: **(إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي)**، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: **(بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟)**، قَالَ: قُلْتُ: لاَ،

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (356/7).

(2) الحديبية: بضم الحاء، وفتح الدال، وياء ساكنة، وباء موحدة مكسورة، وياء اختلفوا فيها فمنهم من شددها ومنهم من خففها، هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، بينها وبين المسجد الحرام مسيرة يوم. [ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (229/2)].

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (193/3)، رقم الحديث (2731).

قَالَ: (فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ)[1].

"وفي هذا إخباران: إخبار تصديق الرؤيا، وأن عمر ممن يطوف بالبيت، فلا يموت ولا يعرض له عارض يمنعه من الطواف"[2].

ولما رجع النبي ﷺ من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح، وفيها قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧].

نزلت الآيات تطمئن المؤمنين بتحقيق وعد الله تعالى، وأرسل النبي ﷺ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليخبره بالفتح، فعن سهل بن حنيف رضي الله عنه [3] قال: (... فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ)[4].

وكان الصلح ورجوع المسلمين عن مكة خيرًا للمسلمين، لذلك جاء في الآية: ﴿ ... فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح: ٢٧].

أي: علم ما لم تعلموا من المصلحة في الصلح، لما في دخولكم مكة في عام الحديبية من الضرر على المستضعفين من المؤمنين، ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ أي: فجعل الله تعالى من دون دخولكم مكة، كما أرى رسوله ﷺ، فتحًا قريبًا، قال أكثر المفسرين: هو صلح الحديبية، وقيل: فتح خيبر[5].

وقد جاء في الآية ثلاثة أعلام صادقة على ربانية القرآن الكريم، ونبوة محمد ﷺ:

الأول: الوعد بدخول المسجد الحرام، وقد أكد الله تعالى هذا الأمر بلام القسم ونون التوكيد، فقال:

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (193/3)، رقم الحديث (2731)..

(2) نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين، فاضل سامرائي، (ص 116).

(3) هو سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وثبت يوم أحد، وكان بايع النبي ﷺ يومئذ على الموت، فثبت معه حين انكشف الناس عنه، مات رضي الله عنه بالكوفة سنة ثمان وثلاثين. [الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، (662/2-663)].

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير/ باب صلح الحديبية في الحديبية، (1411/3)، رقم الحديث (1785).

(5) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (65/5).

﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾، وهذا تأكيد بالغ[1].

الثاني: الأمن.

الثالث: قضاء العمرة.

وتحققت الأخبار الغيبية الثلاثة، ودخل النبي ﷺ والمؤمنون مكة المكرمة آمنين مُحلِّقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون، وقضوا عمرتهم.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَحَرَ هَدْيَهُ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالحُدَيْبِيَةِ، وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ العَامَ المُقْبِلَ، وَلاَ يَحْمِلَ سِلاَحًا عَلَيْهِمْ إِلا سُيُوفًا وَلاَ يُقِيمَ بِهَا إِلا مَا أَحَبُّوا، فَاعْتَمَرَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَانَ صَالَحَهُمْ، فَلَمَّا أَقَامَ بِهَا ثَلاَثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ)[2].

إن هذا ليدل بجلاء على أن القرآن الكريم وحي من عند الله تعالى عالم الغيب والشهادة، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى، وهذا ما يعرف بدليل صدق الوحي والنبوة.

---

(1) ينظر: نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين، فاضل سامرائي، (ص 117).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلح/ باب الصلح مع المشركين، (185/3)، رقم الحديث (2701).

المطلبُ الرابعُ: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن إسلام بعض رؤساء قريش:

عادى سادة قريش النبي ﷺ عداوةً شديدة، وحاربوا الإسلام، وعذبوا المسلمين، وكان الناظر لهم ولأحوالهم يعتقد بعدم إسلامهم، ولكن جاء الخبر الصادق في القرآن الكريم؛ بأن الله تعالى سينقذ بعضهم من ظلمات الكفر والغواية؛ إلى نور الإسلام والهداية، قال الله تعالى: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الممتحنة: ٧].

قال البغوي: " أي: من كفار مكة مودة، ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وإخوانًا وخالطوهم وناكحوهم"[1].

وقال ابن عاشور: " وقد حقق الله ذلك يوم فتح مكة بإسلام أبي سفيان، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام"[2].

وكان من هؤلاء السادة المُكرمين:

1- عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ﷺ:

هو أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ، وابن عمته، أمه عاتكة بِنْت عبد المطلب بْن هاشم، كان ﷺ شديدًا على المسلمين، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، ومن شدة عدائه للإسلام قال للنبي ﷺ: " فوالله لا أومن لك أبدًا، حتى تتخذ إلى السماء سلمًا، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله، لو فعلت ذلك لظننت أني لا أصدقك"[3].

وهو الّذي قال للنبيّ ﷺ: ﴿ ... لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠]، ثم هداه اللّه إلى الإسلام، فخرج مهاجرًا إلى النبي ﷺ، فلقيه بالطريق وهو يريد مكة عام الفتح، فتلقاه فأعرض عنه رسول الله ﷺ مرة، فدخل على أخته وسألها أن تشفع له، فشفعت له أخته أم سلمة، وهي

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، (71/5).
(2) التحرير والتنوير، (150/28).
(3) البداية والنهاية، ابن كثير(130/4).

أخته لأبيه، فشفّعها رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة مسلمًا، وشهد حنينًا والطائف، ورُمي يوم الطائف بسهم فقتله[1].

2- أبو سفيان صخر بن حرب ﷺ:

كان من أشراف قريش في الجاهلية، وكان تاجرًا يجهز التجار بمالِه وأموال قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم، وكانت إليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب، وكان لا يحبسها إلا رئيس، فإذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعت تلك الراية بيد الرئيس.

كان رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب، وجمّع الجموع الكبيرة ضد المسلمين، ولكنه لما أسلم ثبت ضد الردة، وساهم في فتوح الشام وغيرها مساهمة فعالة، وكان يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد يقاتل ويقول: يا نصر الله اقترب[2].

3- سهيل بن عمرو ﷺ:

كان أحد أشراف قريش وسادتهم في الجاهلية، أُسِر يوم بدر كافرًا، وكان خطيب قريش، فقال عمر ﷺ: يا رسول الله، انزع ثنيته، فلا يقوم عليك خطيبًا أبدًا.

فقال ﷺ: دعه فعسى أن يقوم مقامًا تحمده.

وكان ممن دعا عليه النبي ﷺ في دعاء القنوت، فعن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨])[3].

وكان سفير قريش في صلح الحديبية، ولما أسلم ألقى خطبة بعد وفاة النبي ﷺ على أهل مكة فمنحتهم

---

(1) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي، (3/868-869)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (4/11).

(2) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي، (4/1677-1678)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (3/332-333).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي/ باب ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾، (5/99)، رقم الحديث (4070).

ثباتًا وطمأنينة، ثم ارتحل من الدنيا شهيدًا[1].

إن هذا ليدل على ربانية القرآن الكريم، ونبوة محمدٍ ﷺ، إذ كيف للنبي ﷺ معرفة خاتمة هؤلاء الكرام، وقد كانوا من أشد الناس عداوة للمسلمين؟ إن الناظر لحالهم وقت كفرهم، وشدة عداوتهم لأهل الإسلام، ليحسب أن إسلام هؤلاء من سابع المستحيلات، ولكن الله تعالى هداهم للإسلام، وهذا يؤكد أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا، وهذا ما يُعرف بدليل صدق الوحي والنبوة.

---

(1) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي، (2/669-672)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (3/177-178).

المطلبُ الخامسُ: إخبار القرآن الكريمِ عمّا كان يخفيه بعض المؤمنين:

إنَّ خبرَ ما في النفوس لا يعلمه إلا الله تعالى، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

قال الشوكاني: " ثم وصف سبحانه شمول علمه لكل شيء، وإن كان في غاية الخفاء، فقال: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه، ... ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ من الضمائر، وتسره من معاصي الله "[1].

وقال الرازي: "والحاصل أنَّ الأفعال قسمان: أفعال الجوارح وأفعال القلوب، أما أفعال الجوارح، فأخفاها خائنة الأعين، والله أعلم بها، فكيف الحال في سائر الأعمال.

وأما أفعال القلوب، فهي معلومة لله تعالى لقوله: ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾، فدل هذا على كونه تعالى عالمًا بجميع أفعالهم"[2].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

قال محمد سيد طنطاوي: " والمعنى: لقد علمت أيها العاقل علمًا لا يخالطه شك أو تردد، أن الله تعالى يعلم علمًا تامًا، ما في السموات وما في الأرض من كائنات مختلفة الأجناس والأنواع، وأنه سبحانه ما يقع من تناجى ثلاثة فيما بينهم إلا وهو تعالى يعلمه، كأنه حاضر معهم، ومشاهد لهم، كما يعلمه الرابع حين يكون معهم في التناجي ... "[3].

وقد كان الله تعالى يُعلم نبيه ﷺ ببعض ما يُخفِي المؤمنون، ويتنزل القرآن الكريم بهذه الأخبار، فيخبر النبي ﷺ أصحابه بها، وتكون كما أخبر، وهذا من أعظم الأدلة على ربانية القرآن الكريم، وعلى نبوة محمد ﷺ، وسيذكر الباحث طرفًا من هذه الأخبار.

---

(1) فتح القدير، (557/4).

(2) التفسير الكبير، (505/27).

(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (254/14).

أولاً: إخبار القرآن الكريم بما اتفقت عليه أمهات المؤمنين عائشة وحفصة رضي الله عنهما:

ومن أعلام نبوته ﷺ، ما أُخبِر به عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها بأنها أفشت الحديث الذي أسرَّه إليها عن شربه العسل؛ وأمرها بكتمانه، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾ [التحريم: ٣].

" أي: واذكر- أيها العاقل لتعتبر وتتعظ- وقت أن أسر النبي ﷺ إلى زوجه حفصة حديثًا، يتعلق بشربه العسل في بيت زينب بنت جحش، وقوله ﷺ لحفصة: لا تخبري بذلك أحدًا، ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ** ﴾ أي: فلما أخبرت حفصة عائشة بهذا الحديث الذي أُمرت بكتمانه، ﴿ **وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ** ﴾، أي: وأطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ما قالته حفصة لعائشة، ﴿ **عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ** ﴾، أي: فحين خاطب ﷺ حفصة في شأن الحديث الذي أفشته، اكتفى بالإشارة إلى جانب منه، ولم يذكر لها تفاصيل ما قاله لها سابقًا، ﴿ **فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ** ﴾، أي: فلما سمعت من الرسول ﷺ ما يدل على أنه قد اطلع على ما قالته لعائشة، قالت له: من أخبرك بما دار بيني وبينها؟ فأجابها ﷺ بقوله: أخبرني بذلك الله تعالى العليم بجميع أحوال عباده وتصرفاتهم، الخبير بما تكنه الصدور، وبما يدور في النفوس من هواجس وخواطر"(1).

وقد جاء في السنة الصحيحة تفصيل هذه القصة، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَمْكُثُ عِنْدَهَا، فَوَاطَيْتُ(2) أَنَا وَحَفْصَةُ عَلَى، أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلْتَقُلْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ(3)، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، قَالَ: **(لاَ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَلَنْ أَعُودَ لَهُ، وَقَدْ حَلَفْتُ، لاَ تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا)**(4).

---

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (470/14) بتصرف.

(2) واطيت: بالطاء من المواطأة، وأصله تواطأت بالهمزة، فسهلت الهمزة فصارت ياء. [بنظر: فتح الباري، ابن حجر، (377/9)].

(3) المغافير: شيء ينضحه شجر العُرْفط، واحدها مُغفور، بالضم، وله ريح كريهة منكرة.[ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (374/3)].

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾، (156/6)، رقم الحديث (4912).

" فالحادثة جرت بين أمهات المؤمنين لا بقصد الإساءة، وإنما بقصد الاستحواذ على حب رسول الله ﷺ، والاهتمام بهن، وإيثارهن على غيرهن من الضرائر، فنزلت الآيات الكريمة موجهة هادية للصواب مصححة للموقف"[1].

فمن أين للنبي ﷺ معرفة هذا الأمر، لولا أنه يوحى إليه ممن لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؛ ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ لما عرف إفشاء حفصة رضي الله عنها للسر الذي أخبرها به، إن هذا من أعظم الأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا.

ثانيًا: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن نوايا المؤمنين:

إن النية أمر قلبي لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، ولا يمكن لبشر معرفة ما في القلوب إلا بوحي من الله تعالى، وقد كان القرآن الكريم يتنزل بكشف نوايا بعض الناس، ويُخبر النبي ﷺ أصحابه بها، ومن ذلك ما جاء في غزوة أحد، حيث أخبر الله تعالى بأن الرماة الذين أمرهم النبي ﷺ بحماية ظهر المسلمين وألا يبرحوا مكانهم؛ لم يكونوا على نية واحدة، فمنهم من كانت نيته الدنيا، ومنهم من كانت نيته الدار الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ... ﴾[آل عمران: ١٥٢].

قال الطبري: " يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ﴾، الذين تركوا مقعدهم الذي أقعدهم فيه رسول الله ﷺ في الشِّعب من أُحُد لخيل المشركين، ولحقوا بمعسكر المسلمين طلب النهب إذ رأوا هزيمة المشركين، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ يعني بذلك: الذين ثبتوا من الرماة في مقاعدهم التي أقعدهم فيها رسول الله ﷺ، واتبعوا أمره، محافظة على عهد رسول الله ﷺ، وابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فِعلهم، والدار الآخرة"[2].

---

(1) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص 274).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (7/293-294).

وقد جاء في السنة تفصيل حال الرماة، فعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: (لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وأجْلَس النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّماة، وأمَّر عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ -يَعْنِي ابْنَ جُبَيْر-وَقَالَ: **(لا تَبْرَحُوا، إِنْ رأيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلا تَبْرَحُوا، وإنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلا تُعِينُونَا)**. فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ هربُوا، حَتَّى رَأَيْنَا النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقهن، وَقَدْ بَدَتْ خَلاخلهن، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الغنيمةَ الغَنيمة. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: عَهدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَلا تَبْرَحُوا. فأبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صرَفَ وُجُوهَهُمْ، فأُصِيب سَبْعُونَ قَتِيلاً ...) [1].

قال سيد قطب: " والقرآن يسلط الأضواء على خفايا القلوب، التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم ... "[2].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: " ما كنتُ أرى أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ "[3].

إن هذه الإرادة أمر قلبي، لا يطلع عليه أحد سوى الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية[4]، فكيف يخبر النبي ﷺ عن هذه الإرادة؟

لا يمكن هذا إلا لمن يتلقى الوحي من الله تعالى، وهذا دليل على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا، وهذا هو دليل صدق الوحي والنبوة.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي/ باب غزوة أحد، (94/5)، رقم الحديث (4043).

(2) في ظلال القرآن، (494/1).

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (295/7).

(4) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص 275).

المطلبُ السادسُ: جزمُ القرآنِ الكريم بعصمة النبي ﷺ:

ومن أعلام نبوته ﷺ، إخبار القرآن الكريم بأن الله تعالى عاصمه وحافظه وكافيه من الناس، فلا يصلون إليه، ودافعٌ عنه مكروه كل من يبغي له الضرر، وهذا وعد من الله تعالى، بالإضافة إلى كونه إخبارًا عن غيب في المستقبل، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

ومعنى ﴿ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾: "يمنعك من فتكهم، مأخوذ من عصام القربة؛ وهو ما توكأ به، أي ما يربط به فمها من سير جلد أو خيط"[(1)].

قال الزمخشري: "﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ ﴾، عِدَةٌ من الله – تعالى– بالحفظ والكلاءة، والمعنى: والله يضمن لك العصمة من أعدائك، فما عذرك في مراقبتهم؟"[(2)].

وقال القرطبي: " قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ دليل على نبوته؛ لأن الله عز وجل أخبر أنه معصوم"[(3)].

وقد كان النبي ﷺ يتخذ الحرس قبل نزول هذه الآية، فعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَحْرُسُهُ أَصْحَابُهُ ...)[(4)]، فلما نزلت الآية صرف النبي ﷺ الحرس ثقة بوعد الله تعالى، وإيمانًا قاطعًا بحماية الله تعالى له.

عَنْ أمِّ المؤمنينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ القُبَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ)**[(5)].

وليس من العصمة دفع الأذى والضرر عن رسول الله ﷺ، فقد تعرض ﷺ للأذى، وشُجَّ رأسه، وكُسرت رباعيته يوم أحد، ولكن يقصد بها: العصمة من القتل.

---

(1) تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (392/6).

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (659/1).

(3) الجامع لأحكام القرآن، (243/6).

(4) المسند، أحمد بن حنبل، (394/32)، رقم الحديث (19618)، قال محققو المسند: إسناده حسن.

(5) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب تفسير القرآن/ باب ومن سورة المائدة، (251/5)، رقم الحديث (3046)، قال الألباني: حسن.

قال المباركفوري: " إن قيل: أليس قد شُجَّ رأسُه وكُسرت رباعيته يوم أحد، وقد أوذي بضروب من الأذى، فكيف يُجمع بين ذلك وبين قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾؟

قلت: المراد منه أنه يعصمه من القتل، فلا يقدر عليه أحد أراده بالقتل، وقيل في الجواب عن هذا: إن هذه الآية نزلت بعد ما شُجَّ رأسُه في يوم أحد؛ لأن سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً"(1).

وقد عصم الله تعالى نبيه في أكثر من موطن، منها:

ما ثبت عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ القَائِلَةُ(2)، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ(3)، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: **(إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِي**(4)**، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، مُخْتَرِطٌ صَلْتًا**(5)**، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ، فَشَامَهُ** (6) **ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا)** قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(7).

قال ابن حجر: " وكأن الأعرابي لمّا شاهد ذلك الثبات العظيم، وعرف أنه حيل بينه وبينه، تحقق صدقه، وعلم أنه لا يصل إليه، فألقى السلاح وأمكن من نفسه"(8).

وقد تحدى الله تعالى الكفار مرتين في أن يكيدوا محمدًا ﷺ إن استطاعوا، فقال تعالى: ﴿ ... قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۝ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٥

---

(1) تحفة الأحوذي، (326/8)، ينظر أيضًا: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (69/2)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (659/1).

(2) القائلة: الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (133/4)].

(3) العِضاه: كل شجر عظيم له شوك، الواحدة: عضة بالتاء، وأصلها عضهة. وقيل: واحدته عضاهة. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (255/3)].

(4) فاخترط سيفي: أي سله من غمده. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (23/2)].

(5) صلتًا: أي مجردًا، يقال: أَصْلَتَ السيف، إذا جرده من غمده. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (45/3)].

(6) فشامه: أي أغمده، يعني السيف، وهذه الكلمة من الأضداد، يقال: شامه إذا استله، وشامه إذا أغمده. [ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (427/7)].

(7) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي/ باب غزوة بني المصطلق ...، (116/5)، رقم الحديث (4139).

(8) فتح الباري، (427/7).

– ١٩٦]، وهو تحد سافر بأن يكيدوه ولا يمهلوه إذا كان ذلك بوسعهم(1).

وقال تعالى: ﴿ ... فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

قال الشوكاني: " وقوله: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾، وعد من الله تعالى لنبيه أنه سيكفيه من عانده وخالفه من المتولِّين، وقد أنجز له وعده ..." (2).

إن إخبار النبي ﷺ بهذا، وحفظ الله تعالى له، لدليل بيّن على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا، وهذا هو دليل صدق الوحي والنبوة.

(1) ينظر: نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين، فاضل سامرائي، (ص 134).

(2) فتح القدير، (171/1).

المطلبُ السابعُ: كشفُ مؤامرات المنافقين وإبراز دخيلتهم الفاسدة:

النفاق من أخطر الظواهر التي تنشأ في المجتمع المسلم؛ لأن حقيقته إظهار خلاف ما يبطن، فيتظاهر المنافق بإسلامه وحرصه على نفع المسلمين، ولكن إذا خلا عن أعين الناس، خطط لبث النزاع والشقاق والفرقة بين المسلمين، ودبر المكائد والمخططات ليفسد في المجتمع المسلم، ولذلك كانت سور القرآن الكريم لهم بالمرصاد، تكشف خبايا نفوسهم، وتظهر مخططاتهم ودخيلتهم الفاسدة، وتفضح مؤامراتهم الخبيثة، وتبين صفاتهم، ليكون المؤمنون على بيّنة من أمرهم، ويحذروا منهم.

قال الله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤].

وقد اختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ﴾ على معنيين:

الأول: هو خبر، وليس بأمر، والمعنى: إن المنافقين كانوا يحذرون نزول القرآن فيهم.

الثاني: ليحذر، والمعنى: أمرهم بأن يحذروا ذلك(1).

وذكر الطبري سبب نزول الآية: "أن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله ﷺ، وذكروا شيئًا من أمره وأمر المسلمين، قالوا: "لعل الله لا يفشي سرَّنا!"، فقال الله لنبيه ﷺ: قل لهم: ﴿ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾، متهددًا لهم متوعدًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾"(2).

قال الزمخشري: " كانوا يستهزؤون بالإسلام وأهله، وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم، حتى قال بعضهم: والله لا أُرانا إلا شر خلق الله، لوددت أنى قُدِّمتُ فجُلِدتُ مائة جلدة، وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا"(3).

ولذلك كانت مخططاتهم مكشوفة أمام النبي ﷺ، ومهما حاولوا من تدبير فالله تعالى يفضحهم، ويُعلم نبيه -بواسطة أمين الوحي جبريل- عن هذا التدبير، فيخبر النبي ﷺ أصحابه بكيدهم، ويفسد تدبيرهم ومخططهم، وهذا من أعلام نبوته ﷺ، ودليل على أنه نبي يوحى إليه من عالم الغيب والشهادة.

قال الدكتور حسن عتر: "وليس الكشف عن سرائر الناس وخبايا نفوسهم مما يرتضي العاقل أن يبتَّ فيه بحكم ظني؛ خاصة فيما يتصل بأصحابه وأنصاره، والعاقل مَن يأبى أن يرجم بالغيب في هذا المضمار

---

(1) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (429/2)، تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، (453/10).

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (331/14).

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (286/2).

لئلا ينفر الأصدقاء، وينفض الأصحاب ويتألب الأعداء، فالعلم بخبيئة النفس أمر اختص به بارئ النسم وخالق الأنفس، فهل يبسط أرجح القوم عقلاً الحديث هاهنا إلا أن يأتيه اليقين من ربه **!؟**" [1].

إن هذا لأعظم دليل على صدق الوحي والنبوة، وقد اعترف السير وليام موير[2]، ذلك العدو اللدود للإسلام، بهذا الأمر بطريقة غير مباشرة، حين قال: " لقد دفن محمد مؤامرات أعدائه في التراب، وكان يثق بانتصاره ليل نهار، مع حفنة من الأنصار والأعوان، رغم أنه كان مكشوفًا عسكريًا من كل ناحية، وبعبارة أخري: كان يعيش في عرين الأسد، ولكنه أظهر عزيمة جبارة، لا نجد لها نظيرًا ..." [3].

وسيذكر الباحث بعضًا من كلمات ومخططات المنافقين التي كشفها الله تعالى لنبيه ﷺ، ليدلل بذلك على صدق الوحي والنبوة.

أولاً: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن كلام رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول:

كان أهل المدينة يجهزون التاج ليوضع على رأس عبد الله بن أبي بن سلول، ليسودوه عليهم ويكون فيهم الآمر الناهي، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، أصبح ﷺ هو القائد المتنفذ، وذهبت الرياسة من ابن سلول، فاشتدت غيرته وحقده وحسده، ورأى أن النبي ﷺ قد أخذ مكانه، واستلبه ملكه[4]، لكنه لم يتمكن من الاعتراض بسبب قوة المسلمين، فأظهر الإسلام وأبطن الكفر، وجمع حوله من هم على شاكلته من المرضى، وأصبحوا يكيدون للمسلمين، وكانوا لا يألون جهدًا في الإفساد وبث الإشاعات بين المسلمين.

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ[5] رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **(مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ)** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ:

---

(1) المعجزة الخالدة، (ص 285).

(2) وليام موير: هو مستشرق ومبشر إنجليزي، ولد عام 1819م، تعلم اللغة العربية، وعني بالتاريخ الإسلامي، لكنه كان شديد التعصب للمسيحية، ألف كتاب "ميزان الحق" الذي هاجم فيه الإسلام بمنتهى العنف، وقام بعمل دراسات حول حياة النبي محمد ﷺ والخلافة الإسلامية، تسودها نزعة مسيحية تبشيرية شديدة التعصب، تولى إدارة جامعة إدنبرة في اسكتلندة، وتوفي عام 1905م. [ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، (ص 578-279)]

(3) الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، (ص 172).

(4) ينظر: الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص 263).

(5) كسع: أي ضرب دبره بيده. [النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (173/4)]

(**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**) فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ...)[1].

فسمع الصحابي الجليل زيد بن أرقم ﷺ مقولة المنافق ابن سلول، قال ﷺ: " كُنْتُ مَعَ عَمِّي، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ يَقُولُ: لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا، وَقَالَ أَيْضًا: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَ عَمِّي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَذَّبَنِي، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ** ﴾ [المنافقون: ١]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ **هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۞ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [المنافقون: ٧ – ٨]، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: (**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ**)[2].

فَقَامَ عُمَرُ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**)[3].

في هذه الآيات علم من أعلام النبوة، ودليل واضح على ربانية القرآن الكريم، فالنبي ﷺ لم يصدق قول زيد بن أرقم ﷺ، وإنما صدَّق المنافقين لما حلفوا له بأنهم ما قالوا، ولكن جاء القرآن الكريم ليكشف كذبهم، ويظهرَ صِدقَ زيد ابن أرقم ﷺ، وهذا يدل بما لا يدع مجالاً للشك أو الريب أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ، رسول الله تعالى صدقًا.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ بابُ قوله: ﴿ **سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ** ... ﴾، (154/6)، رقم الحديث (4905).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ بابُ قوله: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً** ... ﴾، (152/6)، رقم الحديث (4901).

(3) سبق تخريجه في الهامش (1).

ثانيًا: فضحُ مؤامرةِ المنافقين في بناء مسجد الضرار:

ما فتئ المنافقون يكيدون ويخططون للمكر بالمسلمين، وأرادوا أن يجعلوا مكانًا لاجتماعهم، ظاهره في الخير، وباطنه من قِبَلِهِ المكر والخديعة وحبك الخطط للنيل من المسلمين، ومظاهرة أعداء الله تعالى ورسوله ﷺ.

فقاموا ببناء مسجد الضرار، وطلبوا من النبي ﷺ أن يأتي ويصلي فيه، وهمَّ النبي ﷺ بإجابتهم، ولكن تنزل جبريل عليه السلام من الله تعالى، وأخبره بأن هذا المسجد لم يؤسس على التقوى، وإنما أُسس على الخيانة، وجاء الأمر للنبي ﷺ بعدم الصلاة فيه.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧ – ١٠٨].

لقد وصف الله تعالى هذا المسجد بأربع صفات:

الصفة الأولى: قوله: ﴿ضِرَارٗا﴾، والضرار محاولة الضر، كما أن الشقاق محاولة ما يشق، والمعنى: اتخذوه للضرار ولسائر الأمور المذكورة بعده.

الصفة الثانية: قوله: ﴿وَكُفۡرٗا﴾، أي: وكفرًا بالنبي ﷺ، وبما جاء به.

الصفة الثالثة: قوله:﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، أي: يفرقون بواسطته جماعة المؤمنين.

الصفة الرابعة: قوله: ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، قال الزجاج: الإرصاد الانتظار، وقال ابن قتيبة: الإرصاد الانتظار مع العداوة، وقال الأكثرون: الإرصاد، الإعداد(1).

ووجه النهي عن الصلاة فيه أنّ صلاةَ النبي ﷺ فيه تُكسِبُه يُمنًا وبركة، فلا يرى المسلمون لمسجد قباء مزية عليه، فيقتصر بعض المسلمين على الصلاة فيه لقربه من منازلهم، وبذلك يحصل غرض المنافقين من وضعه للتفريق بين جماعة المسلمين، فلما كانت صلاة النبي ﷺ فيه مفضية إلى ترويج مقصدهم الفاسد؛ صار ذلك وسيلة إلى مفسدة فتوجه النهي إليه. وهذا لا يطّلع على مثله إلا الله تعالى(2).

---

(1) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، (146/16).

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (31/11).

إن إخبار النبي ﷺ بنوايا المنافقين ومؤامرتهم الخبيثة في بناء مسجد الضرار، أمر لا يمكن إلا من خلال الوحي، ولقد كاد النبي ﷺ أن يلبي دعوة المنافقين للصلاة في مسجدهم، ولكن الله تعالى عصمه، وهذا دليل بيِّنٌ على ربانية القرآن الكريم، ونبوة محمد ﷺ، وهذا هو دليل صدق الوحي والنبوة.

ثالثًا: فضح افتراءات المنافقين على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

لم تقتصر خسة المنافقين ونذالتهم وكيدهم للمسلمين على زمن الحرب، بل نالت أطهر بيت، وأكرم إنسان، وأحب النساء إلى رسول الله ﷺ.

وصلت بهم الجرأة إلى قذف أم المؤمنين – الطاهرة المطهرة – عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما، وكانت هذه الحادثة من أشد المحن التي نزلت برسول الله ﷺ، وبزوجه الطاهرة رضي الله عنها، حتى أن النبي ﷺ وقف على المنبر يخطب بالناس ويقول: (**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إلا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إلا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إلا مَعِي**)[1].

ونزل الوحي بعد ذلك، فسُري عن رسول الله ﷺ، وكانت أول كلمة تكلم بها: (**أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ**)[2].

فقالت لها أمها: قومي إليه.

فقالت عائشة رضي الله عنها– لتدلل على براءة ساحتها، وثقة بمحبة رسول الله ﷺ–: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله[3].

قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۞ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ**

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب التوبة/ باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، (2129/4)، رقم الحديث (2770).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي/ باب حديث الإفك، (116/5)، رقم الحديث (4141)، صحيح مسلم، مسلم، كتاب التوبة/ باب في حديث الإفك ...، (2129/4)، رقم الحديث (2770).

(3) ينظر: زاد المعاد، ابن القيم، (232/3– 234)، الرحيق المختوم، المباركفوري، (ص 268–269).

بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۞ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۞ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١١ – ١٧].

إن حادثة الإفك من أعظم الأدلة على نبوة محمد ﷺ، وعلى ربانية القرآن، فقد كانت حقيقة براءة أم المؤمنين غيبًا لا يعلمه رسول الله ﷺ، ولا يعلمه أحد من المسلمين إلا عائشة وصفوان رضي الله عنهما، حتى نزل جبريل عليه السلام بآيات البراءة، وظهر الحق وزهق الباطل، وعاد ابن سلول خائبًا خاسرًا ذليلاً.

إن هذا لدليل جليّ، وبرهان قويّ، على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا، وهذا هو دليل صدق الوحي والنبوة.

المطلبُ الثامنُ: إخبارُ القرآنِ الكريمِ عن كلام اليهود عند تحويل القبلة:

كانت صخرة بيت المقدس قبلة المسلمين في بداية الدعوة، حيث صلى النبي ﷺ والمسلمون إليها بضعة عشر شهرًا، وكان النبي ﷺ يحب أن يستقبل الكعبة، ويتمنى لو حوّل الله تعالى القبلة إليها، وكان النبي ﷺ في مكة المكرمة؛ يجمع بين استقبالها واستقبال الصخرة، بأن يجعل الكعبة المشرفة بينه وبين صخرة بيت المقدس، فلما هاجر ﷺ منها إلى المدينة تعذر هذا الجمع؛ لأن المدينة تقع في شمال مكة، بين مكة وبين بيت المقدس، فتوجه النبي ﷺ إلى الله تعالى ودعاه بأن يجعل الكعبة هي القبلة، فاستجاب الله تعالى لنبيه ﷺ، وولّاه القبلة التي يرضاها، وجاء الأمر بالتوجه إلى الكعبة المشرفة.

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ –تعالى–: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ... ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ، وقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمُ اليَهُودُ: ﴿ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا ﴾ [البقرة: ١٤٢]، ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [البقرة: ١٤٢])[1].

نزلت الآيات بالأمر بتحويل القبلة، من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، ونزلت معها الآيات التي تخبر النبي ﷺ بما سيقوله اليهود والمنافقون عند تحويل القبلة قبل وقوعه، وذلك لتلقينهم الحجة في الرد على هذا الكلام، وليكون أذى الكلام أقل وقعًا على نفوسهم، فقال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [البقرة: ١٤٢].

قال الشوكاني: " قوله: ﴿ سَيَقُولُ ﴾ هذا إخبار من الله سبحانه لنبيه ﷺ وللمؤمنين بأن السفهاء من اليهود والمنافقين سيقولون هذه المقالة عند أن تتحول[2] القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة"[3].

وقال محمد رشيد رضا: " ابتدأ الكلام في هذه المسألة ببيان ما يقع من اعتراض اليهود وغيرهم على التحويل، وإخبار الله نبيه ﷺ والمؤمنين به قبل وقوعه ... "[4].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة/ بَابُ التوجه نحو القبلة حيث كان، (88/1)، رقم الحديث (399).

(2) هكذا في الأصل، ولعل الأولى أن تقول: " عندما تتحول".

(3) فتح القدير، (174/1).

(4) تفسير القرآن الحكيم، (3/2).

وقال محمد سيد طنطاوي: " تضمنت هذه الآيات الكريمة إعلام النبي ﷺ والمؤمنين أن فريقًا من الناس الذين خفَّت أحلامهم، وضعفت عقولهم، وعدلوا عما ينفعهم إلى ما يضرهم، سيقولون على سبيل الإنكار عند تحويل القبلة إلى المسجد الحرام، ما صرفهم عن القبلة التي كانوا عليها، وهي بيت المقدس"[1].

إن إخبار القرآن الكريم بمقولة هؤلاء السفهاء قبل وقوعها، لدليل جليّ، وبرهان قويّ، على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا، وهذا هو دليل صدق الوحي والنبوة.

---

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (295/1).

المبحث الثاني

الأخبار الغيبية أثناء البعثة ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

(أخبار غيبية خاصة)

وفيه أربعة مطالب:

المطلبُ الأولُ:

الإخبار عن مصير أبي لهب وزوجته في الآخرة وموتهم على الكفر

المطلبُ الثاني:

الإخبارُ عن مصيرِ الوليد بن المغيرة في الآخرة وموته على الكفر

المطلبُ الثالثُ:

الإخبارُ عن مصيرِ أبي جهل في الآخرة وموته على الكفر

المطلبُ الرابعُ:

الإخبارُ عن مصيرِ العاص بن وائل في الآخرة وموته على الكفر

المبحث الثاني

الأخبار الغيبية أثناء البعثة ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

(أخبار غيبية خاصة)

جاء في القرآن الكريم أخبارٌ خاصة بأشخاص بعينهم، مثل إخبار القرآن الكريم عن مصائر جماعة من صناديد الكفر، الذين حاربوا الإسلام، ولجّوا في الخصومة، فأخبر القرآن بموتهم على الكفر، وخلودهم في النار.

إن هذه الأخبار لا يمكن لأحدٍ التكهنُ بها، أو الظن بوقوعها، فضلاً عن القطع بحدوثها؛ لأنها من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقد تحققت هذه الأخبار كما أنبأ القرآن الكريم، ولم يتخلف منها خبر، وهذا من أعظم الأدلة على ربانية القرآن الكريم، ونبوة محمد ﷺ.

وسيذكر الباحث بعضًا من أخبار هؤلاء الكفار الذين جزم القرآن بموتهم على الكفر، وماتوا كافرين.

المطلبُ الأولُ: الإخبار عن مصير أبي لهب وزوجته في الآخرة وموتهم على الكفر:

كان أبو لهب وهو عبد العزى بنُ عبد المطلب عم النبي ﷺ، وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية، حمالة الحطب؛ من أشد أعداء الإسلام، وقد مارسا شتى أنواع أذى الرسول ﷺ وصد الناس عنه، وكانت زوجته تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر[1]، وقد نزل فيهما قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ[2]، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: **(يَا صَبَاحَاهْ)**[3]، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: **(يَا بَنِي فُلانٍ، يَا بَنِي فُلانٍ، يَا بَنِي فُلانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ)**، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: **(أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟)** قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: **(فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)**، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ:﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ [المسد: ١ – ٥] [4].

وهذا غيب لا يمكن لأحد أن يتنبأ به، حتى رسول الله ﷺ؛ إلا أن يوحى إليه به من الله تعالى، فكيف يُحكم على إنسان بالخلود في النار وهو لا يزال على قيد الحياة، واحتمال دخوله في الإسلام لا يزال

---

(1) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، (355/1).

(2) قال النووي: " فظاهر هذه العبارة أن قوله: "ورهطك منهم المخلصين" كان قرآنا أُنزل ثم نسخت" [شرح النووي على مسلم، (82/3)]، وقال ابن حجر: " قال القرطبي: لعل هذه الزيادة كانت قرآنا فنسخت تلاوتها، ثم استشكل ذلك بأن المراد إنذار الكفار والمخلَص صفة المؤمن، والجواب عن ذلك: أنه لا يمتنع عطف الخاص على العام، فقوله: "وأنذر عشيرتك" عام فيمن آمن منهم ومن لم يؤمن، ثم عطف عليه الرهط المخلَصين تنويهًا بهم وتأكيدًا" [فتح الباري، (142/1)].

(3) يَا صَبَاحَاه: كلمة تقال عِنْد هجوم الْعَدو، وَخُص هَذَا الْوَقْت؛ لأَنَّهُ كَانَ الأَغْلَب لوقت الْغَارة [ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (142/1)]

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾، (179/6)، رقم الحديث (4971)، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، (193/1)، رقم الحديث (208)، واللفظ له.

قائمًا، فمن يجرؤ على إصدار حكم مثل هذا الحكم؟ هذا الحكم لله تعالى فقط، وكون النبي ﷺ يخبر بهذا، فهذا دليل قطعي على نبوته ﷺ، وأنه يوحى إليه من الله عالم الغيب والشهادة.

قال القاضي عبد الجبار: " وهذه غيوب كثيرة لا يكون مثلها بالاتفاق ولا بالحدس ولا بالزرق[1]، ولا يتفق لحذّاق المنجمين أقل القليل من هذا. ومن عجيب الأمور أنها نزلت بمكة، وتلاها رسول الله ﷺ، وسمعها أبو لهب وجميع أعداء رسول الله ﷺ من قريش والعرب وغيرهم وهم أعوان أبي لهب، فهاجهم هذا القول في عداوته، وزاد في غيظهم وحنقهم، وأذكرهم بنفسه وهو معهم وفي أيديهم وفي قبضتهم، فما ضره، ولا تمّ لهم أمر في الظفر بقتله، ولا على زلة يتبين فيها كذبه وسقوط قوله، وهذا لا يقدم عليه العاقل إلا وهو على غاية الثقة بما يقول"[2].

فهل أسلم أبو لهب وزوجته؟

انظروا كيف تتجلى آيات الله تعالى الدالة على نبوة محمد ﷺ.

لما سمعت أم جميل – حمالة الحطب – " ما نزل فيها، وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ، وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق ﷺ، وفي يدها فهر [3] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ، فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر: أين صاحبك، فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مذممًا عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا

ثم انصرفت، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني" [4].

وكان أبو لهب يسير خلف النبي ﷺ وهو يدعو الناس إلى دين الله تعالى؛ ليصد الناس عنه، فعن ربيعة بن عباد الدؤلي، قال: " رأيت النبي ﷺ بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله،

---

(1) الزرق: الخداع، ورجل زرّاق: خدّاع. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (140/10)]

(2) تثبيت دلائل النبوة، (36/1).

(3) الفهر: الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه، وقيل: هو حجر يملأ الكف [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (66/5)].

(4) السيرة النبوية، ابن هشام، (356/1).

ووراءه رجل أحول تقد وجنتاه[1]، وهو يقول: لا يغرنكم عن دينكم ودين آبائكم. قلت: من هذا؟ قالوا: أبو لهب"[2].

وقد صرف الله تعالى عن نبيه شتمهم ولعنهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(أَلاَ تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ)**[3].

وبقي أبو لهب وزوجته يصدون عن دين الله تعالى، ويشتمون رسول الله ﷺ حتى هلكا على الكفر، وتحقق أمر الله تعالى.

فعن أبي رافع مولى النبي ﷺ قال: " كنت غلامًا للعباس، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت، وكان العباس يهاب قومَه ويكره الخلاف ويكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه.

وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فلما جاءه الخبر بمصاب قريش كبته الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزة، وكنت رجلاً ضعيفًا، وكنت أَنْحَتُ الأقداح في حجرة زمزم، فإني لجالس أَنْحَتُ أقداحي، وعندي أم الفضل، وقد سرَّنا الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بِشَرٍّ، حتى جلس على طُنُبِ[4] الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري.

فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم.

فقال أبو لهب: إليّ، فعندك الخبر. قال: فجلس إليه، والناس قيام عليه.

فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟

قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا، وأيم الله ما لُمتُ الناس، لقينا "رجالاً بيضًا" على خيل بُلْق[5] بين السماء والأرض، والله ما تُليق[6] شيئًا ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طُنُب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة.

---

(1) وجنتاه: مفردها وَجْنَة، وهي مَا ارْتَفَعَ مِنَ الخَدَّيْنِ للشِّدْق والمَحْجِرِ. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (443/13)].

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (121/1).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المناقب/ باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، (185/4)، رقم الحديث (3533).

(4) الطُنُب: بضمتين، حبل الخباء والسرادق ونحوهما. [ينظر: مختار الصحاح، الرازي، (ص 193)، لسان العرب، ابن منظور، (560/1)].

(5) البَلَق: سواد وبياض، وكذلك البُلقة، بالضم. قال ابن سيده: البلق والبلقة مصدر الأبلق ارتفاع التحجيل إلى الفخذين. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (25/10)].

(6) ما تليق: أي ما تمسك، يقال: لَم يُلِقْ شيئًا إلا قَطَعَهُ حُسَامه. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (334/10)].

فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، قال: وثاورته[1]، فحملني وضرب بي الأرض، ثم برك عليَّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفًا. فقامت أم الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة، فأخذته فضربته به ضربة فَلَقَتْ في رأسه شجةً منكرة، وقالت: استضعفتَه أن غاب عنه سيده؟

فقام مُوَلِّيًا ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال، حتى رماه الله بالعدسة[2] فقتلته.

وكانت قريش تتقي هذه العدسة كما يُتقى الطاعون، حتى قال رجل من قريش لابنيه: ويحكما؟ ألا تستحيان أنَّ أباكما قد أنتن في بيته ألا تدفنانه؟

فقالا: نخشى عدوى هذه القرحة.

فقال: انطلقا فأنا أعينكما، فوالله ما غسلوه إلا قذفًا بالماء عليه من بعيد، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدار، ثم رضموا عليه الحجارة"[3].

لقد كان مُمْكنًا لأبي لهب وزوجته أن يُبطلا هذه النبوءة بكلمة واحدة، وهي: أن يشهدا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولكن الله تعالى طمس على قلبيهما، فلم يقولاها، وإنما زادا في عداوتهما لرسول الله ﷺ.

قال مصطفى مسلم: "وأي دليل أظهر من أمر لا يُكلف صاحبه أكثر من كلمة يقولها بلسانه فيُبطل بها قول محمد ﷺ، ويُفسد أمره جميعه، ثم لا يقول الكلمة، ولا تسمح له الحياة بأن يقولها، فقد عاجلته المنية قبل يوم الفتح الذي دخلت فيه قريش كلها الإسلام، فلو دخل أبو لهب وزوجته الإسلام لكان إسلامهم هدمًا للإسلام كله"[4].

أليس هذا دليلاً ظاهرًا، وبرهانًا باهرًا قاهرًا، على أن القرآن كلام الله تعالى؛ وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى خالق الموت والحياة، الذي جعل مصير كل شيء بيده، فلا يحصل في الكون شيء إلا بإرادته؟

قال تعالى: ﴿ ... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧].

وهذا ما يعرف بدليل صدق الوحي والنبوة.

---

(1) المثاورة: يعني المواثبة، وثاوره مثاورة وثوارا: أي واثبه وساوره. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (108/4)].

(2) العدسة: هي بثرة قاتلة تخرج كالطاعون في مواضع من الجسد، تقتل صاحبها غالبًا. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (132/6)].

(3) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (314/1-315).

(4) مباحث في إعجاز القرآن، (ص 278).

المطلبُ الثاني: الإخبارُ عن مصير الوليد بن المغيرة في الآخرة وموته على الكفر:

الوليد بن المغيرة المخزومي، أحد رؤساء قريش وكبرائها، ومن أصحاب الرأي فيهم، وكان من أغنى أهل مكة، فقد كانت له أموال كثيرة من الإبل والغنم والعبيد والبساتين وغير ذلك من أنواع الأموال، وكان له عشرة أولاد، ولكنه لم يشكر نعمة الله تعالى عليه، فعاند الحق، وبارز الله تعالى ورسوله ﷺ بالمحاربة والمشاقة.

أنزل الله تعالى فيه قرآنًا يتلى إلى يوم الدين، ذمَّه فيه ذمًا لم يذمه أحدًا غيره، وأخبر بهلاكه على ملة الكفر، وخلوده في نار جهنم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالاً. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ.

قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلاً يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ.

قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ؟ فَوَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالأَشْعَارِ مِنِّي، وَلا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي، وَلا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ.

قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ.

قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ: " هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ فَنَزَلَتْ:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۞ وَبَنِينَ شُهُودًا ۞ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ۞ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۞ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۞ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ١١ – ٢٦])[1].

ولا خلاف بين المفسرين أن المذكور في هذه الآيات هو: الوليد بن المغيرة المخزومي، أحد رؤساء قريش وكُبرائها[2].

---

(1) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب التفسير/ تفسير سورة المدثر، (550/2)، رقم الحديث (3872)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،(267/8)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (394/5)، فتح القدير، الشوكاني، (391/5)، التفسير الكبير، الرازي، (704/30)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (177/15).

والمعنى: اصبر أيها الرسول الكريم على ما يقوله أعداؤك فيك من كذب وبهتان، واتركني وهذا الذي خلقته وحيدًا فريدًا، لا مال له ولا ولد، ثم أعطيته الكثير من النعم، فجعلت له مالاً كثيرًا، وأولادًا يشهدون مجالسه؛ لأنهم لا حاجة بهم إلى مفارقته في سفر أو تجارة، إذ هم في غنى عن ذلك بسبب وفرة المال في أيدى أبيهم، وفضلاً عن ذلك، فقد هيأت له وسائل الراحة والرياسة تهيئة حسنة، أغنته عن الأخذ والرد مع قومه، بل صار نافذ الكلمة فيهم بدون عناء أو تعب، فلم يشكرني على ذلك.

ومع إمدادى له بكل هذه النعم، هو لا يشبع، بل يطلب المزيد منها لشدة حرصه وطمعه، كلا، لن أعطيه شيئًا مما يطمع فيه، بل سأمحق هذه النعم من بين يديه؛ لأنه قابلها بالجحود والبطر، ومن لم يشكر النعم يعرضها للزوال.

إن هذا الجاه الذي أتاه في الدنيا بدون تعب، سيلقى في الآخرة ما هو نقيضه من تعب وإذلال[1].

وفي الآيات علمان من أعلام نبوته ﷺ:

الأول: إخبار القرآن بموت الوليد بن المغيرة على الكفر ويصليه سقر.

الثاني: إخبار القرآن بأن الله تعالى لن يزيده مالاً ولا ولدًا[2].

وقد تحقق وعد الله تعالى، ومات الوليد ابن المغيرة على شركه، ولم يسلم لله تعالى، وكان موته في السنة الأولى من هجرة النبي ﷺ [3].

وكان سبب موته أنه جُرح بأسفل كعبه، أثناء مروره برجل يريش نبلاً له[4] من خزاعة، فتعلق سهمٌ بإزاره فخدشه خدشًا يسيرًا، فبرئ منه، ثم انتقض الجرح بعد ذلك بسنين، فمات[5].

ويأبى الوليد ابن المغيرة إلا أن يكون ظالمًا معتديًا حتى وهو على فراش الموت، فمع عِلْمه بأن حادثة إصابتِهِ بسهم الرجل الخزاعي لم تكن مقصودة؛ إلا أنه أوصى أبناءه بالثأر له.

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (15/178-179).

(2) ينظر: نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين، فاضل سامرائي، (ص 136-137).

(3) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (4/581).

(4) يريش نبلاً له: أي يلصق عليه الريش. [ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (3/1008)، لسان العرب، ابن منظور، (6/309)]

(5) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (4/261).

فلما حضرته الوفاة دعا بنيه، وكانوا ثلاثة: هشام والوليد وخالد، وأوصاهم قائلاً: دمي في خزاعة فلا تُطِلُّوه[1]، والله إني لأعلم أنهم منه براء، ولكني أخشى أن تُسَبُّوا به بعد اليوم، ورِباي في ثقيف، فلا تدعوه حتى تأخذوه، فلما مات الوليد وَثَبَتْ بنو مخزوم على خزاعة يلتمسون منهم عقل الوليد – يعني ديته– وقالوا: إنما قتله سهم صاحبكم، فأبت عليهم خزاعة ذلك، حتى تقاولوا أشعارًا، وغلظ بينهم الأمر، ثم أعطتهم خزاعة بعض العقل، واصطلحوا وتحاجزوا[2].

فكيف لرسول الله ﷺ الجزم بموت إنسان على الكفر، وهو لا يزال حيًا؟ وكيف يجزم بعدم زيادة ماله وولده؟ فلو تزوج الوليد بن المغيرة وأنجب لأبطل هذه الآيات، ولو شهد بكلمة التوحيد، وصار مسلمًا لكان إسلامه هدمًا للإسلام، وأنى له هذا، فالذي أنزل الآيات على رسول الله ﷺ هو الله تعالى عالم الغيب والشهادة.

إن هذا دليل قاطع على ربانية القرآن الكريم، ونبوة محمد ﷺ، وهذا ما يُعرف بدليل صدق الوحي والنبوة.

---

(1) الطَّلُّ: هَدْرُ الدَّم، وقيل: هو أَلا يُثأَر به أَو تُقبَل دِيَتُه، والمعنى: لا تُضيّعوا دمي هدرًا بعدم الثأر. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (405/11)]

(2) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، (410/1–411)، البداية والنهاية، ابن كثير، (262/4).

المطلبُ الثالثُ: الإخبار عن مصير أبي جهل في الآخرة وموته على الكفر:

أبو جهل هو عمرو بن هشام المخزومي، سيد من سادات مكة، ومن أصحاب الرأي والمشورة فيها، لكنه كان من صناديد الكفر وأعداء التوحيد، يعاند الحق، ويُحَاد الله ورسوله ﷺ، وكان من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين.

كان صاحب رأي وحكمة، ولذلك سماه قومه أبا الحكم، ولكنَّ حكمَته لم تنفعه بسبب الحسد الذي ملأ قلبه، فعطل عقله واتبع هواه، وظل كافرًا معاندًا، وقد ورد أنه كان يتلصص ليلاً ليستمع إلى قراءة النبي ﷺ، فلقيه الأخنس بن شريق وسأله: "ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفَرسَيْ رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبدًا، ولا نصدقه"[1].

" وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ، فَلَمَّا بَعُدَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۞ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴾ [القيامة: ٣٤ – ٣٥].

فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو جَهْلٍ قَالَ: مَنْ تَوَعَّدُ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: إِيَّاكَ، قَالَ: بِمَا تَوَعَّدُنِي؟ قال: "أُوعِدك بالعزيز الكريم"، قال أَبُو جَهْلٍ: أَلَيْسَ أَنَا الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ؟ فَأَنْزَلَ الله –تعالى–:

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۞ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۞ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۞ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۞ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٣ – ٤٩].

فَلَمَّا بَلَغَ أَبَا جَهْلٍ مَا نَزَلَ فِيهِ جَمَعَ أَصْحَابَهُ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ زُبْدًا وَتَمْرًا فَقَالَ: تزقموا[2] من هذا، فو الله مَا يَتَوَعَّدُكُمْ مُحَمَّدٌ إلا بِهَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى:

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۞ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ [الصافات: ٦٤ – ٦٧] "[3].

---

(1) البداية والنهاية، ابن كثير، (161/4).

(2) التزقم: الابتلاع، وأزقمته الشئ، أي أبلعته إياه، فازدقمه أي ابتلعه. [ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (1943/5)]

(3) فتح القدير، الشوكاني، (458/4).

وفي السيرة النبوية لابن هشام، قال أبو جهل: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم[1] التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا.

قال: عجوة يثرب بالزُّبْد، والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها تزقمًا، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الصافات: ٦٤ – ٦٥] [2].

وأنزل الله تعالى قرآنًا في أبي جهل، يخبر بأنه سيكون من أهل النار، فقد أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلاً وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**)، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ – ١٣] – يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ – ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٤ – ١٩] [3].

والمعنى: أرأيت وعلمت أيها الرسول الكريم حالاً أعجب وأشنع من حال أبي جهل الأحمق، الذي ينهاك عن إقامة العبادة لربك الذي خلقك وخلقه !! أرأيت إن صار هذا الإنسان الطاغي الكافر على الهدى، فاتبع الحق، ودعا إلى البر والتقوى، أما كان ذلك خيرًا له من الإصرار على الكفر، ومن نهيه إياك عن الصلاة !! أرأيت إن كذّب هذا الكافر بما جئته به من عندنا، وتولى وأعرض عما تدعوه إليه من إيمان وطاعة لله رب العالمين، أرأيت إن فعل ذلك؛ أفلا أرشده عقله إلى أنّ خالق هذا الكون يراه، وسيجازيه بما يستحقه من عذاب مهين؟ كلا، ليس الأمر كما فعل هذا الإنسان الطاغي، ولئن لم يقلع عما هو فيه من كفر وغرور، لنقهرنّه، ولنذلنّه، ولنعذبنّه عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة، ولنسحبنّه

---

(1) قال القرطبي: " وشجرة الزقوم مشتقة من التزقّم، وهو البلع على جهد، لكراهتها ونتنها". [الجامع لأحكام القرآن، (85/15)]

(2) ينظر: السيرة النبوية، (362/1).

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ... ﴾، (2154/4)، رقم الحديث (2797).

إلى النار من ناصيته التي طالما كذبت بالحق، وتعمدت ارتكاب المنكر.

فليدعُ هذا الشقي المغرور أهله وعشيرته لإيذاء النبي ﷺ، ولمنعه من الصلاة، إن قدروا على ذلك، فنحن من جانبنا سندع الزبانية، وهم الملائكة الغلاظ الموكلون بعقاب هذا المغرور وأمثاله[1].

فهل انزجر هذا الطاغية عن غيه وضلاله؟ لم يزده هذا إلا طغيانًا وتجبرًا، لو نطق الشهادتين وأسلم، لكان إسلامه هدمًا للإسلام، ولكن الله تعالى حرمه هداية التوفيق، وقضى عليه أن يكون من أهل النار خالدًا فيها.

مقتل الطاغية:

ظل أبو جهل معاديًا لدين الله تعالى، محاربًا لله تعالى والرسول ﷺ، حتى كان هلاكه يوم بدر، على يد شِبْلين من أشبال الإسلام، وهما معاذ ومعوذ ابني عفراء رضي الله عنهما.

جاء في صحيح البخاري عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قال: (إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ إِذِ التَفَتُّ فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنِّ، فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا[2]، إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ: يَا عَمِّ أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: عَاهَدْتُ اللَّهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ، فَقَالَ لِي الآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ، قَالَ: فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا، فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ، فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ)[3].

ثم جاء ابن مسعود ﷺ فأجهز عليه، واحتز رأسه، وانتهت بذلك حياة أعتا طاغية في زمانه.

أخرج مسلم في صحيحه عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(مَنْ يَنْظُرُ لَنَا مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟).**

فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ، حَتَّى بَرَكَ[4].

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (15/456-458).

(2) يعني: فأشفقت أن يؤتى الناس من ناحيتي لكوني بين غلامين حديثين. [ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (7/308)].

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي/ باب فضل من شهد بدرًا، (5/78)، رقم الحديث (3988).

(4) برك: بالكاف، وفي بعضها "بَرَد" بالدال، فمعناه بالكاف سقط إلى الأرض، وبالدال مات، يقال: برد إذا مات، ورواية "برك" أولى؛ لأنّ أبا جهل قد كلّم ابن مسعود، فلو كان مات كيف كان يكلمه، ويُحتمل أن يكون المراد بقوله: "حتى برد" أي صار في حالة من مات، ولم يبق فيه سوى حركة المذبوح، فأُطلق عليه باعتبار ما سيئول إليه. [ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (7/294)، المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، (12/160)].

قَالَ: فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، فَقَالَ: آنْتَ أَبُو جَهْلٍ؟ فَقَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ [1]– أَو قَالَ: قَتَلَهُ قَوْمُهُ –، فَلَوْ غَيْرُ أَكَّارٍ[2] قَتَلَنِي"[3].

فكيف لرسول الله ﷺ الجزم بموت إنسان على الكفر وهو لا يزال حيًا؟ ثم يتحقق الوعد، إنَّ هذا لدليلٌ قاطعٌ على أنَّ القرآنَ الكريمَ كلامُ الله حقًا، وأنَّ محمدًا ﷺ رسولُ الله صدقًا، وهذا هو دليل صدق الوحي والنبوة.

---

(1) قوله: "هل فوق رجل قتلتموه": أي هل أعجب من رجل قتله قومه؟ يعني: لا عار عليَّ في قتلكم إياي، فليس قتلُكم لي إلا قتل قوم رجلاً منهم، فلا هو فخر لكم، ولا هو عار عليّ، وهو بهذا يهوّن على نفسه ما حل به من الهلاك. [ينظر: فتح الباري، ابن حجر، (294/7)، المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، (160/12)].

(2) الأكّار: الزرّاع والفلاح، وهو عند العرب ناقص، وأشار أبو جهل إلى ابني عفراء اللذين قتلاه وهما من الأنصار، وهم أصحاب زرع ونخيل، ومعناه: لو كان الذي قتلني غير أكار، لكان أحب إلي، وأعظم لشأني، ولم يكن عليّ نقص في ذلك. [ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، (160/12)]

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير/ باب قتل أبي جهل، (1424/3)، رقم الحديث (1800).

المطلبُ الرابعُ: الإخبار عن مصير العاص بن وائل في الآخرة وموته على الكفر:

العاص بن وائل السهمي، سيد من سادات مكة وأشرافها، ومن أصحاب الرأي والمشورة فيها، كان محاربًا لله تعالى ورسوله ﷺ، ومعاديًا للمؤمنين، أنزل الله تعالى فيه آيات بينات، تخبر بأنه سيموت كافرًا، وسيكون من أهل النار خالدًا فيها، ففي الصحيحين عَنْ خَبَّابٍ ﷺ، قَالَ: (كُنْتُ رَجُلاً قَيْنًا[1]، وَكَانَ لِي عَلَى العَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، فَقَالَ لِي: لاَ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: قُلْتُ: "لَنْ أَكْفُرَ بِهِ حَتَّى تَمُوتَ، ثُمَّ تُبْعَثَ"، قَالَ: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ، فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۞ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۞ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۞ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[مريم: ٧٧ – ٨٠])[2].

والمعنى: أنظرت أيها العاقل فرأيت هذا الجاحد الجهول الذي كفر بآياتنا الدالة على وحدانيتنا، وعلى أن البعث حق، وقال بكل تبجح، وإصرار على الباطل، واستهزاء بالدين الحق: والله لأُوتَيَنَّ في الآخرة مالاً وَوَلَداً كما هو حالي في الدنيا.

إن قول هذا الجاهل إما أن يكون مستندًا إلى اطلاعه على الغيب وعلمه بأن الله سيؤتيه في الآخرة مالاً وولدًا، وإما أن يكون مستندًا إلى عهد أعطاه الله– تعالى– له بذلك.

ومما لا شك فيه أن كلا الأمرين لم يتحققا بالنسبة له، فهو لم يطلع على الغيب، ولم يتخذ عند الله عهدًا، فثبت كذبه وافتراؤه، ولذا كذّبه الله– تعالى– بقوله كَلا، وهو قول يفيد الزجر والردع والنفي.

سنسجل على هذا الكافر ما قاله، ونحاسبه عليه حسابًا عسيرًا، ونزيده عذابًا فوق العذاب المُعد له، بأن نضاعفه له ونطيله عليه، ونسلبه ما يقول: إنه يؤتاه يوم القيامة من المال والولد، ويأتينا يوم القيامة بعد مبعثه منفردًا بدون مال أو ولد أو خدم أو غير ذلك مما كان يتفاخر به في الدنيا هو وأشباهه من المغرورين الجاحدين[3].

إن هذه الآيات تبين بوضوح مصير العاص بن وائل، فالله تعالى سيزيده عذابًا فوق عذابه مكان ما

---

(1) القَيْنُ: الحدَّاد، والجمع القيونُ. [الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (2185/6)]

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله عز وجل: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾، (94/6)، رقم الحديث (4735)، صحيح مسلم، مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح ...، (2153/4)، رقم الحديث (2795).

(3) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (67/9–68).

يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد، وسيطوّلُ له من العذاب ما يستحقه، وهو عذاب من جمع بين الكفر والاستهزاء[1].

فهل أسلم هذا الضال الجاهل؟

نهاية العاص بن وائل السهمي:

ظلَّ العاص بن وائل مصرًا على كفره وضلاله، وأبى أن يُنوَّرَ قلبُه بنور الهداية، ورضي أن يبقى في ظلمات الكفر والجهالة والغواية، فختم الله على قلبه وعلى سمعه، وجعل على بصره غشاوة، حتى لقي الله تعالى كافرًا، وصدق الله تعالى القائل: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٧].

وتحقق وعد الله تعالى الصادق، بموت العاص بن وائل على الكفر، وكان سبب موته أنه خرج على حمار له يريد الطائف، فربض[2] به على شَبْرِقة[3]، فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته[4].

فكيف لرسول الله ﷺ الجزم بموت العاص بن وائل على الكفر وهو لا يزال حيًا؟

فلو أسلم العاص بن وائل لكذب الناسُ رسولَ الله ﷺ، ولكنه وعد الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد، وهذا هو دليل صدق الوحي والنبوة.

---

(1) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (412/3).

(2) رَبَضَ: أي جلس، ورُبوض الغنم والبقر والفرس، مثل بُروك الإبل، وجُثوم الطير، والمَرَابض للغنم كالمعاطن للإبل، واحدها مربِض مثال مجلِس. [ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (1076/3)].

(3) الشبرقة: نبات فيه شوك. [ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (172/10)].

(4) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (260/4)، السيرة النبوية، ابن هشام، (410/1).

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأتم تسليم، وبعد.

قد وفقني الله تعالى لإتمام هذا البحث، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى – صاحب الحمد والمنة–، وما كان من تقصير فمن نفسي والشيطان، فأسأل الله تعالى العفو والغفران.

وأختم هذا البحث بخلاصة ما توصلت إليه من نتائج، وما أراه من توصيات ومقترحات، أسطرها على شكل نقاط:

أولاً: أهم النتائج:

1- القرآنُ الكريمُ معجزةٌ باقية أبد الدهر، لا يستطيع الجن والإنس في كل عصر الإتيانَ بمثلها.

2- الوجهُ المعجزُ للقرآن الكريم غير الأدلة على صدق الوحي والنبوة.

3- الإعجاز يحتاج إلى بحث وتقويم نقدي غير مندفع بالعواطف الجياشة التي قد تطغى على طبيعة البحث العلمي، فَتَخرجُ نتائجه مُرضيةٌ للعواطف لا للعلم الحقِّ.

4- الأمر الذي وقع به التحدي وأعجز الثقلين، هو المثلية البيانية التامة.

5- المثلية البيانية المعجزة للخلق هي ألفاظ القرآن ومعانيه ونظمُه دون إسقاطٍ أو تهاونٍ لأيٍ من هذه الأركان الثلاثة، وهي التي يعجز الثقلان عن الإتيان بمثلها، حتى لو كان التحدي بأقصرَ سورةٍ من سور القرآن، وهذه المثليةُ تُمثِّلُ عِلَّةَ العجز.

6- الوجه المعجز هو مناط التحدي، ومتحقق في كل سورة من سور القرآن الكريم بلا استثناء، وهو الذي يحقق المثلية الكاملة التي تتضمن اللفظ والنظم والمعنى، وهو خاص بمن يدرك لغة القرآن.

7- التحدي مرحلي متدرج على قول جمهور العلماء.

8- أدلة صدق الوحي والنبوة لا يصلح أن تكون وجوه إعجاز؛ لأنها ليست للتحدي، ولا يُشترط وجودُها في كل سورة، ولا عَلاقة لها بالعلة المانعة من المعارضة، فقد يكتشف العلماء من سنن الله في الكون ما يتوافق مع معنى الآيات القرآنية، ولا يكونون بذلك قد جاؤوا بمثل القرآن.

9- أدلة صدق الوحي والنبوة تصلح للعرب وغيرهم ممن لا يعرفون لغة القرآن، وهم الأعاجم، ومن تعجّمت لغتهم خاصة في هذا الزمان.

10- نتيجة الطريقين – الإعجاز والأدلة – واحدة، وهي إثبات أنَّ القرآن قطعًا كلام الله تعالى، وأنَّ محمدًا ﷺ رسول الله تعالى، وهذا هو وجه الاتفاق بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة.

11- ما ذكره العلماء من أدلة على تعدد وجوه الإعجاز ليس فيها دلالة على كونها وجوهًا معجزة، وإنما هي أدلة على صدق الوحي والنبوة.

12- لا يُنكر الباحث ما في القرآن من أدلة علمية وتشريعية وغيبية على صدق الوحي والنبوة، ولكن ينكر تسميتها وجوهًا معجزة.

13- لا يوجد وجه معجز لم يقع به التحدي، فالإعجاز فقط ما كان مقرونًا بالتحدّي، وما لم يكن كذلك فإنّما هو من دلائل صدق الوحي والنبوة.

14- القول بتعدد وجوه الإعجاز نشأ من عدة أمور، منها الانتصار العاطفي الوجداني للقرآن الكريم، أو من باب التقليد والتبعية وغلبة الظن، أو اعتمادًا على ظاهر النصوص، دون تحري معانيها لُغويًا، أو نتيجة الخلط بين الوجوه المعجزة وغيرها من أدلة صدق الوحي والنبوة.

15- إطلاقُ مصطلح مُعيّن على أمر وَفْقَ منهجيةٍ صحيحةٍ، مبنيةٍ على ضوابط محددة، تجعل دلالة اللفظ أو المصطلح صادقة على معناه، بشرط أن يتولى ذلك أهل الاختصاص أفراداً أو هيئات.

16- الأصل أن نسمي الأشياء بأسمائها، ولا داعي للتكثير من وجوه إعجاز القرآن بدون حجة أو برهان؛ لأن ذلك يسيء إلى حقيقة العلم، ويطغى على فكرة إعجاز القرآن الحقيقية.

17- لا يجوز الخلط بين المتشابهات في ظاهرها المختلفات في حقيقتها، وتسمية ذلك كله باسم واحد مشترك بين جميعها.

18- القرآنُ الكريمُ معجزٌ بكل ما تعني كلمةُ الإعجازِ من دلالةٍ وعمقٍ ومعنى، حتى لو كان وجه الإعجاز واحدًا لم يتعدد، وبناء على ذلك فإن وجه الإعجاز دليل على صدق الوحي والنبوة، دون العكس، بمعنى أن دليل صدق الوحي والنبوة لا يصح أن يكون وجهًا معجزًا.

19- يحتاج المسلم في كل وقت إلى مطالعة الأدلة على ربانية القرآن الكريم، وصدق نبوة محمد ﷺ، ليزداد إيمانه ويقينه بأن القرآن الكريم حق، والنبي محمد ﷺ حق، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ... ﴾ [فصلت: ٥٣].

20- الأدلة على صدق الوحي والنبوة، سبيلٌ لدعوة غير المسلمين إلى الله تعالى.

21- زعْمُ بعض المشككين من الناس أنهم يعلمون ما في الأرحام كونه ذكرًا أو أنثى - وذلك من خلال التصوير التلفزيوني للرحم - ؛ زعمٌ باطلٌ؛ لأن الله جل جلاله لم يَقُل: ويعلم مَنْ في الأرحام، بل قال: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾، والاسم الموصول (ما) يقع في اللغة لذوات ما لا يعقل، وعلى صفات من يعقل، والمعنى: أن الله تعالى يعلمُ صفات ما في الأرحام، وليس المقصود معرفة جنس ما في الأرحام فقط.

22- الراجح أن الطائفة التي سكتت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قصة أصحاب السبت كانت من الناجين؛ لأنها أنكرت المنكر في قلبها.

23- إبطالُ القرآنِ الكريم لكثيرٍ من الروايات الباطلة التي اشتملت عليها التوراة المحرفة، يثبت بجلاء أن النبي ﷺ لم يتلق القرآن من أحبار اليهود، كما يزعم بعض المستشرقين.

24- لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، وقد يُطلعُ اللهُ تعالى أنبياءه على بعض الغيب.

25- الأخبار الغيبية القرآنية سبيل لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

26- بعد الطواف في حدائق القرآن الكريم الزاهرة الندية، واقتطاف كثير من أزهار أخباره الغيبية، يتبين لكل ذي لب، بما لا يدع مجالاً للشك والريب، أن القرآن الكريم كلام الله تعالى حقًا، وأن محمدًا ﷺ رسول الله تعالى صدقًا، وهذا ما يعرف بدليل صدق الوحي والنبوة، فالمهتدي من اهتدى بهديه، والضال من ضل عن صراطه المستقيم، ونهجه القويم.

ثانيًا: التوصيات:

1- أوصي نفسي وإخواني طلبة العلم بتقوى الله تعالى، والإخلاص في السر والعلن، فهما سبيل الانتفاع بالعلم، ونفع الناس.

2- على طلبةِ العلمِ تدبرُ كتاب الله تعالى، وفهمُه فهمًا صحيحًا، فهذا يعصم سيرَهم من الزلل، ويكونُ عاملَ ثباتٍ لهم في زمن الفتن.

3- أوصي بوجود عدد من الدراسات الموضوعية، التي تجمع الأدلة الواردة في القرآن الكريم، سواء كانت أدلة غيبية، أو علمية، أو تشريعية، أو غيرَ ذلك، واستنباطِ وجه دلالتها على صدق الوحي والنبوة.

4- إعادة النظر في كثير من وجوه الإعجاز التي يقول بها العلماء، فهي تضر مسألة إعجاز القرآن، إذ إن قيامها على العاطفة والوجدان، لا على الدليل والبرهان.

والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

(مرتبة حسب حروف الهجاء)

- القرآن الكريم

1- إبطال الحيل، عبيد الله بن محمد العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ.

2- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ- 1974 م.

3- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجر، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: بكر زكي عوض، شركة سعيد رأفت للطباعة، ط2، 1407هـ- 1987م.

4- أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الجصاص، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ-1994م.

5- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط1، 1412 هـ - 1992 م.

6- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994 م.

7- الإسلام يتحدى " مدخل علمي إلى الإيمان"، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، تحقيق: عبد الصبور شاهين، بيروت، مكتبة الرسالة.

8- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ط3، 2002م.

9- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ.

10- أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه)، عبد الفتاح محمد محمد سلامة، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة الثانية عشر، ع46، 1400هـ.

11- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، دار المعارف، ط3.

12- الإعجاز البلاغي عند أبي سليمان الخطابي – دراسة وتحليل، عبد السلام اللوح، بحث مقدم لمؤتمر الإعجاز البلاغي المزمع عقده من قِبَل مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية، بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية.

13- الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط2، 1433 هـ.

14- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم "والأولى أن يسمى" الأدلة العلمية على صدق الوحي والنبوة، عبد السلام اللوح، غزة – فلسطين، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع،، ط3، 1438 هـ – 2017م.

15- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الله المصلح وآخرون، دار حياد للنشر والتوزيع، ط1، 1429 هـ، 2008م.

16- الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1398هـ، 1978 م.

17- إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ط5، 1997م

18- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، عمان – الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، ط1، 1421ه – 2000 م.

19- إعجاز القرآن الكريم، فضل عباس، لا يوجد ناشر، 1412 هـ، 1991م.

20- إعجاز القرآن الكريم في الإخبار عن الغيبيات، محمد أمحزون، مجلة المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العلوم الإنسانية والحكم التشريعية، ص 138-152.

21- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط8، 1425 هـ - 2005 م.

22- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ط 15، 2002 م.

23- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط المعتزلي، لا يوجد دار نشر، ولا سنة نشر.

24- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418 هـ.

25- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، 1420 هـ.

26- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1424هـ - 2003م.

27- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط3، 1416 هـ - 1996 م.

28- بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز القرآني، عبد السلام اللوح، بحث تمت المشاركة به في مؤتمر بدولة المغرب بعنوان: النص القرآني بين التحليل والفهم والاستنباط، وذلك عام 2013م.

29- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1423 هـ.

30- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوْجي، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1428 هـ - 2007 م.

31- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: منير البعلبكي، وآخرون، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1968م.

32- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي، القاهرة، دار المصطفى.

33- التحدي بالقرآن الكريم، محسن سميح الخالدي، المؤتمر العلمي الثالث (الإعجاز في القرآن الكريم)، جامعة الأقصى- غزة، ع1، 2000م.

34- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984 هـ.

35- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416 هـ.

36- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، بيروت، دار الكتب العلمية.

37- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، عَمّان، دار عمّار، ط4، 1427هـ - 2006م.

38- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة مـن العلمـاء بإشـراف الناشر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ -1983م.

39- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان البركتي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ - 2003م.

40- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، تحقيق: أصل تحقيقه في رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعـة بسـبكه وتنسـيقه، عمادة البحث العلمي، ط1، 1430 هـ.

41- التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، محمد عزت دروزة، القاهرة، دار إحياء الكتـب العربية، 1383 هـ.

42- تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997 م.

43- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا القلموني، القاهرة، الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب، 1990 م.

44- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م.

45- التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب)، محمد بن عمر الرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربـي، ط3، 1420 هـ.

46- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصـطفى البـابى الحلبي وأولاده، ط1، 1365 هـ - 1946 م.

47- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشـر والتوزيع، ط1، 1998م.

48- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيـروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.

49- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمـة: حسـن خالـد، بيـروت، المكتـب الإسلامي، ط3، 1411هـ- 1990م.

50- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلـف الله أحمد، وآخرون، القاهرة، دار المعارف، ط3.

51- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.

52- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وآخرون، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964م.

53- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

54- جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد السخاوي، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1419 هـ - 1999 م.

55- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، وآخرون، السعودية، دار العاصمة، ط2، 1419هـ - 1999م.

56- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1411ه.

57- حوار مع (الرماني) في وجوه الإعجاز القرآني، عبد السلام حمدان اللوح، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية غزة، م16، ع2، 2008م، ص 89-123.

58- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1424 هـ.

59- الخصائص، عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

60- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط1، 1413 هـ - 1992 م.

61- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط4، 1403 هـ، 1983م.

62- دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، وسام فرج، 1983م، لا يوجد دار نشر.

63- دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط12، 1424هـ - 2003م.

64- دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، ط2، 1419هـ-1999م.

65- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، القاهرة، مطبعة المدني، ط3، 1413هـ - 1992م.

66- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي، بيــروت، دار الكتــب العلمية، ط1،1405 هــ.

67- الرحيق المختوم (مع بعض التعديلات والزيادات من د علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي)، صفي الرحمن المباركفوري، دمشق، دار العصماء، ط1، 1427هــ.

68- رسائل الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمــد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1384 هــ - 1964 م.

69- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هــ.

70- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1412 هــ.

71- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، بيروت، مؤسسة الرســالة/ الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط 27، 1415هــ - 1994م.

72- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألبــاني، الريــاض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1422 هــ - 2002 م.

73- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا – بيروت، المكتبة العصرية.

74- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، القاهرة، شــركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395 هــ - 1975 م.

75- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيــروت، دار الكتــب العلمية، ط3، 1424 هــ - 2003 م.

76- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبــد المــنعم شــلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هــ - 2001 م.

77- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق : مجموعة من تحقيقــين بإشــراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هــ - 1985 م.

78- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: مصطفى الســقا، وآخــرون، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1375هــ - 1955 م.

79- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ-1996م.

80- شريعة القرآن من دلائل إعجازه، محمد بن أحمد أبو زهرة، القاهرة، دار العروبة، 1381 هـ - 1961 م.

81- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409 هـ - 1988 م.

82- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407 هـ - 1987 م.

83- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي.

84- الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، مصطفى العدوي، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط1، 1412 هـ-1991م.

85- صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، أحمد بن حمدان النميري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط4، 1404هـ.

86- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلويّ الطالبي، بيروت، المكتبة العنصرية، ط1، 1423 هـ.

87- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، تقديم: محمد عبد الله دراز، محمود شاكر، دمشق، دار الفكر، ط4، 1987م، معادة 1420 هـ - 2000 م.

88- العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى الفراء، تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي، ط2، 1410 هـ - 1990 م.

89- العقيدة والشريعة في الإسلام، أجناس جولد تسيهر، نقله إلى العربية: محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة، دار الكتب الحديثة/ بغداد، مكتبة المثنى، ط2.

90- علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر، ط8.

91- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

92- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، وآخرون، دار ومكتبة الهلال.

93- غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: عبد الله الجبوري، بغداد، مطبعة العاني، ط1، 1397 هـ.

94- الغريبين في القرآن والحديث، الغريبين في القرآن والحديث، أحمد بن محمد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1419 هـ - 1999 م.

95- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة، 1379 هـ.

96- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني اليمني، دمشق، دار ابن كثير/ بيروت، دار الكلم الطيب، ط1،1414 هـ.

97- الفتوحات الإلهية لتوضيح دقائق تفسير الجلالين "حاشية الجمل"، سليمان الجمل، المطبعة المرتضوية الدهلوية، 1284هـ.

98- الفرعون الذي يطارده اليهود بين التوراة والقرآن، سعيد أبو العينين، كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، عدد مايو 1997م.

99- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، د. نعيم الحمصي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1400ه-1980م.

100- في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب، القاهرة، دار الشروق، ط17، 1412 هـ.

101- القاضي عياض ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد جمال العمري، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة، ع2،1397هـ - 1977 م.

102- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426 هـ - 2005 م

103- القرآن يتحدى، محمد سيد طنطاوي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة عشرة، ع 62، 1404هـ.

104- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الدين الخالدي، دمشق، دار القلم، ط1، 1419هـ، 1998م.

105- قصة آدم بين القرآن الكريم والتوراة -دراسة مقارنة-، غسان عاطف بدران، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 22، شباط 2011م، ص 291- 324.

106- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، بيـــروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407 هـــ.

107- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـــ - 2002 م.

108- الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة.

109- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الشـــيحي المعـــروف بالخــــازن، تصحيح: محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـــ.

110- لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، بيروت، دار صادر، ط3، 1414 هـــ.

111- لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبـــد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 2002 م.

112- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دمشق، دار القلم، ط3، 1426 هـــ - 2005 م.

113- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، بيروت، دار العلم للملايين، ط24، 2000 م.

114- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبـــة المعــــارف للنشـــر والتوزيـــع، ط3، 1421هـــ- 2000م.

115- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بـــن الأثيـــر، تحقيـــق: أحمـــد الحـــوفي، وآخرون، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

116- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بـــن شـــعيب النســـائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1406 هـــ- 1986م.

117- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـــ-1995م.

118- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باســـل عيـــون الســـود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418 هـــ.

119- محاضرات في علوم القرآن، غانم بن قدوري الناصري التكريتي، عمّـــان، دار عمّـــار، ط1، 1423 هـــ - 2003 م.

120- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422 هـ.

121- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية / صيدا، الدار النموذجية، ط5، 1420هـ / 1999م.

122- مداخل إعجاز القرآن، محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني/جدة، دار المدني.

123- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط1، 1419 هـ - 1998 م.

124- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، بيروت، دار القلم / دمشق، الدار الشامية، ط2، 1419 هـ - 1998 م.

125- مدخل إلى القرآن الكريم - عرض تاريخي وتحليل مقارن-، محمد عبد الله دراز، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي، الكويت، دار القلم، 1404هـ- 1984م.

126- المستدرك على الصحيحين، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411 هـ- 1990م.

127- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، ط1، 1404 هـ- 1984م.

128- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م.

129- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

130- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، بيروت، المكتبة العلمية.

131- المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992 م.

132- معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420 هـ.

133- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1408 هـ - 1988 م.

134- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، الأردن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1420 هـ - 2000 م.

135- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1408 هـ - 1988 م.

136- المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، ط3، 1415 هـ- 1994م.

137- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

138- معجم البلدان، ياقوت الحموي، بيروت، دار صادر، ط2، 1995 م.

139- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م

140- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

141- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة.

142- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت، دار القلم/ دمشق، الدار الشامية، ط1، 1412 هـ.

143- من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمّد سَعيد رَمضان البوطي، بيروت، موسسة الرسالة، 1420 هـ - 1999 م.

144- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3.

145- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ.

146- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة "آيات الله في الإنسان"، محمد راتب النابلسي، دمشق، دار المكتبي، ط2، 1426 هـ - 2005 م.

147- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، دمشق، مكتبة ابن حجر، ط2، 1424هـ-2003م.

148- الموسوعة العربية الميسرة، حسين محمد نصار، وآخـــرون، بيـــروت، المكتبـــة العصـــرية، ط1431،1هـــ- 2010م.

149- موسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقي آل بورنو الغزي، بيـــروت، مؤسســـة الرســـالة، ط1، 1424هـــ - 2003 م.

150- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1993م.

151- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، الدوحة، دار الثقافة، 1405هـــ - 1985م.

152- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الريـــاض، أضواء السلف، ط1، 1420هـــ- 2000م.

153- نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين، فاضل سامرائي، بغداد، مكتبة القدس/ مكتبة البشائر.

154- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، راجح عبد الحميد الكردي، الرياض- السعودية، مكتبـــة المؤيد، ط1، 1412ه-1992م.

155- نفائس الأصول في شرح المحصول، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: عـــادل أحمـــد عبـــد الموجود، وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1416هـــ - 1995م.

156- نقد دعوى الإعجاز العددي في القرآن الكريم، إبراهيم بن صالح الحميضي، الرياض، دار ابن الجوزي، ط1، 1435هـــ.

157- النكت والعيون "تفسير الماوردي"، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية.

158- نماذج حية للمهتدين إلى الحق "علماء ومفكرون وأدباء وفلاسفة أسلموا"، الحســـيني الحســـيني معدى، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط1، 2006م.

159- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن الجزري ابن الأثيـــر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، وآخرون، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـــ - 1979م.

160- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنـــاؤوط، وآخـــرون، بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـــ- 2000م.

161- الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الزحيلي، دمشق، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1427 هـــ - 2006 م.

162- الوحي والقرآن الكريم، محمد حسين الذهبي، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1406هـــ- 1986م.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
33.	﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ... ﴾	الأنعام	103	97
34.	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ... ﴾	"	112	24
35.	﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ ... ﴾	"	121	13
36.	﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ ... ﴾	"	130	21
37.	﴿ ... وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ... ﴾	الأعراف	137	142
38.	﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ... قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾	"	166-163	130
39.	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ... ﴾	"	187	98
40.	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ... ﴾	"	188	97، 103، 146
41.	﴿ ... قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ ... يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾	"	196-195	191
42.	﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا ... ﴾	الأنفال	31	32
43.	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ... وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾	التوبة	33-32	150
44.	﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ... ﴾	"	64	193
45.	﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ... ﴾	"	128	156
46.	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا ... وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾	"	108-107	196
47.	﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ... ﴾	يونس	16	103
48.	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ... ﴾	"	38	29، 35
49.	﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ... ﴾	"	92	139، 141

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
.50	﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ...﴾	هود	13	35، 41، 48
.51	﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ...﴾	""	49	115، 118
.52	﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا ...﴾	يوسف	3	113
.53	﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم ...﴾	""	102	121
.54	﴿... كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد ...﴾	الرعد	17	148
.55	﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة ... ويفعل الله ما يشاء﴾	إبراهيم	24–27	148
.56	﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾	الحجر	9	156
.57	﴿لتبين للناس ما نزل إليهم ...﴾	النحل	44	13
.58	﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ...﴾	""	68	13
.59	﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ...﴾	الإسراء	85	109
.60	﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا ...﴾	""	88	23، 32، 35، 154
.61	﴿... لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ...﴾	""	90	183
.62	﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾	الكهف	5	143
.63	﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف ... وزدناهم هدى﴾	""	9–13	133
.64	﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ...﴾	""	14	133
.65	﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة ...﴾	""	15	133
.66	﴿وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين ...﴾	""	18	134

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
.67	﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾	الكهف	68	11
.68	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾	""	83	127، 135
.69	﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ... ﴾	مريم	11	13
.70	﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ ... وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾	""	80–77	214
.71	﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾	طه	40	142
.72	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ... كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾	الأنبياء	97–96	137
.73	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ... ﴾	الحج	5	160
.74	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ ... ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾	المؤمنون	14–12	160
.75	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ... إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	النور	17–11	198
.76	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾	""	55	152
.77	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ... ﴾	الفرقان	4	32، 104
.78	﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾	النمل	65	96
.79	﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ... ﴾	القصص	7	13
.80	﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ... ﴾	""	9	142
.81	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم ... ﴾	""	38	142
.82	﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ ... لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	""	46–44	122
.83	﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ... ﴾	""	85	174

م	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
.99	﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ ... ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾	الأحقاف	29-32	23
.100	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾	الفتح	1	171
.101	﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ ... ﴾	""	15	171
.102	﴿ لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ ... ﴾	""	27	181
.103	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ ... ﴾	""	28	148
.104	﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ... ﴾	الطور	33-34	35، 42
.105	﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ ... وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾	القمر	43-46	169
.106	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾	المجادلة	7	186
.107	﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	""	21	147
.108	﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ... ﴾	الممتحنة	7	183
.109	﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ... لَا يَعْلَمُونَ ﴾	المنافقون	1-8	195
.110	﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ... ﴾	التحريم	3	187
.111	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ... ﴾	""	6	21
.112	﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ... أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾	الحاقة	44-47	145
.113	﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾	نوح	13-14	160
.114	﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	الجن	12	17
.115	﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ... ﴾	""	26-27	99

فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	المصدر	حكم المحدث	رقم الصفحة
18.	إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ ...	مسند أحمد	صحيح	137
19.	بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ ...	صحيح البخاري	صحيح	109
20.	جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ ...	""	صحيح	125
21.	حَضَرَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْيَهُودِ رَسُولَ اللهِ ﷺ ...	مسند أحمد	حسن	119
22.	خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ ...	سنن الترمذي	صحيح	106
23.	دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثُ الناسُ أَنَّ مُحمدًا يقتلُ أصحابَهُ ...	صحيح البخاري	صحيح	195
24.	عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ...	صحيح مسلم	صحيح	8
25.	فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا ...	صحيح البخاري	صحيح	180
26.	فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ ...	""	صحيح	107
27.	فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْفَتْحِ ...	صحيح مسلم	صحيح	181
28.	فَهَلْ مِنْ وَضُوءٍ؟ ...	صحيح مسلم	صحيح	162
29.	قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ...	""	صحيح	172
30.	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ ...	صحيح البخاري	صحيح	199
31.	كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ...	""	صحيح	184
32.	كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ ...	""	صحيح	187
33.	كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ...	صحيح مسلم	صحيح	138
34.	كَانَ المُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ ...	سنن الترمذي	صحيح	177
35.	كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ: أَنَّ عِدَّةَ ...	صحيح البخاري	صحيح	129

م	الحديث	المصدر	حكم المحدث	رقم الصفحة
36.	كُنْتُ رَجُلاً قَيْنًا، وكَانَ لِي عَلَى العَاصِ ...	صحيحي البخاري ومسلم	صحيح	214
37.	كُنتُ فِي المَسجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً ...	صحيح مسلم	صحيح	24
38.	لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلٌ ...	صحيح البخاري	صحيح	172
39.	لا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ ...	""	صحيح	189
40.	لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ	سنن أبي داود	صحيح	خ
41.	لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا ...	صحيح مسلم	صحيح	171
42.	لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ بِمَكَّةَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ	صحيح البخاري	صحيح	145
43.	لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، عَرَضَتْ لَهُمْ ...	سنن النسائي	حسن	149
44.	لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ...﴾ فَكَانَتْ فَارِسُ ...	سنن الترمذي	حسن	178
45.	لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿... فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ ...﴾	صحيح مسلم	صحيح	125
46.	لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا	""	صحيح	211
47.	مَا أَدْرِي تُبَّعٌ أَنَبِيًّا كَانَ أَمْ لا؟ وَمَا أَدْرِي ذُو الْقَرْنَيْنِ ...	مستدرك الحاكم	صحيح	136
48.	مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي ...	سنن الترمذي	صحيح	174
49.	مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ...	صحيح البخاري	صحيح	194
50.	مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ...	صحيح مسلم	صحيح	98
51.	مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ...	صحيح البخاري	صحيح	18
52.	مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ...	صحيح مسلم	صحيح	163

م	الحديث	المصدر	حكم المحدث	رقم الصفحة
.53	مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلا اللهُ...	صحيح البخاري	صحيح	98
.54	مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَن شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ...	صحيح مسلم	صحيح	145
.55	مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ...	مسند أحمد	صحيح	145
.56	مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ كَذَبَ...	صحيح البخاري	صحيح	97
.57	مَن ْرَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ...	صحيح مسلم	صحيح	131
.58	مَنْ يَنْظُرُ لَنَا مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ؟	""	صحيح	212
.59	نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ...	مستدرك الحاكم	صحيح	173
.60	وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ...	السنن الكبرى للنسائي	حسن	142
.61	وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي	صحيح البخاري	صحيح	180
.62	وَمَنْ حَدَّثَك أَنَّهُ يَعْلَمُ مَافِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ...	""	صحيح	97
.63	يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ	سنن الترمذي	حسن	190
.64	يَا صَبَاحَاهْ...	صحيح البخاري	صحيح	203
.65	يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟...	""	صحيح	152
.66	يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ...	صحيح مسلم	صحيح	197

فهرسُ تراجمِ الأعلامِ

م	العَلَم	رقم الصفحة
.1	أحمد أحمد البدوي	82
.2	أحمد بن عمر بن سريج البغدادي (أبو العباس)	28
.3	إدوارد جيبون	177
.4	بحيرى الراهب	106
.5	جولد تسيهر	104
.6	حَمَدْ بن محمد بن إبراهيم (أبو سليمان الخطابي)	26
.7	سهل بن حنيف ﷺ	181
.8	سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي)	26
.9	عائشة عبد الرحمن – بنت الشاطئ	84
.10	عبد الجبار الهمداني (القاضي المعتزلي)	108
.11	عبد الرحيم بن محمد بن عثمان (أبو الحسين الخياط المعتزلي)	47
.12	عبد القاهر بن عبد الرحمن (أبو بكر الجرجاني)	26
.13	عثمان بن جني الموصلي (أبو الفتح)	44
.14	عدنان زرزور	53
.15	علم الدين السخاوي (أبو الحسن علي بن محمد المصري)	41
.16	قدامة بن جعفر (أبو الفرج)	45
.17	كارل بروكلمان	104
.18	محمد بن يعقوب بنِ محمدٍ، مجدُ الدين (الفيروز أبادي)	19

.19	محمود شاكر (أبو فهر)	31
.20	موريس بوكاي	141
.21	نصر الله بن محمد الشيباني ابن الأثير	44
.22	نيار بن مكرم ﷺ	178
.23	ورقة بن نوفل	107
.24	وليام موير	194
.25	يحيى بن حمزة الطالبي (المؤيد بالله)	27